

ق دارانندانی

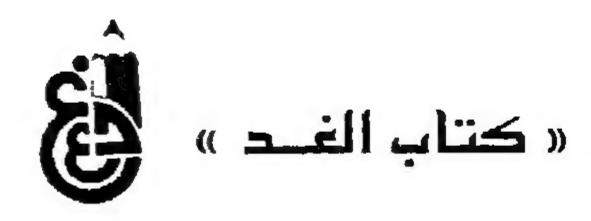
سلسلة « كتاب الغــد » ٥

رجاء جسارودي

الانياطيرلمؤسةللسياسة الابرائية ومحاورات جارودى بالقاهرة

> ترجمه عن الفرنسية قسم الترجمة ـ بدار الغد العربي

الناشر العدام القاهرة القاهرة القاهرة القاهرة القاهرة التعدام ال



سلسلسة غير دورية تهتم بالقضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تهم القارئ العربي.

المشرف العام على السلسلة حمدان جعفر

الغلاف بريشة الفنان: عبد الكريم غيته

Roger Garaudy

Les Mythes fondateurs de la politique israélienne

SAMISZDAT Roger Garaudy 1996



كلمة الناشـــر

لقد كان روجيه جارودي، المفكر الفرنسي المعروف، والذي اعتنق الإسلام منذ عشر سنوات وتسمى باسم رجاء جارودي، من كبار رجالات الحزب الشيوعي الفرنسي حيث كان عضوا بارزا في لجنته المركزية. وناضل منذ شبابه في صفوف هذا الحزب، وله في هذا المضمار كتاباته ومؤلفاته العديدة. ولكنه ما إن اهتدى إلى الإسلام، وذاق حلاوته عن علم ومعرفة، حتى انبرى يكتب عن هذا الدين الحنيف و يدافع عنه وعن تعاليمه في ديار الغرب، وله في ذلك أيضا صولاته وجولاته التي مازالت تثير الجدل والنقاش.

ومن عجائب المفارقات، بل ومن محاسن الصَّدف أن يقيض الله للعرب وللفلسطينيين خاصة من يدافع عن حقوقهم التاريخية ومن ينادى بالعدالة ورفع الظلم عنهم، فقد كرّس رجاء جارودى حياته ووقفها على جليل الأعمال التى تدعو إلى رفعة أمة الإسلام وإيقاظها من سباتها وتذكيرها بعظمة حضارتها وبما لها من أفضال على العلم والعلماء. ولقد جلب هذا عليه الكثير من المشاكل وأثار عليه حفيظة مثقفى الغرب وكسالى الشرق، غير أنه لم يحد عن طريق الحق رغم مزاعم المتهافتين والحاقدين الذين ادعوا زورا وبهتانا أنه قد ارتد عن

الإسلام، وتلك لعمرى دسيسة صهيونية لإظهاره بمظهر العدو للعرب والمسلمين وليس لليهود فقط، ومما يؤسف له أن العرب قد ابتلعوا هذا الطعم بسذاجة وكالوا له السباب والاتهامات، في الوقت الذي شنت عليه الصهيونية وأتباعها في الغرب حربا شعواء.

إن موقف جارودى من اليهود والصهيونية وقيام دولة إسرائيل هو موقف معروف ولا يحتاج إلى دليل وهو الأمر الذى أقام قيامة اليهود عليه عام ١٩٨٢ عقب صدور بيانه الشهير «مجازر لبنان: معنى العدوان الإسرائيلي»، والذى وقعه معه الأب ميشيل لولون والقس إيتان ماتيو. وقادت الحرب عليه جمعية «ليكرا» وهي جمعية صهيونية دولية مقرها باريس وتدعى مناهضة العنصرية واللاسامية. ودأبت هذه الجمعية على محاربته بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة. ونجحت في تقديمه إلى المحاكمة بتهمة النيل من الجنس اليهودى. وهي نفس التهمة التي يقف جارودى في الوقت الحالى بسببها أمام وهي نفس التهرنسية بمقتضى قانون جيسو الذي صدر عام ١٩٩٠، المحاكم الفرنسية بمقتضى قانون جيسو الذي صدر عام ١٩٩٠،

فقى أعقاب صدور هذا الكتاب الذي بين أيدينا، تلقى جارودى دعوى قضائية لأنه قال فى كتابه: إن النصوص التوراتية أو اضطهاد هتلر لليهود لا يمكن أن يبررا سنرقة أراضى فلسطينية واقتلاع سكانها وقمعهم بتلك الصورة الوحشية والدموية، كما أنها لا يمكن أن يبررا الخطة الإسرائيلية الرامية إلى تفكيك أواصر الدول العربية وتفريقها.

ولقد حاول جارودي في كتابه هذا أن يستكشف حقائق التاريخ الحديث في ضوء شهادات عتاة الصهيونيين وأن يكشف النقاب عن زيف الأساطير التي تأسست عليها السياسة الإسرائيلية فقام بتفنيد ما استندت إليه الصهيونية العالمية لإنشاء دولة إسرائيل، بالحجج والوثائق التاريخية، وهو ما أثار عليه شواظ غضب اليهود الذين شنوا عليه حربا ضروسا باتهامه بمعاداة السامية وبنفيه للتاريخ الرسمي الذي يؤكم على أن ضحايا الحرب العالمية الثانية من اليهود قد بلغوا ستة ملايين يهودي. وقد نجحت هذه الحملة في تعبئة الرأى العام الفرنسي ضده، في حين إنه لا يملك حتى حق الدفاع عن نفسه بعد أن رفضت جميع الصحف وأجهزة الإعلام نشر أو إذاعة حرف واحد من دفاعه عن نفسه. واكتفت بالهجوم على شخصه وعلى كل من ساندوه من أمثال الأب بيير، وهو من أكثر الشخصيات الدينية شعبية في فرنسا، وعرف بمواقفه الشجاعة في الدفاع عن الفقراء والمساكين والأجانب. فهو مؤسس جمعية «عمواس» الخيرية التي تسهر على تقديم العون للفقراء وعديمي المسكن وتخفيف وطأة الفقر عنهم وعن ذويهم. وقد تعرض هذا الأب الجليل في الأيام الأخيرة لحملة ضارية من الصحافة لوقوفه في صف واحد مع صديقه جارودي، وأسقطت عنه جمعية «ليكرا» المذكورة عضويتها الفخرية، فاضطر وهو في سن الرابعة والثمانين إلى الابتعاد عن باريس، والهجرة إلى الجبل لتفادي الملاحقات والامتهانات بعد أن نعتوه بالسفه والخرف.

ويحتوي الكتباب على ثلاثة أجزاء، فضلا عن مقدمة وخباتمة. فالجزء الأول يتناول «الأساطير اللاهوتية» ويعالج الجنزء الثاني موضوع «أساطير القرن العشرين» أما الجزء الثالث فقد كرسه للحديث عن «الاستخدام السيناسي للأسطورة». وفي تمهيده لهذا الكتباب يتساءل جارودي: لماذا هذا الكتاب؟ ويرد على ذلك بأنه جزء من ثلاثية خصصها لمحاربة التطرف لدي جميع الأديان السماوية. واستطرد يقول: إن هذا الجزء ينصب على الأساطير التي قامت عليها السياسية الإسرائيلية، . وقد حاولت شجب ما فيها من هرطقة سياسية صهيونية ترمى إلى استبدال رب إسرائيل بدولة إسرائيل، و إن دولة إسرائيل ما هي إلا «رد الرب على الهولوكوست». ثم قال: «إن هذا الكتاب يحافظ بأمانة على النقد السياسي والأيديولوجي دون إسراف أو تعسف. ونعتقد أنه مساهمة منا في معركة التوصل إلى سلام حقيقي يقوم على احترام الحقيقة التاريخية والقانون الدولي، وتفعيل التاريخ النقدي للعالم المعاصرة ـ

والواقع أن الذى أثار حفيظة اليهود والصهاينة فى الغرب هو كلامه عن معسكر أوشفيتز. وعن التشكيك فى رقم ٦ ملايين يهودى من ضحايا الحرب، وهو أمر يعتبر منطقة محظورة وقدس الأقداس. وقد نفى جارودى عن نفسه تهمة معاداة السامية أو اليهود، وأكد إنه يقف فقط مع الحق والحقيقة.

> حمدان جعفر محير عام دار الغد العربي



رجاء جارودی



الأب بيير



تنـويه من المؤلف

« إنه بعه أكثر من نصف قرن صدرت خلاليه كتبي عن أكبير دور نشر فرنسية، فإنني مضطر اليوم لأن أطبع هسندا الكتساب على نفقتي الخاصة، لأننى منذعام ١٩٨٢ قد خبرقت أحبد المحبرمات عنبدميا انتقادت السياسة الإسارائيلية، التي يدافع عنها الأن قانون «جيسو فايسوش الغاشم» الندي صسدر في ١٣ يـوليـه ١٩٩٠، والذي يعيـد في فـرنسـا جريمة الرأى التي سادت عصسر نابليون الثالث وجعلت قانونا قمعيا يعوض ضعف الحجج».

000

مقدمة المؤلف

هذا الكتاب هو تاريخ الهرطقة. وهو تاريخ يكمن في جعل الدين أداة للسياسة بإضفاء القداسة عليها عن طريق قراءة حرفية وانتقائية للكلام المنزّل.

وهذا هو المرض القاتل في نهاية هذا القرن الذي سبق لي أن عرَّفته في كتابي عن التطرف الديني .

ولقد حاربت هذه النزعة لدى المسلمين في كتابي «عظمة الإسلام وانحطاطه» مجازف بأن أغضب كل من لا يحبون أن أقول «إن التطرف الديني هو مرض الإسلام».

وحاربت هذه النزعة كذلك لدى المسيحيين في كتابي «نحو حرب بين الأديان»، مجازفا بأن أغضب كل من لا يحبون أن أقول «إن مسيح بولس ليس هو المسيح عيسى».

وأنا أحارب هذه النزعة الآن لدى اليهود في كتابي «الأساطير الموسّسة للسياسة الإسرائيلية» مجازفا بأن أثير ضدى عواصف الصهاينة ـ الإسرائيليين الذين لم يعجبهم أن يذكّرهم الحاخام هيرش بأن «الصهيونية قضت بأن يصبح الشعب اليهودي كيانا قوميا . . وتلك هي الهرطقة » .

[المصدر: جريدة الواشنجتن بوست الصادرة في ٣ أكتوبر ١٩٧٨].

فما هي الصهيونية التي أدينها وأفضحها علنا في كتابي «وليست

الديانة اليهودية»؟.

وهي غالبا ما عرَّفت نفسها بنفسها:

۱ ـ إنها عقيدة سياسية «منذ ١٨٩٦، ارتبطت الصهيونية بالحركة
 السياسية التي أسسها تيودور هرتزل».

[المصدر: موسوعة الصهيونية وإسرائيل. دار هرتزل، نيويورك ١٩٧١، المجلد الثاني، الصفحة ١٢٦٢].

٢- إنها عقيدة قومية لم تولد من اليهودية بل من القومية الأوروبية في القرن التاسع عشر . ولم ينتسب مؤسس الصهيونية ، هرتزل ، إلى الدين «إننى لا أنقاد لأى دافع دينى» .

[المصدر: تبودور هرتزل: اليوميات، طبعة فيكتور جولانسز، ١٩٥٨]. «فأنا لا غنوصي (أي أنه من اللاادرية)» [ص ٥٤٠].

فهو لا تهمه الأرض المقدسة بوجه خاص: فهو يقبل أيضا ومن المجل أيضا ومن المجل أيضا ومن المجل أيضا ومن المجل أهداف القومية، بأوغندا أو طرابلس أو قبرص أو الأرجنتين، أو موزمبيق، أو الكونغو. [المصدر: هرتزل، اليوميات، المرجع السابق].

ولكن أمام معارضة أصدقائه من أصحاب الديانة اليهودية، فإنه يعى أهمية الأسطورة القوية، كما يقول [اليوميات، المجلد الأول، ص ٥٦٠] التى «تؤلف صيحة للمّ الشعث ذات قوة لا تقهر».

[المصدر: هرتزل، الدولة اليهودية، ص ٥٠٠].

إن هذا شعار تعبوى لا تستطيع أى سياسة واقعية أن تتجاهله. وهو ماصرح به عندما حوَّل أسطورة العودة القوية إلى حقيقة تاريخية: "إن فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا ينسى.. وإن هذا الاسم وحده سيظل صيحة لمَّ الشمل القوية لشعبنا ».

[المصدر: هرتزل: الدولة اليهودية، ص ٢٠٩].

« إن المسألة اليهودية ليست بالنسبة لى مسألة اجتماعية ولا مسألة دينية . . إنها مسألة قومية » .

٣_ إنها عقيدة استعمارية . وهنا أيضا لا يخفى تيودور هرتزل الواعى أهدافه : فكخطوة أولى ، تحقيق « شركة ذات امتيازات » ، تحت حماية إنجلترا أو أى قوة أخرى ، في انتظار تحويلها إلى دولة يهودية .

ولنذا فإنه تسوجه نحو من اتضحت مهارته في هذا النوع من العمليات: المتاجر الاستعماري سيسيل رودس، الذي استطاع انطلاقا من شركته ذات الامتيازات تحويلها إلى دولة جنوب إفريقيا، التي كانت إحدى عناصرها تسمى باسمه: روديسيا.

فقد كتب إليه تيودور هرتزل في ١١ يناير ١٩٠٢ ما يلي :

« أرجوك أن ترسل إلى تصا يقول إنك قد فحصت برنامجى وأنك توافق عليه. وقد تتساءل لماذا أكتب إليك يا سيد رودس. ذلك أن برنامجى هو برنامج استعمارى » .

[المصدر: هرتزل، اليوميات، الجزء الثالث، ص ١٠٥].

عقيدة سياسية وقومية واستعمارية، تلك هي الخصائص الثلاث التي تشرح السياسة الصهيونية التي انتصرت في مؤتمر بازل في أغسطس ١٨٩٧، والتي انتصر بها تيودور هرتزل مؤسسها العبقرى والميكيافيلي، واستطاع أن يقول وعن حق، في نهاية هذا المؤتمر: «لقد أسست الدولة اليهودية » [المصدر : اليوميات، ص ٢٢٤].

وبالفعل وبعد مضى نصف قرن، كانت هذه هي السياسة التي سيطبقها بالضبط تلامذته بإنشاء دولة إسرائيل طبقا لأساليبه وتبعا لخطه السياسي (وذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية).

ولكن هذه العملية السياسية والقومية والاستعمارية، لم تكن بأي حال من الأحوال امتداداً للديانة والروحانية اليهودية.

ففى نفس وقت انعقاد مؤتمر بازل الذى لم ينعقد في ميونخ (كما كان يتوقعه هرتزل) بسبب معارضة الجالية اليهودية الألمانية، انعقد مؤتمر مونتريال في أمريكا (١٨٩٧) حيث تم التصويت وباقتراح من الحاخام إسحاق مايرويز، الشخصية اليهودية التي كانت تمثل اليهود هناك في ذلك الوقت، على قرار تعارضت فيه تعارضا جذريا قراءتان للتوراة، وهما القراءة السياسية والقبلية للصهيونية والقراءة الروحانية والكوئية للأنبياء.

«إننا نشجب تماما أي مبادرة تهدف إلى إنشاء دولة يهودية. و إن أي محاولات من هذا القبيل تكشف عن مفهوم خاطيء لرسالة إسرائيل..

التى كان الأنبياء اليهود هم أول من نادى بها . . ونؤكد أن هدف اليهودية ليس بهدف سياسى ولا قومى ، ولكن روحى . . فهو يشير إلى عصر مسيحى حيث يعترف كل الناس بأنهم ينتمون إلى طائفة واحدة كبرى لإنشاء مملكة الرب على الأرض » .

[المصدر: المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكيين، الكتاب السنوي السابع، ١٨٩٧، صفحة ١٢].

وهكذا كان رد الفعل الأول للمنظمات اليهودية ابتداء من « رابطة حاخامات ألمانيا »، وحتى « الاتحاد الإسرائيلي العالمي لفرنسا »، «والاتحاد الإسرائيلي العالمي لفرنسا »، «والاتحاد الإسرائيلي » في النمسا، وكذلك الرابطات اليهودية في لندن .

وهذه المعارضة حيال الصهيونية السياسية ، المستوحاة من التمسك بروحانية الديانة اليهودية ، ما فتئت تعبر عن نفسها حتى في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، عندما استغلت الصهيونية الإسرائيلية مرة أخرى ، المخاصمات والمشاحنات التى دارت بين الدول في الأمم المتحدة ، ولا سيما التأييد غير المشروط من الولايات المتحدة ، لكى تفوض نفسها كقوة مهيمنة ، وتمكنت بفضل مختلف أنواع اللوبى ، من عكس الاتجاه و إنجاح سياسة القوة الإسرائيلية الصهيونية ، على عكس ما كان متوقعا . ولكنها مع ذلك لم تفلح في تكميم نقد كبار الروحانين .

ولم يتوقف مارتن بوبر، أحد الأصوات اليهودية الكبري في هذا

القرن، طوال حياته، وحتى وفاته في إسرائيل، عن شجب انحلال الصهيونية الدينية وارتكاسها إلى صهيونية سياسية.

فقد أعلن مارتن بسوبر في نيويورك: « إن الشعور الذي اعتراني منذ ستين عاما، عندما انضممت إلى الحركة الصهيونية، هو في جوهره نفس الشعور الذي يعتريني اليوم. . لقد كان أملى ألا تتبع هذه القومية طريق الآخرين وأن تبدأ بآمال عريضة لكى لا تتنردى بعد ذلك حتى تصبح نزعة أنانية مقدسة، تجاسرت _ كموسوليني _ أن تعلن نفسها أنانية مقدسة، كما لو كانت الأنانية الجماعية تستطيع أن تكون أكثر قداسة من الأنانية الفردية .

وعندما عدنا إلى فلسطين، كان السؤال الحاسم هو: أتود أن تحضر إلى هنا كصديق وكأخ، وكعضو في مجتمع شعوب الشرق الأوسط، أو كممثل للاستعمار والإمبريالية؟.

لقد كان التناقض بين الهدف ووسائل بلوغه سببا في انقسام الصهاينة: فالبعض أراد أن يحظى بامتيازات سياسية خاصة من القوى العظمى، والآخرون، ولا سيما الشباب، أرادوا فقط السماح لهم بالعمل في فلسطين مع جيرانهم، من أجل فلسطين ومن أجل المستقبل.

ولكن كل شيء لم يكن يسير على ما يرام في علاقاتنا مع العرب، ومع ذلك فقد كانت هناك عموما الجيرة الحسنة بين قرية يهودية وأخرى عربية. وهـذه المـرحلة العضـويـة من الاستيطـان في فلسطين دامت حتى عصر هتلر.

وهتلبر الذى دفع بجموع اليهود إلى الذهاب إلى فلسطين، لا بالنّخب التى جاءت لمواصلة حياتها والإعداد للمستقبل. وهكذا فقد أعقب هذا التطور العضوى الانتقائى هجرة جماعية وما استلزمه ذلك من إيجاد قوة سياسية لسلامها وأمنها. . وقد فضلت غالبية اليهود أن يتعلموا من هتلر بدلا من أن يتعلموا منا . . ولقد برهن هتلر أن مسار التاريخ لا يساير مسار العقل، ولكن مسار القوة، وإنه عندما يكون أى شعب على قدر من القوة، فإنه يستطيع أن يقتل دون عقاب . . وهذه هى الحالة التى كان علينا أن نحاربها . . . وفي « إيهود » اقترحنا ألا يكتفى اليهود والعرب بالتعايش ولكن أن يتعاونوا . . وذلك بمقدوره يكتفى اليهود والعرب بالتعايش ولكن أن يتعاونوا . . وذلك بمقدوره إحداث تنمية اقتصادية في الشرق الأوسط، وبفضله يستطيع الشرق الأوسط أن يساهم بشكل كبير وجوهرى في مستقبل الإنسانية » .

[المصدر: النشرة اليهودية الصادرة في ٢ يونيه ١٩٥٨].

وفي بيانه الذي ألقاء أمام المؤتمر الصهيوني الثاني عشر المعقود في كارلسباد في ٥ سبتمبر ١٩٢١، قال: إننا نتكلم عن روح إسرائيل، كما إننا نؤمن بأننا لا نشبه الشعوب الأخرى...

ولكن إذا ما كانت روح إسرائيل ليست شيئًا آخر سوى تخليق هو يتنا القومية، وتبرير جميل لأنانيتنا الجماعية. . التي تحولت إلى صنم معبود، برفضنا قبول إله آخر سوى رب السموات، نكون

كالشعوب الأخرى، ونشرب معهم من الكأس التي تسكرهم فالأمة ليست هي القيمة العليا. . فاليهود أكثر من أن يكونوا أمة: إنهم أعضاء في جماعة مؤمنة.

« لقد اقتلعت الديانة اليهودية من جذورها، وهذا هو جوهر المرض الذى كانت أعراضه هي ولادة القومية اليهودية في منتصف القرن التاسع عشر. وهذا الشكل الجديد للرغبة في الأرض هي الخلفية التي آذنت بما استعارته اليهودية القومية الحديثة من القومية الحديثة في الغرب...

وما هو دور فكرة «اختيار إسرائيل» في كل ذلك؟ فالاختيار لا يعنى شعورا بالسمو، ولكنه يشير إلى معنى ألمصير. وهذا الشعور لا يولد من مقارنة مع الآخرين، ولكن من رسالة ومن منطلق مسئولية إنجاز مهمة لم يفتأ الأنبياء يذكّرون بها: إنكم إذا ما تفاخرتم بأنكم مختارون بدلا من أن تعيشوا في طاعة الله، فإن هذا ضرب من الغدر والخيانة ».

وختم حديثه بذكر تلك « الأزمة القومية » للصهيونية السياسية التي تعتبر تحريفا لروحانية الديانة اليهودية، قائلا:

«كنا نأمل في أن ننقل القومية اليهودية من خطأ تحويل شعب إلى صنم معبود. ولكننا قد أخفقنا ».

[المصدر: مارتن بويس، إسرائيل والعالم. نيبويبورك، ١٩٤٨ ، الصفحة [٢٦٣].

وقد اعتبر الأستاذ جوداس ماجنيس، رئيس الجامعة العبرية في

القدس منذ ١٩٢٦، أن « برنامج بلتيمور » لعام ١٩٤٢، الذي قضى بإنشاء دولة يهودية في فلسطين « سيؤدي إلى حرب ضد العرب ».

[المصدر: نورمان بتويش، من أجل صهيون. سيرة جوداس ماجنيس، فيلادلفيا، منشورات الجمعية اليهودية في أمريكا، ١٩٥٤، الصفحة ٣٥٢].

« وعند إلقائه لبيانه عند افتتاح هذه الجامعة العبرية في عام ١٩٤٦ والتى رأسها منذ • ٢ سنة ، قال: إن الصوت اليهودي الجديد يتكلم عبر فوهات البنادق . . . وهذه هى التوراة الجديدة لأرض إسرائيل . لقد تكبل العالم بقيود جنون القوة المادية . وليحفظنا الرب الآن من أقتياد اليهودية وشعب إسرائيل إلى هذا الجنون . إنها يهودية ملحدة تلك التى طعنت على جزء كبير من الشتات القوى . وكنا نعتقد زمن الصهيونية الرومانتيكية ، أن صهيون ينبغى افتداؤه بالاستقامة والنزاهة . ويتحمل الرومانتيكية ، أن صهيون ينبغى افتداؤه بالاستقامة والنزاهة . ويتحمل جميع يهود أمريكا مسئولية هذه الغلطة ، وهذا التحول . . حتى من لم يوافقوا على تصرفات الإدارة الملحدة ، ولكنهم ظلوا قاعدين مكتوفى يوافقوا على تضرفات الإدارة الملحدة ، ولكنهم ظلوا قاعدين مكتوفى

[المصدر: المرجع السابق ، ص ١٣١].

والواقع أنه منذ إعلان بلتيمور، كان القادة الصهاينة في أمريكا قد حصلوا على أكبر حام لهم: الولايات المتحدة، وقضت المنظمة الصهيونية العالمية على معارصة اليهود الأمناء على التقاليد الروحية لأنبياء إسرائيل، وطالبت بإنشاء ليس فحسب « وطن قومي يهودي في

فلسطين »، طبق النصوص (بل ولروح) إعلان بلفور، ولكن بإنشاء دولة يهودية في فلسطين.

وقد سبق الألبرت أينشتاين أن أدان في عام ١٩٣٨ هذا التوجه:

« في رأيى فإنه من المعقول أكثر التوصل إلى اتفاق مع العرب على أساس حياة مشتركة ومسالمة ، بدلا من إنشاء دولة يهودية . وإن إحساسى الذاتى بالطبيعة الجوهرية لليهودية يصطدم بفكرة دولة يهودية لها حدودها ، وجيشها ومشروعها للسلطة الدنيوية مهما كانت متواضعة . وأخشى من الخسائر الداخلية التى قد تتكبدها اليهودية بسبب قيام قومية ضيقة في صفوفنا . . وإننا لم نعد يهود عصر المكابى . ومجرد أن نصبح أمة بالمعنى السياسى للكلمة يساوى أننا المكابى . ومجرد أن نصبح أمة بالمعنى السياسى للكلمة يساوى أننا المنابى .

[المصدر: الحاخمام موشى مينوهن: انحلال اليهودية في زمننما، ١٩٦٩، صفحة ٢٣٢٤].

ولم تنقصنا رسائل التذكير كلما انتهكت إسرائيل القانون الدولى.

وسنكتفى هنا بذكر مشالين اثنين على ذلك، حيث قيل بصوت عال ما يراه ملايين اليهود ولكن دون أن يتمكنوا من الإفصاح عنه علانية خوفا من محاكم التفتيش الفكرية للوبى الإسرائيلي - الصهيونى: ففي عام ١٩٦٠، وأثناء محاكمة إيخمان في القدس، أعلن المجلس الأمريكى لليهودية:

« وجه المجلس الأمريكي لليهودية أمس الإثنين خطابا إلى السيد كريستين هرتر ينكر فيه حق الحكومة الإسرائيلية في التحدث باسم اليهود كافة.

ويعلن المجلس أن اليهودية هي مسألة دين وليست مسألة جنسية».

[المصدر: جريدة لموند، ٢١ يونيه ١٩٦٠].

وفي ٨ يونيه ١٩٨٢، كتب الأستاذ بنيامين كوهين، من جامعة تل أبيب، وأثناء غزو الإسرائيليين الدامي للبنان، إلى الأستاذ بيرفيدال ناكيه (١):

« أكتب إليك وأنا استمع إلى راديو الترانزيستور الذي أعلن « أننا » في سبيل تحقيق هدفنا في لبنان: وهو ضمان السلام لأهالى الجليل . وهذه الأكاذيب الجديرة بشخص كجوبلز، تجعلنى كالمجنون . ومن الواضح أن هذه الحرب الشرسة والضارية ، وهى حرب أكثر بربرية من كل سابقاتها ، لا علاقة لها بأى شيء ، لا بحادث الاغتيال الذي وقع في لندن ، ولا بأمن الجليل . . ولا اليهود ، أبناء إبراهيم . . هؤلاء اليهود اللذين هم ضحايا أنفسهم من جراء هذا الكم الضخم من الضراوة والوحشية ، هل يمكن أن يصبحوا على هذا القدر من الفظاظة والقساوة؟ إن أكبر نجاح للصهيونية هو «عدول اليهود عن

⁽١) وهو أستاذ فرنسي يهودي مشهور، يدرس التاريخ في جامعة السربون.

اليهودية» . . .

وأرجوكم أيها الأصدقاء أن تقوموا بكل ما في وسعكم لكى لا يحرز أتباع بيجين وشارون هدفهم وهو التصفية النهائية (وهي العبارة السائدة في أيامنا هذه) للفلسطينيين كشعب والإسرائيليين كبشر ».

[المصدر : خطاب منشور في جريدة « لموند » بتاريخ ١٩ يونيه ١٩٨٢ ، ص ٩].

« الأستاذ ليبوفيتس يدمغ السياسة الإسرائيلية في لبنان ويصفها بأنها يهودية ـ نازية ».

[المصدر: ايعدوت احرونوت، ٢ يوليه ١٩٨٢، ص٥٦].

وهذا هـو رهان المعركة بين الـديانة اليهـودية التوراتية وبين القـومية الصهيونية، التى تقوم مثلها في ذلك مثل أى قومية، على رفض الآخر وتقديس الذات.

فكل قومية في حاجة إلى تقديس ادعاءاتها: فبعد تفكك المسيحية، ادعت كل دولة - أمة أنها قد تلقت الإرث المقدس وأنها حازت على الولاية من الرب:

ففرنسا هى « البنت البكر للكنيسة »، والتى بها تتم أفعال الرب. وألمانيا هى « فوق الجميع » لأن الله معها. وأعلنت إيفا بيرون « أن رسالة الأرجنتين هى تقديم الله إلى العالم »، وفي عام ١٩٧٢، تكهن

بدوره رئيس وزراء جنوب إفريقيا، فورستر المشهور بعنصريته الوحشية المتمثلة في الفصل العنصرى، وأخذ يهذى بعبارات مثل «لا تنسوا أننا شعب الله، بعثنا برسالة». . . . وتشاطر القومية الصهيونية هذه النشوة مع كل القوميات .

وحتى الأذكياء والمستنيرين غمرتهم هذه النشوة.

فرجل مثل الأستاذ أندريه نهير، وفي كتابه الرائع: جوهر النبوءة (دار كلمان ليفي، ١٩٨٢، ص ــ ٣١١)، وبعد أن أثار بشكل جيد المعنى الكوني للتحالف: تحالف الرب مع الإنسان، أفضى به الحال إلى القول: إن إسرائيل هي وبامتياز «علامة التاريخ الإلهي في العالم، فإسرائيل هي محور العالم، وهي العصب والمركز والقلب». [ص ـ واسرائيل هي محور العالم، وهي العصب والمركز والقلب». [س ـ ٣١١].

ومثل هذه العبارات توحى وبشكل فاضح، «بالأسطورة الآرية» التى أسست أيديولوجيتها الجرمانوية والهتلرية. وعلى هذا الطريق، فإننا نقف على نقيض تعاليم الأنبياء وعبارة أنا وأنت الرائعة لمارتن بوبر،

والاستبداد بالرأى يلغى الحوار ويحول دونه: فلا يمكن التحاور مع هتلر ولا مع بيجين، لأن سموهم الجنسى أو تحالفوهم القسرى مع الإله، لا يترك أي مجال للآخر.

ولأننا نعى أنه في عصرنا هذا لا بديل عن الحوار أو الحرب، وأن

الحوار يقتضى، وهو ما لا نمل من ترديده، أن يعى كل إنسان منذ البداية ما ينقصه من إيمان، وأنه في حاجة إلى الآخر لسد هذا الفراغ لديه، وهو شرط كل تفوق على الذات، وكل رغبة في الكمال (وهو روح كل إيمان حيّ).

فإن مختاراتنا هذه عن الجريمة الصهيونية يسير في امتداد جهود هؤلاء اليهود الذين حاولوا الدفاع عن اليهودية التوراتية ومناصرتها ضد الصهيونية القبلية.

وما يغذى معاداة الصهيونية ليس نقد سياسة العدوان والإفك والدم التي تمارسها الصهيونية الإسرائيلية بل التأييد غير المشروط لهذه السياسة التي أضحت لا تحتفظ من التقاليد العظيمة لليهودية سوى ما يبرر هذه السياسة عن طريق التفسير الحرفي، وما يضعها فوق كل قانون دولي بإضفاء القداسة عليها بواسطة أساطير الغد واليوم.





القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية:

«إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضي التوراتية».

الجنرال موشى ديان، جيروزاليم بوست، ١٠ أغسطس ١٩٦٧ .

- في ٢٥ فبراير ١٩٩٤، قتل الدكتور باروخ جولدشتين العرب وهم
 يصلون في الحرم الإبراهيمي .
- وفي ٤ نوفمبر ١٩٩٥، اغتال إيجال عامير إسحاق رابين «بأمر من الرب» ومن جماعته المسلحة، التي تنادى بإعدام كل من يفرط في الأرض الموعودة «ليهودا وسامرا» (الضفة الغربية حاليا) ويسلمها للعرب.

أ) في التفسير المسيحي:

يوجز البيردى بورى، أستاذ العهد القديم فى كلية اللاهوت البروتستانتية فى جنيف، رسالته للدكتوراه «الوعد الإلهى والخرافة الشعائرية فى أدبيات يعقوب»، التى ناقش فيها كبار المؤرخين والمفسرين المحدثين وخاصة البرخت آلت ومارتن نوت، على النحو التالى:

"إن الموضوع التوراتي لهبة البلاد يستمد أصوله من "الوعد الأول" أي الوعد الإلهي لإبراهيم بحسب المأثور في سفر التكوين. فأقاويل سفر التكوين تنقل لنا في مرات عديدة وبأشكال مختلفة: إن الله وعد

الآباء وذرايتهم بملكية الأرض التي كانوا في سبيلهم إلى التوطن فيها . وهذا الوعد يبدو أنه ينطبق قبل كل شيء على المناطق الواقعة حاليا في الضفة الغربية .

ويعرض القصاصون التوراتيون علينا تاريخ أصول إسرائيل كسلسلة من العصور المحددة تحديدا دقيقا. فهم يدخلون كل الذكريات والتواريخ والخرافات والحكايات والأشعار التي وصلتهم والتي نقلها لنا التراث الشفهي، ضمن إطار محدد للأنساب والتأريخ. ويتفق معظم المفسرين المحدثين على أن هذه الصورة التاريخية ما هي إلا صورة وهمية إلى حدكبير.

وقد برهنت أعمال البرخت آلت ومارتن نوت وعلى وجه الخصوص أن التقسيم إلى عصور متوالية (الآباء ـ السخرة في مصر ـ غزو كنعان) هو تقسيم اصطناعي.

وفى معرض إيجازها لأعمال التفسير المعاصرة وفقا لمقولة البيردى بورى، كتبت السيدة فرنسواز سميت، عميدة كلية اللاهوت البروتسانتية في باريس تقول:

"إن البحوث التاريخية الأخيرة توصلت إلى تقليص العروض الكلاسيكية للخروج من مصر، وغزو كنعان، والوحدة القومية الإسرائيلية قبل المنفى، وصورتها على أنها قصة خرافية، فعلم التاريخ التوراتي لا يخبرنا بما يقصه علينا بل يخبرنا عمن كتبوه.

[المصدر: فرنسواز سميت: البروتستانت والتوراة وإسرائيل منذ عام ١٩٤٨ -

مجلة لالتر، نوفمبر ١٩٨٤، رقم ٣١٣، ص ٢٣].

لقد قدمت السيدة فرانسواز سميت فلورانتان توضيحا صارما لأسطورة الوعد في كتابها: «الأساطير غير الشرعية، دراسة حول الأرض الموعودة» لابور وفيديس، جنيف، ١٩٩٤.

ويستطرد البيردى بورى قائلا: إن معظم المفسرين قد أخذوا الوعد المعطى للآباء بمعناه الكلاسيكى على أنه إضفاء للشرعية _ بعد الأحداث _ على الغزو الإسرائيلي لفلسطين، أو على أنه امتداد للسيادة الإسرائيلية في عهد داود. بعبارة أخرى، فقد أدخل الوعد ضمن أحاديث الآباء بغية اتخاذ هذه الملحمة السلفية كتمهيد وكإعلان عن العصر الذهبي الداودي والسليماني .

ونستطيع الآن أن نحصر بإيجاز أصول الوعد المعطى للآباء:

ا _الوعد بالأرض، بمعنى الوعد بالاستقرار، وقد وجه أولا إلى قبائل البدو الرحل التي كانت تطمح إلى الاستقرار في مكان ما بالمناطق البدو الرحل التي كانت تطمح إلى الاستقرار في مكان ما بالمناطق الصالحة للسكنى. وبمقتضى هذا، فإن الوعد كان جزءا من الإرث الديني والروائي لعدة قبائل بدوية متباينة.

٢ _أما وعد الرُّحَّل فقد كان الغرض منه ليس الغزو السياسي أو العسكري لمنطقة محدودة .

٣ ـ وفي الأصل، فإن الوعد المعطى للآباء والذي تحدث عنه سفر التكوين، لم يقطعه يهوى (الرب المذي دخل فلسطين مع مجموعة

الخروج)، ولكن الرب الكنعاني ايل في إحدى أقانيمه المحلية. والرب المحلية . والرب المحلية . والرب المحلي، مالك الأرض، هو وحده الذي يستطيع أن يمنح للرُّحَّل حق الاستقرار في أراضيه .

3 ـ وبعد ذلك، وعندما تجمعت القبائل الرُّحَّل التي استقرت مع قبائل أخرى لتشكيل «شعب إسرائيل»، فإن الوعود القديمة كانت بمثابة أهداف قد تحققت، ومن ثم بدأ الوعد يتخذ أبعادا سياسية وعسكرية «وقومية». وعلى ذلك فإن الوعد بعد إعادة تفسيره على هذا النحو، فُهِمَ على أنه التجسيد المسبق للغزو النهائي لفلسطين، وكإعلان وإضفاء للشرعية على مملكة داود.

مضمون وعد الآباء:

"بينما يرجع وعد "الرُّحَّل"، الذي يهدف إلى توطين عشيرة موحدة ، إلى أصل يسبق الحوادث دون شك، فإن الأمر يختلف بالنسبة للوعد الموسع ذى الأبعاد "القومية". ونظرا لأن القبائل الإسرائيلية لم تتوحد إلا بعد استيطانها فى فلسطين، فإن إعادة تفسير وعد الرحل ليصبح وعدا بالسيادة السياسية، قد تمت بعد الأحداث. وعلى ذلك، فإن وعد سفر التكوين ١٥ ـ ١٨/ ٢١، الذي يتوخى سيادة الشعب المختار على جميع المناطق الواقعة "بين نهر مصر (= وادى العريش) والنهر الكبير نهر الفرات، وعلى جميع الشعوب التي تقطن هناك، هو بجلاء الكبير نهر الفرات، وعلى جميع الشعوب التي تقطن هناك، هو بجلاء نبوءة ما قبل الأحداث مستوحاة من غزوات داود.

وقد أتاحت البحوث التفسيرية التأكيد على أن توسيع وعد الرحل

وجعله وعدا «قوميا» قد حدث قبل تحرير أقاويل الأوائل خطيا .

ولقد عاش القصاص يهويا، الذي يعتبر أول قصاص كبير (أو بالأحرى: محرر الأحاديث) للعهد القديم، في عصر سليمان. ومن ثم فقد كان معاصرا وشاهدا على هذه العقود التي تحقق فيها وعد الآباء، الذي أعيد تفسيره في ضوء داود، بما يفوق كل الآمال.

ونص سفر التكوين ١٢ ــ٣ ب، هو نص من تلك النصوص الأساسية لفهم أعمال يهويا. ووفقا لهذا النص، فإن بركة إسرائيل قد رافقتها بركة جميع «قبائل الأرض». وقبائل الأرض هم أولا كل الشعوب التي كانت تتقاسم مع إسرائيل فلسطين والضفة الغربية.

وهكذا فإننا لسنا في حِل من التأكيد على أنه في فترة ما من فترات التاريخ، ظهر الرب أمام شخصية تاريخية تسمى إبراهيم وإنه قد منحه الصكوك الشرعية لامتلاك أرض كنعان. ومن الناحية القانونية، فإننا لا نملك أي صك للهبة موقعة من «الله»، بل ولدينا من الأسباب القوية ما يجعلنا نفكر في أن المنظر الوارد في سفر التكوين ١٢ ـ ١/٨؛ ١٣ ـ يجعلنا نفكر في سبيل المثال، لا يعكس حادثة تاريخية.

فهل من الممكن، والحال هذه، تفعيل وعد الآباء؟ فإذا كان معنى تفعيل الوعد هو استخدامه كصك من صكوك الملكية أو لوضعه في خدمة المطالبات السياسية، فهو قطعا ليس كذلك.

فليس هناك أي سياسة لها حق ادعاء كفالة الوعد وضمانه.

ولا نتفق بأى شكل من الأشكال مع أى من المسيحيين الذين يعتبرون وعود العهد القديم بمثابة إفضاء للشرعية على المطالبة بالأراضى الحالية لدولة إسرائيل".

[المصدر: اقتطفت كل هذه النصوص من المحاضرة التي ألقيت في ١٠ فبراير ١٩٧٥ في كريت بيرارد (سويسرا) والتي نشرت في مجلة الدراسات اللاهوتية والدينية ، العدد ٣، ١٩٧٦ (مونبليبه)] .

ب) في التفسير اليهودي للنبوءات:

(محاضرة الحاخام ألمر برجر، الرئيس السابق لرابطة «من أجل اليهودية» في الولايات المتحدة).

إنه من غير المقبول من أى إنسان الادعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل حاليا هو تحقيق لنبوءة توراتية ، ومن ثم فإن كل الأفعال التي قام بها الإسرائيليون لقيام دولتهم والإبقاء عليها هو تنفيذ لإرادة الرب.

إن السياسة الحالية لإسرائيل قد حطمت أو على الأقل قد طمست المعنى الروحاني لإسرائيل .

وأقترح أن نبحث عنصرين أساسيين لإرث النبوءات.

أ_أولا، فإنه عندما تحدث الأنبياء عن استعادة صهيون، فهذا لا يعنى الأرض التي كان لها في حد ذاتها صفة القداسة.

ف المحك المطلق الذي لا يقبل النقاش بشأن مفهوم نبوءة الخلاص، هو استعادة العلاقة بالرب، في وقت كانت فيه هذه العلاقة قد قطعت من جانب الملك وشعبه.

وقد قال ميشا ذلك بكل وضوح، «استمعوا إذن يا رؤساء بيت يعقوب، وقادة بيت إسرائيل، يامن تكرهون الخير وتحبون الشر، . . . يا من تبنون صهيون وسط حمَّامات من الدم والقدس بجرائمكم إن صهيون سَيُحرث كالحقل، وستصبح القدس (أورشاليم) كومة من الأطلال، وسيصبح جبل المعبد مكانا لعبادة الأصنام».

المصدر: ميشا الثالث، ١-١٢.

لن يكون صهيون مقدسا، إلا إذا سادت شريعة الله. وهذا لا يعنى أن كل الشريعة التي استنت للقدس هي شريعة مقدسة.

ب ـ وليست الأرض وحدها هي التي تتوقف عليها مراعاة العلاقة مع الرب والإخلاص لها: فإن الشعب الذي أعيد توطينه في صهيون يخضع لنفس مقتضيات العدالة والاستقامة والإخلاص التي للعلاقة مع الرب.

ولا يمكن لصهيون أن ينتظر إعادة شعب يعتمد على المعاهدات والتحالفات وعلاقات القوة العسكرية، أو على هيراركية حربية تحاول أن تفرض تفوقها على جيران إسرائيل.

. . . وتوضح تقاليد النبوءات بجلاء أن قداسة الأرض لا تتوقف على تُربتها، ولا على شعبها، ولا على الوجود الوحيد لهذا الشعب على هذه الأرض.

والأمر الوحيد المقدس والجدير بصهيون، هو التحالف الإلهى الذي تعبّر عنه مواقف شعبه.

ومع ذلك فإن دولة إسرائيل الحالية ليس لها أي حق في ادعاء تحقيق النية الإلهية من أجل عصر مسيحي . . .

فهذه هي محض غوغائية التربة والدم.

فلا الشعب بمقدس ولا الأرض بمقدسة وهما ليسا جديرين بأى امتيازات روحية في العالم.

إن النزعة الشمولية الصهيونية التي تسعى إلى إخضاع كل الشعب اليهودي، حتى ولو بالعنف والقوة، تجعل من هذا الشعب شعبا من بين الشعوب الأخرى وشبيه بها».

[المصدر: الحاخام ألمر برجر: «النبوءة والصهيونية ودولة إسرائيل»، محاضرة القيت في جامعة ليدن (هولندا) في ٢٠ مارس ١٩٦٨].

990

ولم يكن إيجال عامير، قاتـل إسحاق رابين، بعربيـد أو بمجنون، ولكنه النتاج الخالص للتربية الصهيونية .

فهو ابن حاخام، وطالب ممتاز في الجامعة الإكليركية بأرعيلان بالقرب من تل أبيب، وتشبع بتعاليم المدارس التلمودية، وجندى من جنود الصفوة في الجولان، ويحتفظ في مكتبته بسيرة باروخ جولدشتين (الـذي اغتال منـذ عـدة شهـور في الخليل، ٢٧ من العـرب وهم

يصلون). وهو لاشك قد شاهد في التليفزيون الرسمى الإسرائيلي، العرض الكبير الخاص بجماعة «إيال» (محاربو إسرائيل) وهم يحلفون على قبر مؤسس الصهيونية السياسية، تيودور هرتزل بأن «يعدموا أي شخص يفرط للعرب في أرض الميعاد» في يهودا وسامرا (الضفة الغربية حاليا).

ويندرج اغتيال الرئيس رابين (والاغتيالات التي اقترفها جولدشتين) ضمن المنطق الضيق لميشولوجية المتطرفين الصهيونيين؛ وكما يقول عامير: «إن الأمر بالقتل جاءه من الرب»، كما كان يحدث في عهد يشوع.

[المصدر: لموند، ٨ نوفمبر ١٩٩٥].

وهو لم يكن على هامش المجتمع الإسرائيلي: فإن المستوطنين في قرية إربا وحبرون (الجليل) كانوا يرقصون فرحا يوم اغتيال رابين وهم يسرددون مزاميسر داود حول الضسريح المقام على شرف باروخ جولسدشتين .

[المصدر: جريدة ألبيس (أسبانيا) الصادرة في ٧ نوفمبر ١٩٩٥، ص_٤].

لقد كان إسحاق رابين هدفا رمزيا، وليس كما ادعى بيل كلنتون عند تشييع جنازته، من أنه «قد حارب طوال حياته من أجل السلام» (وهو الذي قاد جيوش الاحتلال في بداية الانتفاضة وأعطى الأوامر بكسر عظام أيدى أطفال الأراضى الفلسطينية الذين لم يكن يملكون شيئا آخر سوى الأحجار للدفاع عن أرض أجدادهم).

ولكن إسحاق رابين، وبكثير من الواقعية، قد فهم (كما حدث للأمريكيين في فيتنام والفرنسيين في الجزائر) أن أي حل عسكرى نهائي غير ممكن إذا ما اصطدم الجيش، ليس بجيش آخر، ولكن بشعب بأكمله.

ومن ثم فإنه سار مع ياسر عرفات على طريق الحل الوسط: استقلل ذاتى إدارى لجزء من الأراضى التى شجبت قرارات الأمم المتحدة احتلالها، مع الإبقاء على الحماية العسكرية الإسرائيلية على «المستوطنات» المسروقة من الأهالي الأصليين والتي أصبحت كالخليل معاقل للتعصب والحقد.

ولقد كان هذا كثيرا بالنسبة لهؤلاء المتطرفين الذين كانوا يهتفون ضد رابين ودمغوه «بالخائن».

لقد كان رابين ضحية أسطورة «أرض الميعاد» كما حدث لآلاف من الفلسطينيين، وهي ذريعة ألفية للاستعمار الدموي.

ويدل هذا الاغتيال المتعصب مرة أخرى على أن السلام الحقيقى بين دولة إسرائيل تعيش في سلام داخل الحدود التي رسمها التقسيم في عام ١٩٤٧، وبين دولة فلسطينية مستقلة استقلالا تاما، يستلزم تصفية المستوطنات التي تشكل داخل الدولة الفلسطينية المقبلة، مصدرا للإثارة وقنابل موقوتة لحروب جديدة.



القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية:

"يمكن توزيع سكان العالم بين إسرائيل وبين الشعوب الأخرى برمتها. فإن إسرائيل هو الشعب المختار: وهو ركن أساسى من أركان العقيدة".

[المصدر: الحاخمام كموهين في كتمابه «التلممود»، بماريس، ١٩٨٦، صـ

هذه الأسطورة هي الإيمان دون أي أساس تاريخي، بأن الوحدانية قد ولدت مع العهد القديم. وعلى العكس يتضح من التوراة نفسها أن الاثنين اللذين قاما بكتابتها وهما: يهوى وإيلوهي، لم يكن أي منهما وحدانيًا: فقد كانا يناديان فقط بتفوق الإله العبراني على سائر الآلهة، وغيرته عليهم [سفر الحروج ٢٠، ٢ _ ٥]. ورب موآب. كِمُش، معترف به (سفر القضاة ١١، ٢٤ وسفر الملوك الثاني، ٢٧) مثل «الآلهة الأخرى» (سفر صموئيل الأول، ٢٧، ١٩).

وقد أضافت ترجمة مجمع الكنائس حاشية جاء فيها: «منذ زمن بعيد، كان الاعتقاد سائدا في إسرائيل بوجود آلهة أجانب وقوتهم». (ص ٦٨٠، حاشية د).

ولم يحدث إلا بعد المنفى، ولا سيمالدى الأنبياء أن ثبتت الوحدانية، أى الانتقال من صيغ مثل صيغ سفر الخروج: «لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى» (الخروج، ٢٠، ٣) إلى صيغ لا تكتفى بفرض الطاعة ليهوى وليس لللآلهة الآخرين وهو ما تكرر في سفر تثنية

الاشتراع: «لا تتبع آلهة أخر» (السادس، ١٤)، وتنادى: «أنا الرب، لا إلى غيرى» (الشعيا، ٤٥، ٢٢). وهذا التأكيد الذى لا يقبل الجدل بشأن الوحدانية يرجع تاريخه إلى النصف الثانى من القرن السادس ق. م (بين ٥٥٠ و ٥٣٩).

فالوحدانية في واقع الأمر هي ثمرة عملية نضج طويلة للحضارات الكبرى في الشرق الأوسط، حضارة ما بين النهرين وحضارة مصر.

واعتبارا من القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أمر الفرعون أخناتون بإزالة كلمة «رب» من جميع المعابد. وقد نقلت أنشودته للشمس حرفيا تقريبا في المنزمار ١٠٤، وكانت الديانة البابلية في طريقها إلى الوحدانية؛ وفي حديثه عن الرب مردوك، عدد المؤرخ أولبريت خطوات هذا التحول: «عندما تم الاعتراف بأن الآلهة المختلفة ما هي إلا تجليات لإله واحد. . لم يبق سوى خطوة واحدة لبلوغ نوع من الوحدانية».

[المصدر: أولبريت، الأديان في الشرق الأوسط، ص-١٥٩].

و «الأنشودة البابلية للخلق» (التي يرجع تاريخها إلى القرن الحادى عشر قبل الميلاد) تشهد على هذه «الخطوات الأخيرة»: «إذا كان البشر قد انقسموا حول الآلهة، فبالنسبة لنا، وبكل الأسماء التي سميناهم بها، فإنه هو ربنا».

وقد بلغ هذا الدين تلك الدرجة من السريرة حيث تظهر صورة العادل المتألم:

«أود أن أمدح رب الحكمة. . فإن الإله قد تخلى عنى . . . وكنت أظن إننى في خدمة الرب، ولكن المقادير الإلهية، في قاع اليم، فمن يفهمها؟ .

فمن هو إذن، إن لم يكن مردوك، هو رب البعث».

[المصدر: المرجع السابق، ص ٣٢٩_].

أما صورة أيوب، فهى سابقة عليها بعدة قرون. وثمة صورة مماثلة للعادل المتألم، وهى صورة دانيال (وهى غير ما جاء فى التوراة العبرية) الذى عاقبه الرب وأعاده إلى الأرض، موجودة فى النصوص الأوغاريتية فى رأس شمراء، التى سميت «التوراة الكنعانية» وهى سابقة على توراة العبرانيين لأن حزقيال يستشهد بدانيال بجانب أيوب (حزقيال ١٤، ١٤) و ٢٠).

وتلك مقسولات لا يتفسوق معناها السروحي أبدا على الفحص التاريخي .

وتلك على سبيل المشال الحال مع المقولة الرائعة بشأن مقاومة الاضطهاد والتحرر التي وردت في سفر الخروج. ولا يهم في شيء ألا يعتبر «عبور بحر البوص بمثابة حدث تاريخي»، كما يقول مرشيا إيلياد (١)، وهو لا يخص كافة العبرانيين، بل بعض المجموعات من الهاربين.

⁽١) مرشيا إيلياد، تتاريخ العقائد والأفكار الدينية، الجزء الأول ص ١٩٠ .

ولكن من المهم أن يرتبط الخروج من مصر، وفي هذه الصيغة الفخمة، بالاحتفال بعيد الفصح . .

بعد تفعيله وإدماجه في التاريخ المقدس ليهوا (٢).

وابتداء من عام ٦٢١ قبل الميلاد، كان الاحتفال بالخروج يكتسى طابع الشعائر النزراعية الكنعانية لعيد الفصح في الربيع: عيد بعث أدونيس. ومن ثم أصبح الخروج هو الصك المؤسس لنهضة شعب انتشله ربه من العبودية.

وتوجد التجربة الإلهية لانتشال الإنسان من عبوديته القديمة لدى مختلف الشعوب: فالتيهان الطويل في القرن الثالث عشر لقبيلة الازتيك «مكسيكا» التي لم تصل بعدما يزيد على القرن من المحن إلى الوادى إلا تحت إمرة ربها الذي فتح أمامها الطريق. وهو ما حدث كذلك بالنسبة للأمفار المُسارية نحو الحرية للقادرية الإفريقية.

وقد ارتبط استقرار القبائل الرُّحَّل أو المتجولة وخاصة في الشرق الأوسط، بهبة الأرض الموعودة بواسطة إله من الآلهة.

وثمة أساطير حفَّت بمسيرة الإنسان طوال حياته، مثل الطوفان، الذي عاقب به الرب أخطاء الإنسان وأعاد بدء خلقه، فهو موجود في كل الحضارات منذ جلجاميش وحتى بوبول فوه من قبائل المايا.

المؤلفة على شرف باشاماما، آلهة أو إله قبائل ألانكا.

فإذا لم يقف التعصب الاثنى حائلا، فلماذا لا نطرح حول هذه النصوص المقدسة، التي تعتبر بالنسبة لكل شعب من الشعوب بمثابة «العهد القديم»، نقاشا لاهوتيا بشأن فترات اكتشاف معنى الحياة ؟

وحينتذ فقط، فإن رسالة الحياة وأقوال المسيح، ستبلغ كونيتها الحقيقية: فهى ستتأصل فى جميع التجارب الإلهية المعاشة، ولن تتقلص أو حتى تختنق بتقاليد آحادية. إن الحياة الخاصة بالمسيح ورؤيته الجديدة تماما لمملكة الرب، لن تطمس لصالح مخطط تاريخى يبدأ فقط من وعود النصر المضروبة لشعب ما وحتى تحقيق هذه الوعود.

إنسالم نتحدث هنا إلا عن أديان الشرق الأوسط التي نشأت في أحضانها الوحدانية، وتشكل داخلها العبرانيون.

وفي حضارات أخرى، غير غربية، فإن المسيرة إلى الوحدانية تعتبر أقدم بكثير.

وعلى سبيل المثال في الهند في نصوص الفيدا.

«إن الحكماء يسمون الخالق الوحيد بأكثر من اسم» (أنشودة ريج _ فيدا الثالثــة ، ٧).

وفريهاسباتي: «إنه أبانا الذي يحتوى كل الآلهة» (الثالث، ١٨). «تعددت أسماؤه ولكنه واحد».

فهذه النصوص المقدسة يتراوح تاريخها بين القرن السادس عشر والسادس قبل ميلاد المسيح، وكان الأب مونشانان يسميها «أشعار الطقوس المطلقة».

[المصدر: جول مونشانان: الحياة الروحية في الهند، وخفايا الدين المسيحي. الصفحات ٢٣١_٢٣١].





القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية:

في ٩ أبريل ١٩٤٨، أباد مناحم بيجين ومعه وجدات أرجون العسكرية، سكان قرية ديرياسين البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة من الرجال والنساء والأطفال .

000

لن نناقش الفصل الخاص بالحفريات الأسطورية في التاريخ وادعاءات عملية الترقيع التاريخية هذه، لتبرير سياسة مّا، إلا في حالة خاصة هي الاستخدام الذرائعي للروايات التوراتية، ، لأنها ما انفكت تلعب دورا حاسما في مصير الغرب بتغطية العمليات الدموية منذ اضطهاد اليه ود من قبل الرومان، ثم المسيحيين، وحتى الحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش، والتحالفات المقدسة، والهيمنة الاستعمارية التي مارستها « الشعوب المختارة »، وحتى عمليات الابتزاز التي مارستها دولة إسرائيل، ليس فحسب بسياستها التوسعية في الشرق الأوسط ولكن بضغوط لوبياتها، وخاصة بأقوى لوبي لها وهي الولايات المتحدة، التي تلعب دورا هاما في سياسة آمريكا للسيطرة العالمية والعدوان العسكري.

هذا هو السبب في اختيارنا لهذا الماضي الأسطوري الذي يوجه المستقبل نحو ما يمكن أن يكون انتحارا كونيا.

+++

وتتضمن التوراة، وبما يفوق المذابح التي أمر بها « رب الجيوش»، النبوءات الكبرى لعاموسى وحزقيال وأشعيا وأيوب، وحتى البشارة «بتحالف جديد» مع دانيال.

وهذا التحالف الجديد (العهد الجديد) ينبىء في آن واحد ببدء أكبر تحول في تاريخ الإنسان والأنبياء، بصعود المسيح، وأراد به الله، كما يقول آباء الكنيسة الشرقية: «أن يصبح إنسانا لكي يتمكن الإنسان من أن يصبح إلها».

ثم كانت العودة مع القديس بولس، بالرؤية التقليدية للرب الأعلى والأقوى، الذى يوجه حياة الناس والطوائف من الخارج ومن أعلى، وليس « بالقانون » اليهودى ، ولكن « بعطية » مسيحية ظاهرها تحطيم مسئولية الإنسان . «فإنكم بالنعمة مخلصون بواسطة الإيمان وذلك ليس منكم إنما هو عطية الله» (رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس، الفصل الثانى ، ٨).

إننا لا نعالج التوراة بصفة عامة، وإنما فقط الجزء الذي يدعى النظام الثيوقراطى الإسرائيلى والحركة الصهيونية استلهامه: أى الأسفار الخمسة الأولى: التكوين، والخروج، والأحبار، والعدد، وتثنية الاشتراع، والملاحق المسماة الملاحق التاريخية وهي سفر يشوع، والقضاة، وصموئيل. فالتوراة اليهودية لا تشكل جزءا من النقد النبوءى الفخيم الذي يذكّر دائما بأن « علاقة الله بالإنسان » مشروطة وعالمية

وأنها مرتبطة بطاعة القانون الرباني وأنها مفتوحة أمام جميع الشعوب وكل الناس.

...

وأسفار التوراة والكتب التاريخية هى بمثابة تجميع خطى للتقاليد الشفهية التى جاء بها مؤرخو القرن التاسع ، ونُسَّاخ سليمان الذي كان همهم الأكبر هو إضفاء الشرعية على غزوات داود ومملكته وتفخيمها ، والتى مع ذلك لا سبيل هناك للتحقق منها بالمقارنة أو المقابلة التاريخية ، أو بالأطلال الأثرية ، ولا بوثائق أخرى سوى الكتابات التوراتية . ويتعلق الحدث الأول الذي أكدته التواريخ الخارجية بسليمان ، حيث توجد آثاره في المحفوظات الآشورية .

وإلى هنا، لا توجد أية مصادر خارجية أخرى غير الكتابات الموجودة في التوراة للتحقيق من تأريخيتها .

وعلى سبيل المثال، فإن الآثبار الأركيولوجية في حور بالعراق، لا تمدنا بأية معلومات إضافية عن إبراهيم، تماما مثلما أن حفائر أطلال طروادة لا تفيدنا بالجديد عن هكتور وبريام.

وفي سفر « العدد » (الفصل الحادي والثلاثون ، ٧ ـ ١٨).

يقال لنا إن مآثر « بنى إسرائيل »، الذين هزموا المدينين ، « فقاتلوا مدين كما أمر الرب موسى وقتلوا كل ذكر» « وسبى بنو إسرائيل نساء مدين » « وجميع مدنهم مع مساكنهم وقصورهم أحرقوها بالنار ».

وعندما عادوا إلى موسى، « فسخط موسى على وكلاء الجيش وقال لهم موسى هل استبقيتم الإناث كلهن، فالآن اقتلوا كل ذكسر من الأطفال وكل امرأة عرفت مضاجعة رجل اقتلوها، وأما إناث الأطفال اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن لكم ». (١٤ ـ ١٨).

وتابع يشوع، خليفة موسى ، وفي أثناء غزوه لكنعان، وبطريقة منهجية، سياسة « التطهير العرقي » التي أمر بها رب الجيوش.

« وفتح يشوع في ذلك اليوم مُقيدة وضربها بحد السيف وأبسل . ملكها وكل الأنفس التي فيها لم يبق باقيا فصنع بملك مقيدة كما صنع بملك أريحا. ثم اجتاز يشوع وجميع إسرائيل معه من مقيدة إلى لبنة وحاربها. فأسلمها الرب أيضا إلى أيدي إسرائيل وهي وملكها فضربوها بحد السيف وقتلوا كل نفس فيها فلم يُبقوا فيها باقيا وفعلوا بملكها كما فعلوا بملك أريحا. وجاز يشوع وجميع إسرائيل معه. من لبنة إلى لاكيش ونزل عليها وحاربها. فأسلم الرب لاكيش إلى أيدي إسرائيل فافتتحوها في اليوم الثاني وضربوها بحد السيف وقتلوا كل نفس فيها كما فعلوا بلبنة . حينئذ صعد هورام ملك جازر لنصرة لاليش فضربه يشوع هـ و وقومـ حتى لم يبق منهم بـاقيا . واجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لاكيش إلى عجلون ونزلوا عليها وحاربوها وافتتحوها في ذلك اليوم فضربوها بحد السيف وأبسل كل نفس فيها في ذلك اليوم عينه كما فعل بلاكيش . وصعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى صبرون وحاربوها ١٠٠٠

[المصدر: سفريشوع، القصل العاشر، ٣٤-٣٨].

وتستمر هذه الملحمة المملة في سرد وتعداد « عمليات الإبادة المقدسة » التي وقعت في الضفة الغربية .

وينبغى لنا، أمام هذه الأحاديث، طرح سؤالين اثنين أساسيين هما:

١ _ الأول بشأن صحتها التاريخية .

٢ _ والثانى بشأن عواقب التقليد الحرفى لـلإشادة.
 الإبادة.

أ) وعن النقطة الأولى:

فإننا نصطدم هنا بعلم الآثار. ويبدو أن الحفائر قد برهنت على أن الإسرائيليين الذين وصلوا في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لم يستطيعوا الاستيلاء على أريحا لأنها كانت غير مأهولة في ذلك الوقت. فمدينة عصر البرونز الوسيط كانت قد دمرت نحو ١٥٥٠ ثم هُجرت بعد ذلك. وفي القرن الرابع عشر، سُكنت بصورة ضعيفة، فقد وجدت آنية من الفخار ترجع إلى ذلك العصر داخل مقابر العصر البرونزى الوسيط التي استخدمت مرة أخرى، ومنزل به إبريق صغير يرجع إلى منتصف القرن الرابع عشر. ولا شيء هناك ينتسب إلى القرن الثالث عشر. ولا توجد أية آثار لحصون العصر البرونزى الحديث.

وكانت النتيجة التي توصلت إليها الآنسة ك. م. كينون أنه من

المستحيل ربط تدمير أريحا بدخول الإسرائيليين في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

[المصدر: ك . م : كينون: الحفر في أريحا، لندن، ١٩٥٧، الصفحات ٢٥٦_...

وهكذا الحال بالنسبة للاستيلاء على مدينة عاى. فقد، قامت بعثتان بالحفر والتنقيب في الموقع، وجاءت النتائج متطابقة، وهو أنه لم تكن تسوجد مدينة وقت قدوم الإسرائيليين، ولم يكن هناك ملك لآى، فقد كانت هناك أطلال تعود إلى ١٢٠٠ سنة.

[المصدر: الأب دى فو: التاريخ القديم لإسرائيل، باريس ١٩٧١، المجلد ١ ص. ٥٦٥].

ب) وعن النقطة الثانية.

لماذا لا يحذو، والحال هذه، أى يهودى متدين ومتطرف (أى متمسك بالقراءة الحرفية للتوراة) حذو هذه الشخصيات الجليلة المتمثلة في موسى ويشوع؟

وألم يذكر سفر العدد، وعندما بدأ غزو فلسطين (كنعان): "فسمع الحرب صوت إسرائيل ودفع إليهم الكنعانيين فأبسلوهم هم ومدنهم " (العدد، المحادى والعشرون، ٣)، ثم وبخصوص الأموريين وملكهم: "فضربه إسرائيل بحد السيف هو وقومه حتى لم يبق منهم أحدا، واستولوا على بلاده. " (العدد، الحادى والعشرون، ٣٥).

ويكرر سفر تثنية الاشتراع: « وإذا أدخلك الرب، إلهك الأرض التى أنت صائر إليها لترثها واستأصل أمما كثيرة . . فأبسلهم إبسالا (الفصل السابع، ١-٢). « فلا يقف أحد بين يديك حتى تفنيهم » (الفصل السابع، ٢٤).

ومن شارون إلى الحاخام مائير كاهانا، فذاك تجسيد للطريقة التي سيتبعها الصهاينة حيال الفلسطينيين.

ألم تكن مسيرة يشوع هى مسيرة مناحم بيجين عندما قضى في ٩ أبريل ١٩٤٨ على سكان دير ياسين، من الرجال والنساء والأطفال البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة ، وقتلهم هو وجنود « الأرجون » لكى يفر العرب العُزَّل مذعورين .

[المصدر: مناحم بيجين: العصيان، تاريخ الأرجون، ١٩٧٨ ، ص ٢٠٠].

فهو لم يطلب إلى اليهود، « ليس فحسب طرد العرب، بل الاستيلاء على كل فلسطين ».

وألم يكن طريق يشوع هى التى أشار إليها موشى ديان: « فإذا كنا نمتلك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فينبغى لنا أن نمتلك كذلك أرضى التوراة "؟

[المصدر: جيروزاليم بوست، ١٠ أغسطس ١٩٧٧].

وألم يكن طريق يشوع هو الطريق الذي وضعه يورام بن بورات في الجريدة الإسرايئلية الكبرى أديعوت أحرونوت، الصادرة في ١٤ يولية

١٩٧٢ : « لا صهيونية واستعمار للدولة اليهودية بدون إبعاد العرب وطردهم والاستيلاء على أراضيهم »؟

أما وسائل وأساليب هذا الاستيلاء علني الأرض فقد حددها رابين عندما كان جنرالا على الأراضي المحتلة: تكسير عظام ملقى الأحجار من أطفال الانتفاضة.

فماذا كان رد فعل المدارس التلمودية في إسرائيل؟ تسليم السلطة إلى أحد المسئولين المباشرين عن مذبحة صبرا وشاتيلا وهو الجنرال رفائيل إيتان الذي نادى «بزيادة تحصين المستوطنات اليهودية القائمة».

وبنفس هذا اليقين، اندفع الدكتور باروخ جولدشتين، وهو مستوطن من أصل أمريكي، من قرية أربه «الضفة الغربية» وقتل أكثر من سبعة وعشرين فلسطينيا وجرح أكثر من خمسين، وهم يصلون في الحرم الإبراهيمي. كان باروخ عضوا في جماعة متطرفة تأسست برعاية أريل شارون (أي تحت حماية من قاد منذابح صبرا وشاتيلا والذي كوفيء على جريمته بتعيينه وزيرا للإسكان، ومكلفا بتنمية المستسوطنات في الأراضي المحتلة)، وهدو الآن موضع تبجيل المتطرفين الذي يأتون إلى قبره بالزهور وينحنون لتقبيله، فهو الأمين على تقاليد يشوع الرامية إلى القضاء على كل شعوب كنعان من أجل على تقاليد يشوع الرامية إلى القضاء على كل شعوب كنعان من أجل الاستيلاء على أراضيهم.

689

وهذا التطهير العرقى الذي يمارس بشكل منتظم في دولة إسرائيل

اليوم، ينبع من مبدأ النقاء العرقى الذي يمنع امتزاج الدم اليهودي بأي دم دنس من دماء الآخرين.

وفي السطور التى تلى أمر الرب بالقضاء على السكان، يوصى الرب موسى وقومه بألا يزوج شعبه من بنات تلك الشعوب (سفر الخروج، الفصل الرابع والثلاثون، ١٦).

وفى سفر تثنية الاشتراع فإن الشعب المختار (الفصل السابع، ٦) لا ينبغى له الاختلاط بالآخرين: « ولا تصاهرهم ابنتك لا تعطها لابنه وابنته لا تأخذها لابنك » (الفصل السابع، ٣).

وهذا الفصل العنصري هو الطريقة الوحيدة لمنع تدنيس العنصر المختار من الرب، والدين الذي يربطه به .

وظل هذا الانفصال عن الآخر هو القانون. ففى كتابه « التلمود » (١) كتب الحاخام كوهين يقول: يمكن توزيع جميع سكان المعمورة بين إسرائيل والشعوب الأخرى جمعاء. فإسرائيل هو الشعب المختار».

أولم يتقاعس عزرا ونحميا، عقب عودتهما من المنفى، في تطبيق هذا الفصل العنصرى:

فقد بكى عزرا لأن الجنس الطاهر (كذا!) قد اختلط بشعوب البلاد (عزرا، الفصل التاسع، ٢).

⁽١) الحاخام كوهين: التلمود، باريس، ١٩٨٦ ، صفحة ١٠٤ .

وهو الذى أمر بالانتقاء الجنسى وبالتمييز العنصرى: «جميع هؤلاء اتخذوا نساء غريبات وكان منهن من ولدن بنين » (عزرا، الفصل العاشر، ٤٤). ويقول نحميا عن اليهود: « فطهرتهم من كل غريب » (نحميا، الفصل الثالث عشر، ٣٠).

ومرض الخسوف من الاختلاط ورفض الآخسر قد تجساوز البعد الجنسى . فرفض دم الآخر بالزواج المختط، يعنى رفض دينه كذلك وثقافته أو طريقة حياته .

وهكذا فإن "يهوا" ينفجر غضبا في وجه من ينحرفون عن الحقيقة ، والتى لا يوجد غيرها طبعا: فسوفونيا يقاتل ويحارب كل المكال الملابس الأجنبية ؛ ونحميا ضد اللغات الأجنبية : " وفى تلك الأيام أيضا رأيت يهودا قد تزوجوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ، وكان نصف كلام أولادهم بلغة أشدود ولم يكونوا يحسنون التكلم باليهودية بل بلسان شعب وشعب ، فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم رجالا ونتفت شعرهم واستحلفتهم بالله أن لاتعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا لكم ". (نحمبا، ١٣، ٢٣).

ومن يخالف ذلك، يتعرض للمحاكمة القاسية، وتؤكد ربيكا زوجة إسحاق وأم يعقوب: « وقالت رفقة (ربيكا) لإسحاق قد سئمت حياتى من أجل ابنتى حِث فإن تزوج يعقوب بامرأة من بنات حِث مثل هاتين أو من بنات سائر أهل هذه الأرض فمالى والحياة ». (التكوين، ۲۷ /

٤٦). وصاح والدا شمشون فزعا من زواج ابنهما من فلسطينية: « فقال له أبوه وأمه، أليس في بنات إخوتك وفي شعبى كله امرأة حتى تذهب وتأخذ امرأة من الفلسطينيين القُلْفِ: فقال شمشون لأبيه: بل إياها تأخذ لى لأنها حَسُنَت في عيني». (القضاة، ١٤/٣).

ويؤكد حاييم كوهين، الذى كان قاضيا بالمحكمة العليا في إسرائيل أنه: « من سخرية الأقدار المريرة أن تستخدم نفس الأطروحات البيولوجية والعنصرية التى روج لها النازى والتى أوحت لهم بقوانين نورمبرج الشائنة، كأساس لتعريف الوضع اليهودى داخل «دولة إسرائيل» (انظر جوزيف بادى ، القوانين الأساسية لدولة إسرائيل ، نيويورك ، ١٩٦٠ ، ص - ١٥٦) .

والواقع أن المسألة قد طرحت أثناء محاكمة مجرمي الحرب في نورمبرج، لدى استجواب منظر الإجناس جيولوس ستريشر:

« في ١٩٣٥ وأثناء انعقاد مؤتمر الحزب في نورمبرج صدرت القوانين العنصرية». فهل تم استدعاؤك أثناء إعداد مشروع القانون هذا لإسداء المشورة، وهل اشتركت بأى شكل من الأشكال في وضع هذه القوانين ؟.

ورد المتهم ستريش: أجل! اعتقد أننى شاركت في ذلك و إننى منذ سنوات وأنا أكتب أنه ينبغى في المستقبل منع أى اختلاط للدم الألمانى بالدم اليهودى. وقد كتبت عدة مقالات في هذا المعنى، وكررت دائما أننا ينبغى أن نأخذ الجنس اليهودى، الشعب اليهودى،

كنموذج . وأعدت في مقالاتى أن اليهود يجب اعتبارهم كنموذج للأجناس الأخرى ، لأنهم يتبعون قانونا عنصريا ، هو قانون موسى ، اللأجناس الأخرى ، لأنهم يتبعون قانونا عنصريا ، هو قانون موسى ، اللذى يقول: إذا ذهبت إلى بلد أجنبي ، ينبغي لك ألا تأخذ امرأة أجنبية » . وهذا أيها السادة ، على درجة كبيرة من الأهمية للحكم على قوانين نورمبرج ، فهى قوانين يهودية أخذت كنموذج . فهى أصل قوانين نورمبرج ، فهى قوانين يهودية أخذت كنموذج . فهى أصل الحفاظ على الهوية اليهودية التى عاشت طوال عدة قرون في حين أن الأجناس الأخرى والحضارات الأخرى قد اندثرت » .

[المصدر: محاكمة كبار مجرمي الحرب أمام المحكمة العسكرية الدولية (نورمبرج: ١٤ نوقير ١٩٤٥ - أكتوبر ١٩٤٦ . النص الرسمي باللغة الفرنسية)].

وهكذا وضع المشرّعون والمستشارون في وزارة الداخلية النازية قوانين نورمبرج، وحق أهالي الرايخ، وحماية الدم الألماني والشرف الألماني ».

ويعلق هؤلاء المستشارون والمشرّعون على هذا قائلين:

« بناء على رغبة هتلر (الفوهرر) ، فإن قوانين نورمبرج لا تستلزم حقيقة اتخاذ تدابير من شأنها أن تزيد من حدة التعصب العنصرى وانتشاره ، بل على النقيض من ذلك ، فإن مثل هذه التدابير تعنى بداية نوع من الهدوء في العلاقات بين الشعب اليهودى والشعب الألمانى. وهكذا فإن أشد الصهاينة غلوا لم يظهروا أى نوع من المعارضة ضد روح قوانين نورمبرج».

وهـذه العنصـريـة ، نمـوذج كل أنــواع العنصـريـة الأخـرى، هي أيديولوجية تستخدم لتبرير هيمنة الشعوب المنختلفة.

وأدت الحرفية إلى التمادى في المتجازر التي قام بها يشوع: « إن مستوطنى أمريكا من البروتستنت الأطهار، كانوا في سبيل الاستيلاء على أراضى الهنود ومطاردتهم، وهم يتذرعون بيشوع « وعمليات الإبادة المقدسة » للعمالقة والفلسطينين .

[المصدر: توماس نلسون، وأطهار ماسا شوشتش اليهودية، المجلد السادس عشر، رقم ۲، ۱۹۶۷].

وتندرج أيديولوجية « الترنسفير » أى نقل السكان في إطار متوسط بين الإبادة الكنعانية والخوف من الاختلاط، وتساندها الآن غالبية حاخامات يهودا وسامرا. وتقوم هذه السياسة على أساس قراءة متطرفة للنصوص المقدسة، مثل الخطاب الموجه من الأحبار إلى اليهود يستحلفونهم فيها عدم ممارسة اختلاط الأجناس (الأحبار ١٩/ ١٩). وأمرهم بالتمييز بين الدم الطاهر والدم الدنس (الأحبار ٢٠/ ٢٠)، وذلك من والذي ميز بين إسرائيل والشعوب الأخرى (الأحبار ٢٠/ ٢٤)، وذلك من أجل ممارسة التميز العنصرى (المخروج ٨/ ١٩).

وهكذا لم يتورع الحاخام الأكبر سيتروك أن يقول عام ١٩٩٣ دون رادع أو وازع من أي جهة من الجهات:

« أود ألا يتزوج الشباب اليهود أبدا إلا من شابات يهوديات ».

وهكذا فإن إسرائيل « المقدسة » (الأحبار ٢٠ / ٢٦) ينبغي ألا تتدنس

(عزراً : ٩ / ١١) بالاتصال بشعوب أخرى التي مقتها الرب (الأحبار ، ٢٠ / ٣٣).

وتكرر هذا المنع مرارا وتكرارا.

« ولا تصاهرهم ابنتك لا تعطها لابنه وابنته لا تأخذها لابنك، لأنه يغوى ابنك عن اتباعى. . ». (تثنية الاشتراع ٧/ ٣-٤). « ولكن إذا ارتددتم واختلطتم ببقية هؤلاء الأمم (الشعوب الكنعانية) ، الذين بقوا معكم وصاهرتموهم ودخلتم بينهم ودخلوا بينكم ، فاعلموا أن الرب إلهكم لا يعود يطرد أولئك الأمم من وجهكم بل يصيرون لكم وهقا ومعثرة وسوطا على جنوبكم وشوكا في عيونكم حتى تضمحلوا عن هذه الأرض الصالحة التي أعطاكم الرب إلهكم ». (سفريشوع ، ٢٢ / ٢٢ ـ ١٠٠).

وفي أن نوفير ١٩٧٥، وفي جلسة عامة، اعتبرت منظمة الأمم المتحدة أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري.

ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتى، وضعت الولايات المتحدة يدها على الأمم المتحدة وحصلت فى ١٦ ديسمبسر ١٩٩١، على قرار بإلغاء القرار العادل الصادر في سنة ١٩٧٥. مع أن الحقائق تثبت أن لا شيء قد تغير منذ ١٩٧٥، فقد اتخذ بالأحرى قمع الشعب الفلسطينى واستعماره وإبادته الجماعية البطيئة، أبعادا أوسع لم يسبق لها مثيل.



١- أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية

في عام ١٩٤١، اقترف إسحاق شامير الجريمة لاتغتفر من الناحية الأخلاقية، فقد دعا إلى التحالف مع هتلر ومع ألمانيا النازية ضد بريطانيا».

(بن زوهار، بن جوريون، النبي المسلح، باريس، ١٩٦٦، ص-٩٩).

عندما بدأت الحرب ضد هتلر، وقفت الغالبية العظمى من المنظمات اليه ودية إلى جانب الحلفاء، بل إن غالبية زعماء اليهود ومنهم حاييم وايزمان، اتخذوا موقفا مساندا للحلفاء، إلا أن الجماعة الصهيونية رغم أقليتها في ألمانيا آنذاك اتخذت سياسة مخالفة منذ الصهيونية رغم أقليتها في ألمانيا آنذاك اتخذت سياسة مخالفة منذ المسلطات وحتى ١٩٤١، وتواطأت بل وتعاونت مع هتلر. وكانت السلطات النازية ، وفي الوقت الذي كانت تضطهد فيه اليهود بطردهم من الوظائف العامة على سبيل المشال في مرحلة أولى، تتحاور مع القادة الصهاينة الألمان ومنحتهم معاملة تفضيلية بتمييزهم عن اليهود من ذوى النزعة المتطرفة الذين كانت تطاردهم.

ولا ينصب الاتهام بالتواطؤ مع السلطات النازية على الغالبية العظمى من اليهود، بل إن بعضهم لم ينتظر الحرب العالمية لمكافحة الفاشية بالسلاح في إسبانيا من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩ في صفوف الفرق الدولية . وأنشأ بعضهم في جيتو وارسو «لجنة الكفاح اليهودية» وماتوا وهم يحاربون .

ولكن هذا الاتهام ينطبق على الأقلية التى كانت منظمة تنظيما جيدا والمكونة من القادة الصهاينة الذين كان همهم الوحيد إنشاء دولة يهودية قوية.

وكان اهتمامهم الوحيد بإنشاء دولة يهودية قوية وحتى رؤيتهم العنصرية للعالم، قد جعل عداوتهم للإنجليز أشد من عداوتهم للنازية.

وبعد الحرب، أصبحوا، كمناحم بيجين أو إسحاق شامير، قادة الصدارة في دولة إسرائيل.

900

وبتاريخ ٥ سبتمبر ١٩٣٩ ـ أى بعد يـومين من إعلان إنجلترا وفرنسا الحرب على ألمانيا، كتب حاييم ويـزمان رئيس الـوكالة اليهـودية إلى تشمبرلين، رئيس وزراء صاحب الجلالـة ملك إنجلترا، خطابا يبلغه فيه: إننا نحن اليهود في جانب بـريطانيـا العظمى وسنحارب من أجل الديموقراطية ».

مشيرا إلى أن « المفوضين عن اليهود على استعداد فورى لإبرام اتفاق للسماح باستخدام كل قواهم وعدتهم من الرجال ومهاراتهم التقنية ومساعداتهم المادية وكل قدراتهم ». وقد نشر هذا الخطاب في « الجويش كرونيكل » يوم ٨ سبتمر ١٩٣٩ ، وهو يعتبر بمثابة إعلان

حرب صريح من العالم اليهودى ضد ألمانيا. وقد طرح هذا الخطاب مشكلة احتجاز كل اليهود الألمان في معسكرات الاعتقال بوصفهم «رعايا شعب في حالة حرب مع ألمانيا » كما فعل الأمريكان مع مواطنيهم من أصل ياباني عشية دخولهم الحرب مع اليابان.

...

ولقد برهن الزعماء الصهاينة، في عصر الفاشية الهتلرية والموسولنية، على سلوك غامض ومشبوه بدءا من عرقلة الكفاح ضد الفاشية وحتى محاولة التعاون.

فالهدف الأساسى للصهاينة لم يكن إنقاذ حياة اليهود ولكن إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وقد أعلن أول رئيس لدولة إسرائيل، بن جوريون، ودون مواربة، في ٧ ديسمبر ١٩٣٨، أمام القادة الصهاينة من « العمال »: لو كنت أعلم أنه من الممكن إنقاذ كل أطفال ألمانيا بإحضارهم إلى إنجلترا، أو إنقاد نصفهم فقط بنقلهم إلى إسرائيل الكبرى، لاخترت الحل الثاني . لأننا يجب أن نحرص ليس فحسب على حياة هؤلاء الأطفال، بل وعلى تاريخ شعب إسرائيل أيضا ».

[المصدر : إيفون جلبنير، السياسية الصهيونية ومصير اليهودية الأوروبية، القدس، المجلد الثاني عشر، ص-١٩٩].

« لم يكن إنقاذ يهود أوروبا على رأس أولويات الطبقة الحاكمة، بل كان تأسيس دولة هو الأمر المهيمن في نظرهم ». [المصدر: توم سيجيف، المليون السابع، باريس ١٩٩٣، ص-٥٣٩].

وهذا التعصب يوحى بموقف الوفد الصهيونى في مؤتمر إيفيان، في يوليه ١٩٣٨، حيث اجتمعت ٣١ دولة لمناقشة استيعاب لاجئى المانيا النازية، فقد طالب الوفد الصهيونى وكحل وحيد ممكن، بقبول مائتى ألف يهودى في فلسطين،

لقد كانت الدولة اليهودية بالنسبة لهم أهم من حياة اليهود.

إن العدو الرئيسى بالنسبة لزعماء الصهاينة هو ذوبان اليهود وتمثلهم في مجتمعاتهم. وهم يلتقون في ذلك مع الفكر الأساسى لأى عنصرية، بما في ذلك العنصرية الهتلرية، وهو نقاء الدم. ولهذا السبب، وطبقا لمعاداة السامية المنظمة التى دفعت زعماء النازية إلى مطاردة كل اليهود من ألمانيا ثم من أوروبا عندما سيطروا عليها، فإن النازيين اعتبروا الصهاينة بمثابة السند لهم لأنهم يخدمون هذا المخطط.

وهناك قرائن تدل على هذا التواطؤ. فقد وجه الاتحاد الصهيوني الألماني إلى حزب النازى مذكرة في ١ يونيه ١٩٣٣، أعلن فيها ما بلى:

« بتأسيس دولة جديدة ، أعلنت مبدأ الجنس ، نأمل أن تتواءم طائفتان مع الهياكل الجديدة . . . و إن اعترافنا بالجنسية اليهودية

يسمح لنا بإقامة علاقات واضحة وصادقة مع الشعب الألمانى وحقائقه القومية والعنصرية. وذلك لأننا لا نود أن نقلل من قدر المبادئ الأساسية ، ولأننا أيضا ضد الزيجات المختلطة . . فاليهود الواعون بهويتهم والذين نتحدث باسمهم ، يستطيعون أن يجدوا مكانا لهم داخل هياكل الدولة الألمانية ، لأنهم قد تحرروا من الشعور بالحقد والضغينة الذي يعانى منه اليهود الذين تمثلتهم المجتمعات الموجودين بها؟ . . إننا نعتقد في إمكانية العلاقات المخلصة بين اليهود الواعين بطائفتهم وبالدولة الألمانية .

ولبلوغ هذه الأهداف العملية ، تأمل الصهيونية في أن تتمكن من التعاون حتى مع حكومة معادية تماما لليهود . . فإن تحقيق الصهيونية لا يضيره حقد اليهود في الخارج ، وعدائهم للتوجه الألماني الحالى . والدعاية للمقاطعة _ والموجهة حاليا ضد ألمانيا _ هى في جوهرها ليست صهيونية .

[المصدر: لوسى داووفيش ، قارئ للهلوكوست، ص ١٥٥].

وأضافت المذكرة: وإنه في حالمة موافقة الألمان على هذا التعاون، سيسعى الصهاينة بكل جهدهم إلى تحويل اليهود في الخارج عن المناداة بالمقاطعة ضد ألمانيا.

[المصدر لوسى داووفيش، الحرب ضد اليهود (١٩٣٣ - ١٩٤٥) لندن، ١٩٧٧ ، الصفحتان ٢٣١، ٢٣٢].

رحب الزعماء الهتلريون بتوجهات قادة الصهاينة الذين يتفقون معهم في التخلص من اليهود من أجل همهم الوحيد بإنشاء دولتهم في فلسطين. وكتب المنظر النازى الرئيسى الفريد روزنبرج: ينبغى مساندة الصهيونية بكل قوة حتى يتسنى نقل مجموعة من اليهود الألمان سنويا إلى فلسطين.

[المصدر أ. روزتبرج : مسار اليهبود على مدار الزمن ، ميونخ ، ١٩٣٧ ، ص ١٥٣].

وكتب رينهارت هيدريش في عام ١٩٣٥: يجب علينا أن نقسم اليهود إلى فئتين: الصهاينة ومؤيدى الاستيعاب في المجتمات الأخرى . فالصهاينة ينادون بمفهوم عنصرى بحت ، وبالهجرة إلى فلسطين ، يساعدون على بناء دولتهم اليهودية الخاصة بهم . . ولهم تمنياتنا وإرادتنا الرسمية .

· [المصدر: هوهن: جمعية رأس الميت، ص ٣٣٣].

وكتب مولاو شوانت إلى وزارة الداخلية: ليس هناك من الأسباب ما يدعو إلى عرقلة النشاط الصهيوني في ألمانيا بواسطة أى إجراءات إدارية ، لأن الصهيونية لا تتعارض مع برنامج الاشتراكية القومية (النازية) التي هدفها هو إبعاد يهود ألمانيا تدريجيا .

[المصدر : الخطاب رقم ٢١ ـ ٢١ ، المؤرخ في ٢٨ / ٨٨ / ١٩٣٥]. وقد طبقت هذه الأوامر بحذافيرها لتأكيد الإجراءات السابقة . وبفضل هذا المركز التفضيلي للصهيونية في ألمانيا النازية ، كتب الجيستابو البافاري إلى البوليس في ٢٨ يناير ١٩٣٥ ، هذا المنشور: «ينبغي ألا يعامل أعضاء المنظمة الصهيونية وبسبب نشاطهم الموجه نحو الهجرة إلى فلسطين ، بنفس الصرامة الواجبة حيال أعضاء المنظمات اليهودية الألمانية ».

[المصدر: كورت جروسمان، « الصهاينة وغير الصهاينة في ظل القانون النازي في الثلاثينات المجلد الرابع، ، ص • ٣١].

« لقد كان وجود المنظمة الصهيونية ليهود ألمانيا وجودا قانونيا وشرعيا حتى عام ١٩٣٨، أي بعد مضى خمس سنوات على اعتلاء هتلر الحكم. . واستمرت صحيفة الصهاينة الألمان تصدر حتى ١٩٣٨».

[المصدر: ليوبوفيتش، إسرائيل واليهودية، ١٩٩٣، ص١١٦].

وفي مقابل الاعتراف الرسمى بالزعماء الصهاينة بوصفهم الممثلين السوحيدين للطائفة اليهودية ، فقد عرضوا القيام بكسر الحصار والمقاطعة التي كان أعداء الفاشية في العالم يحاولون فرضهما.

وابتداء من ۱۹۳۳، بدأ التعاون الاقتصادى: وأنشئت شركتان هما: شركة هعفرا، في تل أبيب، وشركة يالترو، في برلين.

وكانت آلية العملية على النحو التالي: يودع أي يهودي يرغب في الهجرة، في بنك فاربورج في الهجرة، في بنك فاربورج في

هامبورج، مبلغا لا يقل عن • • ١ جنيه استرليني وبهذا المبلغ يشترى المصدرون اليهود بضائع ألمانية وجهتها فلسطين، ومع دفّع القيمة المقابلة بالجنيهات الفلسطينية، ولحساب شركة هعفرا، في البنك الإنجلو فلسطيني في تل أبيب. وعندما يصل المهاجر إلى فلسطين، يتسلم ما يعادل المبلغ الذي أودعه في ألمانيا.

وقد شارك عدد كبير من رؤساء وزراء إسرائيل في هذه العملية ولا سيما بن جوريون وموشى شاريت (الذي كان يسمى جينذاك موشى شرتوك) وجولدا مائير التى ساندتها انطلافا من نيويورك، وليفى أشكول الذى كان هو الممثل في برلين.

[المصدر: «بن جوريون وشرتوك»، ص ٢٩٤].

ولقد كانت العملية مربحة بالنسبة للطرفين: فقد نجح النازى في تحطيم الحصار (ونجح الصهاينة في بيع بضائع ألمانية حتى في إنجلترا)، وحقق الصهاينة هجرة « انتقائية » كما أرادوها: فالمليونيرات وحدهم كان بوسعهم الهجرة (والتي كانت رؤوس أموالهم تسمح بتنمية الاستيطان الصهيوني في فلسطين). وطبقا لأهداف الصهيونية، فقد كان الأهم هو إنقاذ رؤوس الأموال اليهودية من ألمانيا النازية لكى تتاح لها توسيع عمليتها، و إن حياة اليهود المعدمين أو غير القادرين على العمل أو على الحرب، ما هي إلا عالة وعبء ثقيل.

ودامت سياسة التعاون هذه حتى ١٩٤١ (أى طوال ٨ سنوات بعد وصول هتلر إلى السلطة). وكان إيخمان هو همزة الوصل مع كاستنر. فقد كشفت محاكمة إيخمان، وفي جزء منها على الأقل، عن آليات هذا التواطؤ « والمبادلات » بين اليهود الصهاينة « المهمين » بالنسبة لإنشاء الدولة اليهودية (شخصيات غنية، تقنيون، شبان قادرون على تعزيز الجيوش . . . إلخ) وبين كتلة من اليهود أقل نفعا ومتروكة في يد هتلر.

وأعلن رئيس هـذه اللجنة إسحاق جرونبوم في ١٨ يناير ١٩٤٣: الصهيونية مُقدمة على كل شيء . .

وأظن أن من يطالب بمثل هذه الأمور فإنما يقترف إثما ضد الصهيونية ».

[المصدر: جرونبوم: أيام التدمير، ص ٦٨٠].

وقد كان ذلك هو وجهة نظر بن جوريون أيضا: " إن مهمة الصهيوني لا تكمن في إنقاذ " بقية " إسرائيل الموجودة في أوروبا، ولكن في إنقاذ أرض إسرائيل للشعب اليهودي ".

« واتفق زعماء الوكالة اليهودية على أن الأقلية التي يمكن إنقاذها ينبغى أن يتم اختيارها وفقا لاحتياجات المشروع الصهيوني في فلسطين».

[المصدر: توم سجيف، ص ١٢٥، ص ١٥٨].

وقد حضرحنا أرنت، أحد كبار المدافعين عن القضية اليهودية بدراساته وكتبه، هذه المناقشات. وخصها بكتاب هو: إيخمان في القدس، بيَّن فيه (الصفحات ١٤٣ ـ ١٤١٠) سلبية بل وتواطؤ المجالس اليهودية التي كان ثلثاها يُدار بمعرفة الصهاينة.

ومن واقع كتاب إيسايا ترونك: «طبقا لحسابات فروديجر، كان من الممكن إنقاذ خمسين في المائة من اليهود إذا كانوا قد خالفوا تعليمات المجالس اليهودية ولم يتبعوها». (صفحة ١٤١).

والأمر الذى له مغزاه هو ما حدث أثناء احتفالات الذكرى الخمسين بانتفاضة جيتو وارسو، والذى طلب فيه رئيس دولة إسرائيل من ليش فاليزى، رئيس بولندا، ألا يعطى الكلمة لماريك إبدلمان، الرئيس المساعد لهذا العصيان وأحد الذين نجوا ومازالوا على قيد الحياة.

فقد أجرى ماريك ايدلمان فعلا مقابلة آدوار التير من صحيفة هارتس الإسرائيلية في ١٩٩٣، ذكر فيها بمن كانوا هم المحرضين الحقيقيين وإبطال اللجنة اليهودية للكفاح في جيبتو وارسو، وهم

الاشتراكيون من البوند والمعادون للصهيونية، والشيوعيون، وأتباع تروتسكى، من أمثال ميخائيل روزنفلد ومالازيمتبوم، مع أدلمان وأقلية من صهاينة اليسار في بوعالى زيون أو هاشومر هتزائير.

فقد ناضل هؤلاء ضد النازية بالسلاح كما فعل اليهود المتطوعون مع الفرق الدولية في إسبانيا وفرنسا، أثناء الاحتلال، والأعضاء اليهود في اليد العاملة المهاجرة.

ويحكى ناحوم جولدمان، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية « ثم » «المجلس اليهودى العالمي »، في سيرته النداتية، مقابلته المأساوية مع وزير الخارجية التشيكي إدوار بينيس في ١٩٣٥، التي عاب فيها على الصهاينة كسرهم لحصار هتلر بواسطة شركة هعفرا (واتفاقات النقل) ورفض المنظمة الصهيونية العالمية تنظيم المقاومة ضد النازية.

« لم أشعر في حياتي بالأسى والخزى في أى مقابلة من المقابلات العديدة التى أجريتها، إلا خلال هاتين الساعتين، لقد أحسست بكل شعرة في جسمى أن بينيس كان على حق ».

[المصدر: ناحوم جولدمان، السيرة الذاتية، الصفحات ١٥٧ ـ ١٥٨].

«وقد استقبل موسوليني وايزمان في ٣ يناير ١٩٢٣ ومرة أخرى في ١٧ سبتمبر ١٩٢٦ وتحدث ناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية مع موسوليني في ٢٦ أكتوبر ١٩٢٧ ، الذي قال له:

سأساعدكم في إنشاء هذه الدولة اليهودية ». (جولدمان، السيرة الذاتية، ص ١٧٠).

وقد بلغت سياسة التواطؤ هذه ذروتها في عام ١٩٤١ عندما اقترفت مجموعة من غلاة الصهاينة المتطرفين، وهي مجموعة «ليحي» (المحاربون من أجل تحرير إسرائيل) والتي كان يرأسها إبراهام ستيرن، وبعد وفاته ترويكا من بينهم إسحق شبامير، «جريمة لا تغتفر من الناحية الأخلاقية وهي المناداة بتحالف مع هتلر، مع ألمانيا النازية، وضد بريطانيا».

[المصدر: بارزوهار، بن جوريون، المرجع السابق، باريس ١٩٦٦، ص_

وكشف أليزرها ليفي، النقابى العمالى المعروف، وعضو كيبوتز يهوى، في أسبوعية «هوتام» التى تصدر في تل أبيب (بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٨٣) عن وجود وثيقة موقعة من إسحق شامير، (الذى كان يسمى حينئذ يزرنيتسكى) وإبراهام شيترن، سلمت إلى سفارة ألمانيا في أنقرة، في الوقت الذى كانت الحرب في أوروبا على أشدها، والتى وطأت فيها قوات روميل أرض مصر، جاء فيها: «من ناحية المفهوم، فنحن نطابق مع مفهومكم. فلماذا إذن لا نتعاون مع بعضنا البعض؟ ».

ويؤكد أحد الرؤساء التاريخيين لمجموعة « شتيرن »، وهو إسرائيل

الداد، في مقال له نشر في جريدة أديعوب أحرونوت اليومية الصادرة في تل أبيب بتاريخ ٤ فبراير ١٩٨٣، على صحة هذه المباحثات بين حركته والممثلين الرسميين لألمانيا النازية.

وهاك بعض الفقرات الريئسية لهذا النص: «المبادىء الأساسية للمنظمة العسكرية الوطنية في فلسطين (أرجون زفاى ليومى) بشأن حل المسألة اليهودية في أوروبا والمشاركة النشطة للمنظمة في الحرب إلى جانب ألمانيا ». يتبين من أقوال قادة دولة ألمانيا القومية الاشتراكية (النازية) أن الحل الجذرى للمسألة اليهودية يكمن في إجلاء الجموع اليهوديسة عن أوروبا . وأن هذا هو الشرط الأولي لحل المشكلة اليهودية ، ولكن هذا لا يمكن إلا بتوطين تلك الجموع في فلسطين ، في دولة يهودية ، وداخل حدودها التاريخية .

وإن حل المشكلة اليهودية بصورة نهائية ، وتحرير الشعب اليهودى، هو هدف النشاط السياسى والسنوات الطويلة لكفاح «الحركة من أجل حرية إسرائيل» (ليحيى) ومنظمتها العسكرية الوطنية في فلسطين. (أرجون زفاى ليومى). وتعترف المنظمة بالموقف المتسامح لحكومة الريخ حيال الأنشطة الصهيونية داخل ألمانيا وبالخطط الصهيونية للهجرة، وأن المنظمة تعرض مشاركتها في الحرب إلى جانب ألمانيا شريطة اعتراف حكومة ألمانيا بالتطلعات القومية لحركة ليحى.

وسيسير تعاون حركة تحرير إسرائيل ، طبقا للبيانات الأخيرة

لمستشار الريخ الألماني التي شدد فيها السيد هتلر على أن أي مفاوضات وأي تحالفات ينبغي أن تساهم في عزل إنجلترا وهزيمتها.

والمنظمة، بهياكلها ومفهومها للعالم، مرتبطة ارتباطا وثيقا جللحركات الشمولية الأوروبية».

[المصدر: النص الأصلى باللغة الألمانية المنشور في كتباب دافيد يزرائيلى: المسألة الفلسطينية في السياسة الألمانية، من ١٨٨٩ إلى ١٩٤٥، ١٩٧٤، ص ٣١٥].

وحسب مصادر الصحافة الإسرائيلية، التى نشرت عشرات المقالات في هذا الموضوع، فإن النازى لم يأخذ اقتراحات شتيرن، والسيد شامير وأصدقائه على محمل الجد أبدا.

وقد توقفت المفاوضات بين الطرفين عندما ألقت قوات الحلفاء القبض في يونيه ١٩٤١، على مندوب شتيرن وشامير، وهو نفتالى لوبنتشيك، داخل مكتب الجهاز السرى النازى في دمشق. وهناك أعضاء في المجموعة واصلوا الاتصالات حتى إلقاء القبض على إسحاق شامير من طرف السلطات البريطانية في ديسمبر ١٩٤١، بتهمة « الإرهاب والتعاون مع العدو النازى ».

ومثل هذا الماضى لم يمنع إسحاق شنامير من أن يصبح رئيس وزراء وأن يكون اليوم أيضًا رئيسا لمعارضة قوية وأشدها تمسكا باحتلال الضفة الغربية. وفي الحقيقة فإن الزعماء الصهاينة، رغم مخاصماتهم الداخلية ، يواصلون نفس الهدف العنصرى: طرد السكان العرب الأصليين بالترويع والاغتصاب أو النفى ، لكى يظلوا وحدهم الغزاة والأسياد .

لقد صرح بن جوريون: « إن بيجين ينتمى دون شك إلى النمط الهتلرى. فهو عنصرى على استعداد لإبادة كل العرب لتحقيق حلمه بتوحيد إسرائيل، وهو مستعد لإنجاز هذا الهدف المقدس، باستخدام كل الوسائل».

[المصدر أ. هابر، مناجم بيجين، الرجل والأسطورة، نيويورك، ١٩٧٩، ص ٣٨٥].

ونفس هذا الابن جوريون لم يؤمن أبدا بإمكانية التعايش مع العرب. وكلما قل عدد العرب على تخوم دولة إسرائيل، كلما كان ذلك أفضل.

وفي عام ١٩٤٠، ولإثارة السخط على الإنجليز الذين كانوا قد قرروا إنقاذ اليهود المهددين من هتلر، وذلك باستضافتهم في جزيرة موريشيس، فإن الباخرة التي كانت تنقلهم وهي ناقلة البضائع الفرنسية «باتريا»، وعند توقفها في ميناء حيفا يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٤٠، لم يتردد الزعماء الصهاينة من جماعة الهاجاناه (وكان رئيسهم بن جوريون) في تفجيرها، مما أدى إلى وفاة ٢٥٢ يهوديا وأفراد طاقم الباخرة الإنجليز.

[المصدر: دکتور هرتــزل روزيلوم، ۱۹۵۸ وجويش نيوزلتر نيــويورك، نوفمبر ۱۹۵۸]. ويؤكد يهودا باور حقيقة هذا التفجير بواسطة الهاجاناه ، وعدد الضحايا، في كتابه يهود للبيع .

[باریس، ۱۹۹۹، ص ـ ۸٤].

ومثال آخر، العراق:

لقد كانت الطائفة اليهودية (١١٠٠٠ شخص في ١٩٤٨) متأصلة في البلاد تماما. وأعلن حاخام العراق الأكبر خدورى ساسون: « لقد تمتع اليهود والعرب بنفس الحقوق والامتيازات منذ ألف سنة ولم يعتبروا أنفسهم عناصر غريبة أو منفصلة عن هذا البلد ».

ثم بدأت التصرفات الإرهابية الإسرائيلية ، في ١٩٥٠ في بغداد. وأمام إحجام اليهود العراقيين وترددهم في تسجيل أنفسهم على قوائم الهجرة إلى إسرائيل، لم تتردد الأجهزة السرية الإسرائيلية ومن أجل إقناعهم بأنهم في خطر، بإلقاء القنابل عليهم. . وقتل الهجوم على معبد « شيم توف » ثلاثة أشخاص وجرح العشرات . وهكذا بدأ الخروج الجماعي المسمى « عملية على بابا ».

[المصدر: جريدة أديعوت أحرونوت، ٨ نوفير ١٩٧٧].

وكان الهدف المنشود هو تجميع اليهود في جيتو عالمي .

ولقد أثبتت الوقائع أن تيودور هرتزل كان على حق. وكان اليهود الصالحون يرددون كل يوم: «العام القادم في القدس». وجعلوا من القدس رمزا لتحالف الرب مع الإنسان. ولكن «العودة» لم تتم إلا بتخويف اليهود من التعرض لخطر أعداء السامية في البلدان الأجنبية.

وفي ٣١ أغسطس ١٩٤٩، وفي حديث موجه لمجموعة من الأمريكيين الذين كانوا في زيارة لإسرائيل، قال بن جوريون: «رغم أننا حقفنا حلمنا بإنشاء دولة يهودية ، فإننا ما زلنا في البداية. فلا يوجد في إسرائيل اليوم سوى ٠٠٠٠٠ يهودي، بينما غالبية الشعب اليهودي مازالت موجودة في الخارج. ومهمتنا القادمة هي إحضار جميع اليهود إلى إسرائيل ».

وكان هدف بن جوريون هو إحضار أربعة ملايين يهودى في الفترة ما بين ١٩٥١ و ١٩٦١، ولم يحضر سوى ٥٠٠٠٠، وفي عام ١٩٦٠، وصل طوال السنة ٥٠٠٠ مهاجر فقط. وفي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، كانت الهجرة خارج إسرائيل تفوق الهجرة إليها.

وبعض عمليات الاضطهاد الكبرى ، كالتي حدثت في رومانيا، هي التي كانت وراء « العودة ».

وحتى فظاعة هتلر وأعماله الشرسة لم تنجح في تحقيق حلم بن جوريون.

فمن بين ضحايا النازية من اليهود الذين التجأوا إلى الخارج بين ١٩٣٥ و ١٩٤٣ ، ذهب منهم بالكاد نسبة ٥,٨٪ ليإقامة في إسرائيل. وحددت الولايات المتحدة استقبالهم بعدد ١٨٢٠ (أقل من ٧٪)، وإنجلترا بعدد ١٠٠٠ (أقل من ٢٪) أما الغالبية العظمى، أي نسبة ٧٥٪، فقد لجأت إلى الاتحاد السوفيتي.

[المصدر « معهد الشئون اليهودية ، في نيويورك].

وثمة مثال نموذجى للتلاعب بالتاريخ من طرف المؤرخين الرسميين، ورد في كتاب يهودا باور الأخير، وهو عضو بمعهد التاريخ المعاصر لليهود في الجامعة العبرية في القدس. فكتابه عنوانه: يهود للبيع، مع عنوان جانبى: المفاوضات بين النازى واليهود، ١٩٣٣ ـ ١٩٤٥، وصدر في باريس عام ١٩٩٦.

ويدل مظهر الكتاب الخارجي على أنه عمل علمي بما يحتويه من حواشٍ بلغ عددها ٥٢٣ حاشية مرجعية وببليوغرافية وفهارس . . إلخ .

هذا في الظاهر فقط، لأن بعض المصادر التي تعالج الموضوع، والتي لم يستطع المؤلف تجاهلها ، مرت مرّ الكرام وفي صمت (ربما لأنها تتعارض مع نظريته التي ترمي إلى إبراز عناية زعماء الصهاينة بانتزاع اليهود الفقراء من براثن هتلر، في وقت كانوا يمارسون فيه نوعا من «الانتقاء»).

والأعمال التى ذكرها المؤلف ، تنبع كلها من مؤلفات عائلته الروحية الصهيونية . ولم يشر الكتاب إلى تواطؤ جمعية أرجون تزفاى ليومى مع هتلر في ١٩٤١ ، الذى اقترحه شامير . وقد وضع باور قائمة بأسماء « المتفاوضين » مع هتلر ، وأضاف : « وقد أصبحوا كلهم من الأبطال » أما كل من نادى بمقاطعة هتلر على مستوى العالم ، فهم في نظره ليسوا بأبطال !

وغاية الكتاب هي محاولة إخفاء حقيقة أساسية هي أن الشغل الشاغل للزعماء الصهاينة أثنا حكم هتلر، لم يكن إنقاذ اليهود من نار

النازي، بل وطبقا للمشروع الصهيوني السياسي الذي وضعه تيودور هرتزل، هو تأسيس « دولة يهودية » قوية .

والموضوع الرئيسى الثانى للكتاب هو الإيهام بأن حرب هتلر « هى حرب ضد اليهود » وليست حربا ضد الشيوعية في المقام الأول، مما جعله يوجه معظم قوته الحربية تجاه الشرق، والسعى إلى إبرام سلام منفرد مع الولايات المتحدة بل وحتى مع إنجلترا ، لكى يضمن الهيمنة على كل أوروبا دون الحاجة إلى المحاربة على جبهتين.

" إن جميع المؤرخين يتفقون على أن هيملر كان يفضل سلاما منفصلا مع الغرب حتى يكرس كل قواه ضد الخطر البلشقى " (ص ١٦٧٠) " وكان فون بوبن يعتقد اعتقادا راسخا في تفاهم قادم مع الولايات المتحدة وألمانيا للوقف كسد في وجه الشيوعية " (باور، ص ١٨٩).

ولقد كانت « المفاوضات » بين الصهاينة والنازى هدفها بالضبط هو هذا الهدف ، وهو ما اضطر باور بالاعتراف به .

« لقد كان النازى يعرفون ، وعلى النقيض من الروس ، أن حكومة صاحب الجلالة وحكومة الولايات المتحدة لهما من الضعف السياسى ما لا يسمح لهما بتحمل أى ضغوط من الضغوط التي يمارسها اليهود عليهما » . (باور ، ص-٢٦٠).

وفي عام ١٩٤٤ ، اقترح إيخمان على المندوب الصهيوني براند،

مبادلة مليون يهودي مقابل ١٠٠٠٠ شاحنة لاستخدامها على الجبهة الروسية دون سواها.

وساند بن جوريون وموشى شاريت (شرتوك) هذا العرض ، ووجه بن جوريون بالفعل نداء شخصيا إلى روزفلت «حتى لا تفلت هذه الفرصة الفريدة وربما الأخيرة لإنقاذ آخر يهود أوروبا ». ولقد كان الهدف واضحا: مبادلة اليهود مقابل معدات إستراتيجية ، بل وإقامة اتصالات دبلوماسية مع الغرب، وهى اتصالات قد تؤدى إلى سلام مفرد ، أو حتى إلى حرب يشترك فيها الألمان مع الغربيين ضد السوفيت» (باور، ص-٣٤٣).

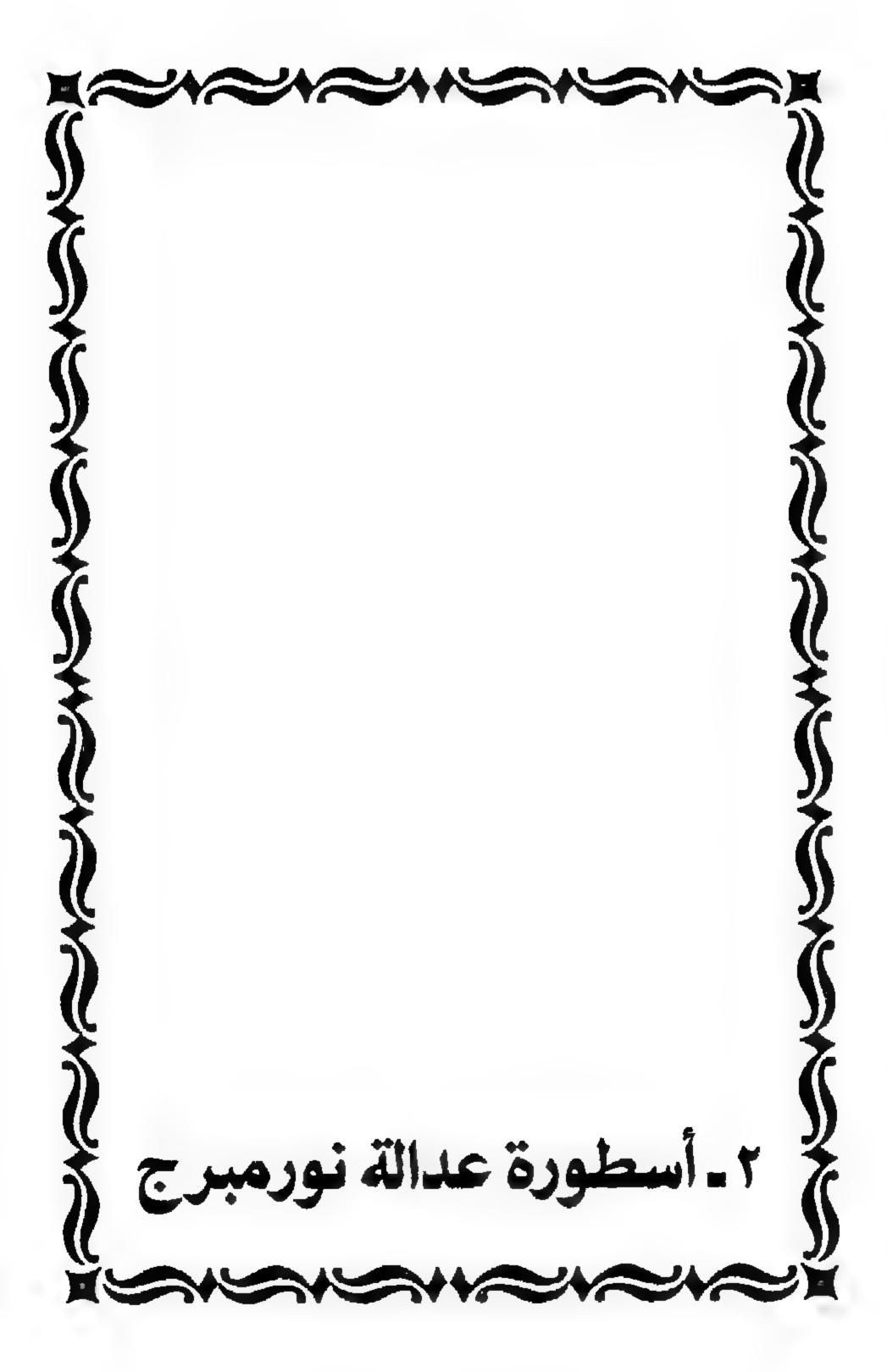
وأخفقت هذه المؤامرة عندما قام الأمريكان والإنجليز بإبلاغ السوفييت بهذه المساومات. ويقول باور في هذا الصدد: «لقد كان الدور الأساسي لروسيا في المعركة ضد ألمانيا النازية بمثابة الدعم الجوهري لصلابة موقف الحلفاء. فقد انهزم الفرماخت (الجيش الألماني) في روسيا على يد الجيش الأحمر. وبدون السوفيت وما عانوه، وبدون أعمالهم البطولية، فإن الحرب كانت ستدوم سنوات وسنوات وربما لم نكسبها ». (باور ص-٣٤٧).

وعلى كل حال ، فإنه من البداية وحتى النهاية ، لم يفكر الزعماء الصهاينة (وهم الذين تولوا الحكم في إسرائيل مثل شامير) إلا في تأسيس دولة قسوية في فلسطين ، ولم يفكروا لحظة واحدة في المسئوليات التى تقع على عاتق جماعة المقاومين لهتلر، كما لو أن

النازيين لم يكن لهم أعداء أو ضحايا إلا اليهود، وأن الأمر لا يعدو سوى إنقاد اليهود وحدهم.

وحتى الإنجليز فقد انتهى بهم الحال إلى إظهار سخطهم لهذه الرغبة في تجاهل معاناة • ٥ مليون من ضحايا الهتلرية، والمطالبة بإنقاذ اليهود دون سواهم ولكن ليس كل اليهود بل كل من يقدر منهم على بناء دولة قوية في فلسطين.

...



« إن هذه المحكمة تمثل استمرارا لجهود حرب الدول الحليفة » روبرت جاسكون النائب العام للولايات المتحدة (جلسة ٢٦ يوليه ١٩٤٦).

في ٨ أغسطس ١٩٤٥ ، اجتمع الزعماء الأمريكيون والإنجليز والفرنسيون والروس في لندن للاتفاق على « ملاحقة وتوقيع العقاب على كبار مجرمي الحرب التابعين لقوى المحور» وذلك بإنشاء محكمة عسكرية دولية (المادة الأولى ، أ).

وقد صُنفت الجرائم في المادة ٦ من الفصل الثاني على النحو التالى:

۱ _ جرائم ضد السلام، وهي تتعلق بتحديد مسئولية من قاموا بإشعال الحرب.

٢ _ جرائم الحرب، وتخص قوانين وأعراف الحروب.

٣ ـ جرائم ضد الإنسانية ، وهي الجرائم المقترفة ضد المدنيين . وتشكيل مثل هذه المحكمة يحتاج إلى بعض التعليقات:

أولا ـ أنها لم تكن محكمة دولية حيث لم تتشكل إلا من المنتصرين في الحرب، وبالتالى فإن الجرائم التي كانت ستحجز هي الجرائم التي اقترفها المنهزمون، وهو ما اعترف به النائب العام الأمريكي روبرت جاكسون الذي كان يرأس جلسة ٢٦ يوليه ١٩٤٦، حيث قال: ما زال

الحلفاء عمليا في خالة حرب مع ألمانيا . . . وبوصفها محكمة عسكرية ، فإن هذه المحكمة لا تمثل سوى استمرار لجهود حرب الشعوب الحليفة » .

_وعلى هذا فالأمر يتعلق بمحكمة استثنائية تشكل آخر فصل من فصول الحرب، وتنفى من حيث مبدأها، المسئولية عن المنتصرين، وقبل كل شيء مسئوليتهم عن إشعال الحرب.

ففى نورمبرج لم تطرح مسألة ما إذا كانت معاهدة فرساى، بكل عواقبها، وخاصة تضاعف حالات الإفلاس، وكذلك البطالة، قد أتاحت لشخص كهتلر الوصول إلى الذروة بموافقة غالبية الشعب الألماني (١). وعلى سبيل المثال، إجبار ألمانيا المهزومة في ١٩١٨، على دفع ١٣٢ مليار من الماركات الذهب، كتعويضات حرب، في الوقت كانت فيه الثروة القومية لألمانيا تبلغ ٢٦٠ مليار مارك ذهبًا.

وإنهار الاقتصاد الألماني وأصيب الشعب الألماني بالإحباط من جراء عمليات الإفلاس وتدهور العملة، وخاصة البطالة، مما أدى إلى صعود نجم هتلر بمنحه أسهل المبررات لدعم فكرته الرئيسية وهي إلغاء معاهدة فرساى وما تضمنته من بؤس و إذلال للشعب الألماني.

⁽١) في ١٩١٩، كتب الاقتصادى الشهير لورد أورج كينز يقول: بمعاهدة كهذه، فإن حربا جديدة ستقوم بعد عشرين عام.

وعندما حصل هتلر وأعوانه من السياسيين على الأغلبة المطلقة في الريشتاخ (البرلمان الألماني)، بدأت إعادة التسلح بمساعدة من الشركات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية الكبرى، ومن بينها شركة الكمياويات الإمريكية ديبون دى نيمور وشركة أمبيريال كميكالنز، مصرف ديلون في نيويورك الذى قدم الإعانات لصناعة الصلب، وهناك صناعات أخرى مولت من طرف مورجان أو روكفلر.

وهكذا شارك الجنيه الإنجليزي والدولار الإمريكي في المؤامرة التي جاءت بهتلر إلى الحكم.

ولكن مدراء هذه الشركات لم يتم استجوابهم أمام محكمة نورمبرج في إطار « المؤامرة ضد السلام » .

وكثيرا ما ذكرت اللعنات التي كان يكيلها هتلر وزعماء النازى للشيوعيين واليهود. وخاصة ما جاء في الفصل الخامس عشر من المجزء الثاني من «كفاحي» حيث تناول هتلر ماضي حرب الغازات التي شنها الإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى، وهو الفصل المعنون: «حق الدفاع الشرعي»، والذي أشار فيه هتلر إلى أنه كان من الأدعى له التخلص من عدة آلاف من اليهود في الوقت المناسب، حتى ينقذ حياة مليون من الألمان الطيبين والشجعان.

وفي حديث له أمام البرلمان في ٣٠ يناير ١٩٣٩، قال كذلك: « يستطيع اليهود ان يواصلوا شن حرب الإنهاك في بعض الدول حيث تحميهم الاحتكارات والامتيازات التي يمارسونها على الصحافة والسينما والدعاية الإذاعية والمسارح والأدب وغيرها. ومع ذلك ، فإذا ما نجح هنا الشعب مرة ثانية في دفع ملايين الأشخاص إلى نزاع قد يعود عليهم بالفائدة ، فإن ذلك سيؤدى إلى ظهور شجاعة الحركة التوضيحية التي سمحت بالقضاء نهائيا على اليهودية في ألمانيا خلال عدة سنوات ».

وفي ٣٠ يناير ١٩٤١، قال هتلر لجموع يهود أوروبا "إن دورهم سيكون قد انتهى بحالة حرب شاملة". وصرح في بيان آخر بتاريخ ٣٠ يناير ٢٩٤١، أن الحرب "ستقضى على اليهودية في أوروبا ". والوصية السياسية لهتلر التى نشرتها المحكمة العسكرية الدولية تعبع بهذه الأراء، فهتلر يتحدث عن تدمير "نفوذ ما "أما هيملر فإنه يتحدث مباشرة عن تدمير الأشخاص، فقد قال لجنرالاته في ٥ مايو يتحدث مباشرة عن تدمير الأشخاص، فقد قال لجنرالاته في ٥ مايو أن نعتاد على نسيان قواعد اللعبة والأخلاقيات المتعارف عليها أثناء الحروب الأوروبية الماضية، رغم أنها عزيزة علينا وتتناسب مع المحدوب الأوروبية الماضية، رغم أنها عزيزة علينا وتتناسب مع عقلتنا".

ولكن هذه الوحشية لم تكن من نصيب معسكر واحد.

فقد طلب لكيفتون فاديمان، محرر مجلة نيويوركر الأسبوعية، في

عدام ١٩٤٧ إلى الكتاب « خلن روح من الحقد الشديد ضد كل الألمان وليس فقط غيد زعماء النازى ».

وإضاف : والطريقة الوحيدة لكى يقهمنا الألمان هي قتلهم وحتى بهذا فإنهم لن يفهموا .

وفي شهر أبريل ١٩٤٢، كتب يمتدح كتاب دى سال ﴿ إعداد الغد؟ ويشرح مفهومه العنصرى ، فقال : إن العدوان النازى ما هو بفعل مجموعة من الأوغاد ولكن التعبير النهائى عن الغرائز العميقة للشعب الألمانى . وما هتلر إلا تجسيد لقوى أكبر منه » . ووافق على اقتراح هيمنجواى القائل : إن الحل النهائى سيكون هو تعقيم النازى بالمعنى الجراحى للكلمة .

ولم تكن هذه الآراء بالآراء المنفردة فقد نشر الأب ويب في جريدة الديلى هيرالد اللندنية مقالا في أعقاب بيان هتلر في السبور تبالست، جاء فيه: « إن كلمة السر يجب أن تكون « القضاء عليهم »، ومن أجل ذلك تركز عملنا على اكتشاف مرفقعات جديدة ومخيفة . . ورغم أن رجل الدين لا ينبغى له أن ينزلق إلى مثل هذه العواطف، إلا اننى صراحة لو استطعت ، لمحوت ألمانيا من خريطة العالم . إنه جنس شيطاني كان لعنة على أوروبا طوال قرون» .

ولحسن الحظ ثارت الاحتجاجات ضد مثل هذه الضلالات في إنجلترا حيث لا يمكن الخلط بين الشعب الإنجليزي وثقافته الرفيعة وبين زعماء دمويين ممتلئين بالحقد والبغضاء، وهو ما ينطبق أيضا على ألمانيا وشعبها.

ومنذ عام ١٩٣٤، أعلن الزعيم الصهيوني فلاديمير جابوتنسكي. «إن مصالحنا اليهودية تحتم القضاء النهائي على ألمانيا، فالشعب الألماني في مجموعه يمثل لنا خطرا كبيرا».

وقال تشرشل من جانبه في ١٦ مايو ١٩٤٠: « سنجوع ألمانيا. وسندمر مدنها وسنحرق محاصيلها وغاباتها ».

[المصدر: بول بودوان، تسعة أشهر في الحكومة، ١٩٤٨، ص-٥٧].

وقال الوزير البريطاني اللورد فانسيتارت في عام ١٩٤٢، تبريرا لفظاعة الغارات البريطانية: « إن الألمان الطيبين وحدهم، هم الموتى الألمان؛ وعلى ذلك، فلتمطر السماء القنابل!».

وكتب تشرشل في يوليه ١٩٤٤ إلى رئيس أركانه الجنرال هيستنجز، مذكرة من أربع صفحات يقترح عليه فيها المشروع التالي:

« أود أن تفكر جديًا في مسألة الغازات الخانقة . . . وأود أن نبحث بهدوء نتائج استخدام الغازات الخانقة هذه . . . ولا ينبغى لنا أن نقف مكتوفى الأيدى بسبب مبادىء حمقاء ، . . .

[المصدر: الإرث الأمريكي عدد أغسطس - سبتمبر ١٩٨٥].

ولم يقف لا تشرشل ولا ترومان ولا ستالين في قفص الأثهام

كمجرمى حرب. كما لا يقف المنادون بأفظع الجرائم مثل تبودور كوفمان الأمريكي اليهودي الذي وجه في ١٩٤٢ نداء بالإبادة الفعلية، ضمن كتابه: «يجب إبادة ألمانيا»، قبال فيه: «إن الألمان لا يستحقون أن يحيوا». وكذلك ما جاء في نداء الكاتب السوفيتي إيليا اهربنورج عام ١٩٤٤: اقتلوا! اقتلوا فلا أبرياء لدى الألمان، لا بين الأحياء ولا بين من سيولدون!».

وهــؤلاء أيضا لم يقفوا في قفص الاتهام ضمن المتهمين في نورمبرج، كما لم يقف رؤساء دولهم الذين كانوا يحمونهم ويساعدونهم ولا المسئولون الإنجلو أمريكان عن قصف مديئة درسدن الألمانية، والذي أسفر عن ووود من الضحايا المدنيين، وذلك دون أدنى فائدة عسكرية، لأن الجيش السوفيتي كان قد تجاوز هذه الأهداف. ولا ترومان بإلقائه قنبلتين ذريتين على هيروشيما ونجازاكي ومصرع ولا ترومان بإلقائه قنبلتين ذريتين على هيروشيما ونجازاكي ومصرع اليابان كان قد قرره الإمبراطور.

ولا بيريا وستالين، على سبيل المثال، اللذان ألقيا بمسئولية مذبحة كاتين على الألمان، والتي قتل فيها الآلاف من الضباط البولنديين.

لقد كانت أساليب الإجراءات تنبئق عن نفس المبادئ (أو انعدام المبادئ) الخاصة باختيار المتهمين من بين المنهزمين وحدهم.

وهكذا جاء النظام الأساسي لهذه المحكمة:

المادة ١٩ : لن تتقيد المحكمة بالقواعد الفنية المتعلقة بإقامة الأدلة والبراهين. وهي ستتبع وستطبق بقدر الإمكان إجراءات سريعة.

المادة ٢١ : لن تطلب المحكمة تقديم البراهين على الأعمال ذات الشهرة العامة ، وستعتبرها ثابتة وستعتبر كذلك كبراهين صحيحة الوثائق والتقارير الرسمية الصادرة عن حكومات الحلفاء .

هذا هو الوحش القانوني الذي ينبغي أن تؤخذ قراراته كقاعدة مسلمً بصحتها وكمعايير لحقيقة تاريخية لا يمكن أن يمسها إنسان طبقا لقانون جيسو _ فابيوس الصادر في ١٣ يوليه ١٩٩٠ (في فرنسا).

فهلذا النص قلد أصاف إلى قانون حرية الصحافة الصادر في ١٩٨١ ، المادة ٢٤ مكرر، التي تنص على ما يلى:

«يعاقب بالعقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة كرها (وهي بالحبس لمدة تتراوح بين شهر وسنة واحدة، وبغرامة قدرها من ووجه والمنافع الله ووسنة واحدة، وبغرامة قدرها من ووجه والمنافع المنصوص عليها في المادة ٢٣، وجود جريمة أو أكثر من الجرائم ضد الإنسانية كما جاءت في المسادة ٦ من النظام الأساسي للمحكمة العسكرية الدولية الملحقة باتفاق لندن بتاريخ ٨ أغسطس ١٩٤٥، والتي اقترفت سواء من طرف أعضاء في منظمة ظهر أنها منظمة إجرامية تطبيقا للمادة ٩ من النظام المذكور، أو سواء بواسطة شخص ثبتت إدانته في مثل هذه الجرائم من محكمة

فرنسية أو دولية.

وللمحكمة أن تأمر كذلك بالآتى:

١ ـ الإعلان عن قرارها بالشروط المنصوص عليها في المادة ٥١ من
 القانون الجنائي.

٢ ـ نشر هذا القرار أو إدراجه ضمن بيان بالشروط المنصوص عليها
 في المادة ١ ـ ١ ٥ من القانون الجنائي، دون أن تتجاوز مصاريف النشر
 أو الإدراج الحد الأقصى للغرامة المستحقة ».

ولقد أثارت إجراءات محكمة نورمبرج اعتراضات حتى في صفوف القانونيين الأمركيين وعلى أعلى مستوى، وهم قضاة المحكمة العليا، بدءا بالقاضى جاكسون الذى كان رئيسا لمحكمة نورمبرج وفى ذلك يقول المؤرخ الإنجليزى دافيد أرفنج، : « لقد شعر كبار القانونيين في العالم أجمع بالخجل من إجراءات نورمبرج. ولا شك أن القناضى روبيرت جاكسون، الرئيس الأمريكي للادعاء، كان يخجل من هذه الإجراءات، وقد اتضح ذلك من مذكراته الشخصية التي قرأتها.

أما القاضى فينرستروم، من المحكمة العليا في الولايات المتحدة، ورئيس إحدى المحماكم فقد أبدى امتعاضه واشمئزازه من جو المحاكمة وموقف المترجمين والمحامين ووكلاء النيابة. . بحيث إنه رفض قبول تعيينه وغادر ألمانيا فجأة وعاد إلى الولايات المتحدة. ونشر في جريدة شيكاغوديلى تريبيون الصادرة في ٢٣ فبراير ١٩٤٨،

اعتراضاته على التنظيم والإجراءات.

ووفقا للنظام الأساسى لمحكمة نورمبرج الذى ينص على أن تقارير لجان تفتيش الحلفاء تعتبر من القرائن، فقد ووفق على التقرير السوفيتي بشأن كاتين، والذي يتهم الألمبان بقتل ١١٠٠٠ ضابط بولندى، «كدليل إثبات صحيح »، ولا يناقش من طرف المنتصرين.

وفي ١٣ أبريل ١٩٩٠، أعلنت الصحافة الدولية أن جريمة كاتين كان مدبرها بيريا والسلطات السوفيتية .

ولكى لا نحيد عن موضوعنا الأصلى: « الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل »، سنعكف على بحث إحدى الأكاذيب التى سببت حتى الآن وبعد مضى ما يزيد على نصف قرن ، أضرارا شديدة فى عالمنا الحاضر، وهى أسطورة الستة ملايين من الضحايا اليهود ، والتى أصبحت عقيدة تبرر وتضفى القداسة (وكما تقتضية عبارة الهولوكوست) على انتهاكات وابتزازات دولة إسرائيل في فلسطين ، وفي كل الشرق الأوسط ، وفى المولايات المتحدة ، وفي كل السياسة العالمية ، بوضعها فوق كل قانون دولى .

ولقد اعتمدت محكمة نورمبرج هذا الرقم رسميا، وهو الأمر الذي ما انفك يستخدم منذ ذلك الحين للتلاعب بالرأى العام في الصحافة، المكتوب والمقروءة، وفي الأدب والسينما، وحتى في الكتب المدرسية.

غير أن هذا الرقم لا يستند إلا إلى شهادتين: شهادة هوتل وأخرى لويزليسني (وهما من ضباط الأمن النازيين) وهاك ما أعلنه الأول:

« في أبريل ١٩٤٤ ، جرى حديث بينى وبين أدولف إيخمان الذى كنت أعرف منذ ١٩٣٨ ، وذلك في شقتى ببودابست . . . وكان يعرف أنه يعتبر من مجرمى الحرب من طرف الحلفاء لمسئوليته عن قتل آلاف اليهود . وطلبت منه كم كان عددهم ، فأجابنى رغم سرية العدد الشديدة ، إنه طبقا للمعلومات التى يمتلكها فقد وضل إلى النتيجة التالية : نحو ٤ ملايين يهودى قتلوا في مختلف معسكرات الاعتقال ، كما أن هناك مليونين ماتوا بوسائل أخرى » .

[المصدر: محاكمة نورمبرج، المجلد الرابع، ص ٦٥٧].

وأعلن الثاني:

«كان إيخمان يقول إن شعوره باقترافه مصرع خمسة ملايين شخص هو مصدر لسعادته ورضاه »[المصدر السابق].

وهاتان الشهادتان، كما يقول مولياكوف نفسه: « من الممكن الاعتراض على هذا الرقم الذي لا سند له كما يمكن اعتباره رقما مشبوها».

[المصدر: مجلة تاريخ الحرب العالمية الثانية، أكتوبر ١٩٥٦].

وتـذكر الصحيفـة العبريـة الصادرة في نيـويورك بتـاريخ ٣٠ يونيـه ١٩٦٥ إنه في ذلك التاريخ، كان هناك ٣ ملايين و ٢٧٥٠٠٠ شخص قد قدموا طلبات للحصول على « تعويضات » نظير الخسائر التى تكبدوها إبان سيطرة هتلر. ونضيف أن الشهادة الرئيسية، وهى الشهادة الأكمل والأدق، كانت شهادة هوتل، عميل المخابرات.

[المصدر: المجلة الإنجليزية ويك اند، ٢٥ يناير ١٩٦١].

وتأكيدا منا لاعتراضات كبار القانونيين في المحكمة العليا للولايات المتحدة وغيرهم، على التشوهات القانونية لمحكمة نورمبرج، فسنذكر هنا فقط وعلى سبيل المثال، انتهاكات القواعد الثابتة لإجراءات أى قضية حقيقية:

١ _ إقامة الدليل على صحة النصوص المقدمة والتحقق منها.

٢ ــ تحليل قيمة الشهادات والظروف التي تم في ظلها الحصول عليها.

٣ ـ البحث العلمي لسلاح الجريمة لإثبات استخدامه وآثاره .

أ.النصـوص:

تتألف النصوص الأساسية، والتي تعتبر حاسمة للتدليل على «الحل النهائي» من أوامر الإبادة التي تنسب إلى كبار المسئولين: هتلر وجورنج وهيدريش وهيملر، والتوجيهات الصادرة لتنفيذها.

أولا: توجيهات هتلر بشأن الإبادة.

فرغم الجهود التي بذلها المنظرون للإبادة الجماعية والهولوكوست،

فلم يوجد لها أثر. وكتبت السيدة أولجا ورمسر ميجو في ١٩٦٨، تقول: كما أنه لا يوجد أمر خطى مكتوب بوضوح للإبادة بالغاز في أوشفيتز، فلا يوجد أيضا أى أمر بإيقافها في نوفبر ١٩٤٤».

[المصدر: أولجاورمسر ميجو، نظام المعسكرات النازية، باريس ١٩٦٨، ص_ ٤٤٥ وص - ١٣].

ويعترف الدكتور كيبوفي من مركز الوثائق في تل أبيب عام • ١٩٦ : « لا توجد أى وثيقة ممضاة من هتلر أو هيملر أو هيدريش تتحدث عن إبادة اليهود... ولا تظهر عبارة « الإبادة » في خطاب جورنج الموجه إلى هيدريش بشأن الحل النهائي للمسألة اليهودية ».

[المصدر : لــوسى داوديفتيش، الحـــرب ضــد اليهــود، ١٩٧٥ ، صــ الـــرب ضــد اليهــود، ١٩٧٥ ، صــ الــــد الــ

وصرح ريمون أرون وفرانسوا فيرى (وهما من كبار المفكرين الفرنسين) في موتمر صحفى عقد في فبراير ١٩٨٢].

« رغم البحوث المتعمقة ، لم يتم العثور مطلقا على أمر من هتلر بإبادة اليهود » .

[المصدر: والتي لاكير، السر الفظيع، ١٩٨١، ص-١٩٠].

ووقع بعض المؤرخين على البيان التالى بإيعاز من فيدال ياكيه وليون بولياكوف: «(...) لا يجب التساؤل عن الكيفية التي كان من الممكن بها تقنيا القيام بمثل هذه المجزرة الجماعية. لقد كانت ممكنة تقنيا لأنها حدثت. وهذه هي نقطة الانطلاق اللازمة لأى تحقيق تاريخي حول هذا الموضوع وعلينا أن نذكر بهذه الحقيقة بكل بساطة ، فلا نقاش ولن يكون هناك نقاش حول وجود غرف الغاز ».

وهذه الممنوعات الثلاثة، أو المحرمات الثلاثة هي الحدود النهائية لأي بحث.

وهذا النص يعتبر بالفعل بداية تاريخية في تأريخ التاريخ، بوضعه مثل هذه الأوامر الشرطية مسبقا أمام أى بحث أو نقد للأحكام التي أصدرها المنتصرون.

ولكن التاريخ إذا أراد أن يحترم النظم الأساسية العلمية ، ينبغى أن يكون بمثابة بحث دائم ، وتفنيد لكل ما نعتقد أنه قد ثبت نهائيا مثل قوانين نوتن .

وهاك مثالاً مشهوراً:

« لقد تسوخت اللجنة الدولية لاوشفيتز في نوفسر ١٩٩٠ ، استبدال اللوحة التذكارية في اوشفيتيز والتي تشير إلى « ٤ ملايين من الضحايا » بأخسرى تحمل عبسارة « أكثسر من مليسون قتيل » . ولكن السدكتسور جولدشتين ، رئيس اللجنة اعترض على ذلك » .

[المصدر: جريدة لوسوار، بروكسل، ١٩ ــ ٢٠ أكتوبر ١٩٩١، ص_ ١٦]. والواقع أن الدكتور جولدشتين لم يعترض على ضرورة تغيير اللوحة القديمة، ولكنه كان يرجو ألا تحمل اللوحة الجديدة أى رقم، لعلمه أنه قد يصبح من الضرورى في زمن قصير إعادة النظر مرة أخرى في تخفيض الرقم المذكور.

وعلى هـذا فإن اللـوحـة المثبتة على معسكر بيركينـاو، حملت التدوين التالى حتى عام ١٩٩٤.

« هنا وفي الفترة ما بين • ١٩٤٠ ، ١٩٤٥ ، عُــنُّب أربعة مــلايين من الرجال والنساء والأطفال وقتلوا بواسطة عمليات الإبادة الهتلرية ».

وبفضل ما قامت به اللجنة الدولية لمتحف الدولة الذي يرأسه المؤرخ فلاديسلاف برتوزيسكي، تعدل النص على النحو التالى والذي لا يبعد عن الحقيقة:

«ليصبح هذا المكان، الذى قتل فيه النازيون مليون ونصف مليون رجل وامرأة وطفل، معظمهم من اليهود والقادمين من مختلف البلدان الأوروبية، وإلى الأبد صرخة يأس وإنذار للإنسانية ٩.

[المصدر: مقال لوك روزنفيج في جريدة لموند، ٢٧ يناير ١٩٩٥].

وهدا المثال يبين لنا أن التاريخ، لكى يفلت من الإرهاب الفكرى للمنادين بالحقد والبغضاء، يقتضى إعادة نظر دائمة. فإما أن يكون تعديلي (أي قابل لإعادة النظر فيه وتعديله) وإما أن يكون محض دعاية مقنعة.

ونعود الآن إلى التاريخ بمعناه الحقبقى، فقد عولجت مسألة اليهود في برنامج الحزب القومى الاشتراكى (النازى) في المادة ٤ من البرنامج:

« لا يحق لأى شخص حيازة الجنسية الألمانية إلا من المواطنين الكاملي المواطنة. وهؤلاء المواطنون هم الذين يجرى في عررقهم الدم الألماني، دون تمييز عقائدي. وعلى ذلك، فلا يمكن لآي يهودي أن يكون مواطنا كامل المواطنة ».

وفي المادة ٥، جاء ما يلى:

« من لم يملك الجنسية الألمانية لا يمكنه العيش في ألمانيا بصفة مضيف، ويجب أن يخضع للتشريعات المعمول بها بشأن إقامة الأجانب ».

وجاء كذلك في المادة ٨، ضرورة إيقاف أى هجرة جديدة لغير الألمان وكذلك الطرد الفورى لغير الألمان الذين دخلوا ألمانيا منذ ٢ أغسطس ١٩١٤. وهذه النقطة الأخيرة موجهة بشكل واضح ضد اليهود الشرقيين الذين وصلوا بأعداد كبيرة إلى الريخ أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها.

ونصت المادة ٢٣ على أنه لا يحق لليهود العمل في الصحافة. وأكدت المادة ٢٤ على أن الحزب يكافح ضد « العقلية المادية البهودية ».

أ.أوامر هتلر بشأن إبادة اليهود

كتب راؤول هيلبرج في كتابه « القضاء على يهود أوروبا » الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦١ ، أن هناك أمرين للإبادة صدرا عن هتلر: أحدهما في ربيع ١٩٤١ (دخول روسيا) والآخر بعد عدة شهور من هذا التاريخ.

ولكن في عام ١٩٨٥ ، وفي الطبعة الثانية، المنقحة، حـذفت جميع الإشارات إلى أوامر أو قـرارات هتلر بشأن « الحل النهائي » بصورة منهجية.

[المصدر: هيلبرج يـراجع نفسه حـوليات سيمـون فيـزنتال، (المجلـد٣، ١٩٨٦).

ففى طبعة ١٩٦١ يذكر هيلبرج أن « الأمر كان شفويا ». أى أن الجنرال جوديل قال إن هتلر قال . . !

وكان هتلر ينادى في كتابه «كفاحى » برغبته في طرد اليهود من ألمانيا. واقترح ريبنتروب تجميعهم في مدغشقر التي كانت تابعة لفرنسا آنذاك.

وفي يوليه ١٩٤٠، أوجز المسئول عن الشئون اليهودية فرانز راد، هذا التوجيه في العبارة التالية: « كل اليهود خارج أوروبا!». وكان يتوقع لتحقيق « الحل النهائي » فترة أربع سنوات وإمكانيات ضخمة.

ب ـ خطاب جورنج إلى هيدريش في ٣١ يوليه ١٩٤١.

طلب هيدريش من جورنج: «في ١٩٣٩، أعطيتني الأمر باتخاذ التدابير المتعلقة بالمسألة اليهودية. فهل عليّ الآن مدهذه المهمة التي أسندتموها إلى لتشمل الأراضي الجديدة التي استولينا عليها في روسيا...»

وهنا كذلك ، لاشيء بخصوص قتل اليهود. والأمر لا يتعلق إلا بنقلهم جغرافيا، وذلك وببساطة لمراعاة الظروف الجديدة.

فالحل النهائي إذن كان يكمن في تفريغ أوروبا من اليهود والإمعان في إقصائهم بعيدا حتى تسمح الحرب بوضعهم داخل جيتو خارج أوروبا (كمشروع مدغشقر).

وافتراض لغة سرية وشفرية ، هو افتراض بلا سند، لأن هناك وثائق واضحة للجرائم الأخرى، ومنها الموت الرحيم، وأمر قتل الكوماندوز البريطانيين، وسحل الطيارين الأمريكيين في الشوارع دون محاكمة، وإبادة أهالى ستالنينجراد من الذكور عند احتلالها. وعن هذه الجرائم جميعها، فالوثائق موجودة، في حين أنه بالنسبة لهذه الجريمة لا توجد لا الأصول ولا الصور، ولا الأوامر أو التوجيهات اللازمة لتنفيذ هذه التعليمات الضخمة.

« في يناير ١٩٤٢ ، أبلغ رينهارد هيدريش ، رئيس الجستابو، زعماء برلين أن الفوهرر قد قرر إجلاء كل اليهود نحو الأراضي الشرقية، مستبدلا بذلك عملية الإبعاد السابقة ».

وفي المدذكرة التي عممت في مسارس ١٩٤٧ داخل مكتب هيدريش، أبلغ الوزراء أن يهود أوروبا سيجرى تجميعهم في الشرق «انتظارا لإرسالهم بعد الحرب إلى أراض نائية، مثل مدغشقر، لكى تصبح وطنهم القومى . . »

ويذكر بولياكوف: « وكان مشروع مدغشقر وحتى التخلى عنه، هو الذي كان يطلق عليه الزعماء الألمان اسم « الحل النهائي » للمسألة اليهودية.

[المصدر: بولياكوف، محكمة القدس، باريس، ١٩٦٣، ص-١٥٢].

ومن أجل الإبقاء على نظرية الإبادة الجسدية بأى ثمن، تطلب الأمر إيجاد ذريعة: « لقد كانت عبارة الحل النهائي للمشكلة اليهودية من العبارات التقليدية للإشارة إلى الخطة الهتلرية الرامية إلى إبادة اليهود الأوربيين ».

[المصدر جيرالدريتلينجر، الحل النهائي، ص ١٩].

وليس هناك ما يبرر افتراض هـذه اللغة الشفرية التي كانت تسمح لأى وثيقة بأن تفصح عما نريد أن نقوله. وهاك مثالان على ذلك:

الأول: خطاب جـورنج المؤرخ في ٣١ يوليه ١٩٤١، والدى يستكمل فيه جورنج تعليماته إلى هيدريش: «استكمالا للمهمة التى أسندت إليكم بتاريخ ٢٤ ـ ١ ـ ١٩٣٩، أكلفكم بأن تعرضوا على

وبسرعة مشروعا إجماليا يتناول الإجراءات التنظيمية والتدابير الملموسة والمادية لتحقيق الحل النهائي الذي نتطلع إليه للمسألة اليهودية في منطقة النفوذ الألماني في أوروبا ".

[المصدر: هيلبرج، المرجع السابق، ص- ١٠١ (الطبعة الثانية)].

وبإيجاز فإن تعليمات جورنج إلى هيدريش لاتعدو أن تكون سوى تطبيق ما كان يطبق في ألمانيا على أوروبا نظرا للظروف التى استجدت. ما لم تفسر تفسيرا تعسفيا طبقا لمخطط مسبق، والهدف في حد ذاته هو دون شك هدف غير إنسانى وإجرامى، ولكنه لا يشير في أى لحظة إلى فكرة « الإبادة » التى ألصقها له المدعى العام في نورمبرج روبرت كمبئر عندما أعلن: « بهذه السطور ، كلف هيدريش وأعوانه رسميا بالقتل القانونى (لليهود) ».

وقد اعترض جورنج على الترجمة الإنجليزية للعبارة الألمانية «الحل الشامل» بعبارة «الحل النهائي»، مما حدا بالمدعى العام جاكسون أن يعترف بالتزوير، وإرجاع العبارة إلى أصلها الحقيقى. وهذه الواقعة التي دمرت نظرية بأكملها، لم تتحدث عنها الصحافة بكلمة واحدة.

وفي ١٠ فبراير ١٩٤٢ ، كتب مسئول وزارة الخارجية الألمانية رادماخير، في رسالة رسمية يقول: «لقد أتاحت لنا الحرب ضد الاتحاد السوفيتي الحصول على أراض جديدة للحل النهائي. وعلى ذلك، فقد نرر الفوهرر نقل اليهود نحو الشرق لا نحو مدغشقر. ومن ثم، لم تعد هناك حاجة لاختيار مدغشقر للحل النهائي ٤.

[المصدر: ريتلنجر، الحل النهائي، ص-٧٩].

والمثال الثاني على هذا التعبير التعسفى لمعانى الكلمات لتبرير. قضية ما، هو الخاص بمؤتمر وانسى الكبير، الذى انعقد في برلين في ٢٠ يناير ١٩٤٢.

ومنذ بداية المؤتمر، لم ينفك هيدريش يذكّر بأنه قد تم تعيينه في المنصب المسئول المكلف بإعداد الحل النهائي للمسألة اليهودية في أوروبا » وبأنه السيكون من الآن فصاعدا المسئول عن مجموع الإجراءات اللازمة للحل النهائي للمسألة اليهودية دون اعتبار للحدود الجغرافية .

ويلخص هيدريش بعد ذلك السياسة المعادية لليهود التي تمت حتى ذلك التاريخ في الآتي :

أ. طرد اليهود بعيدا عن الدوائر الحيوية للشعب الألماني.

ب ـ طرد اليهود خارج الحيز الحيوى للشعب الألماني.

نص مؤتمر وانسی (۲۰ ینایر ۱۹٤۲)

« أثناء الحل النهائي سيسير اليهود تحت إدارة مناسبة نحو الشرق للاستفادة بهم في العمل . وسيتم التفريق بينهم بحسب الجنس . وسيرحل اليهود القادرون على العمل في طوابير ضخمة إلى مناطق

الأعمال الكبرى لبناء الطرق، ولا شك أن عددا كبيرا منهم سيموت بواسطة الانتقاء الطبيعي.

ومن سيظل منهم على قيد الحياة في نهاية المطاف ، فإنهم سيشكلون دون أدنى شك العنصر الأقوى وينبغى معاملتهم طبقا لذلك لأنهم يمثلون الانتقاء الطبيعى ، ينبغى اعتبار تحريرهم بمثابة الخلية المولدة للتطوير اليهودى الجديد. (كما توضحه تجارب التاريخ...).

ويعد بروتوكول وانسى بمثابة المحضر الحرفى للمؤتمر الذى عقد في الفترة من ٢٠ يناير ١٩٤٢، واشترك فيه الوزراء المهتمون إداريا بحل المسألة اليهودية ورؤساء الإدارات المكلفة بالتنفيذ، ويتعلق الأمر بنص لم ترد فيه أبدا عبارة غرف الغاز أو الإبادة، ولكن نقل اليهود فقط إلى الشرق الأوروبي،

وهذا المحضر له كل خصائص الوثيقة المزورة والمزيفة إذا ما رجعنا إلى صورته التى نشرت في كتاب السيد روبرت كمبنر، فلا خاتم ولا تاريخ ولا توقيع، والحروف كتبت على آلة كاتبة عادية وعلى ورق من القطع الصغير.

وعلى كل حال، فلا يوجد بها أي إشارة إلى غرف الغاز.

وفضلا عن ذلك، فإن مؤتمر وانسى المنعقد في ٢٠ يناير ١٩٤٢، والذي ادعى طوال أكثر من ثلث قرن أن قرار «إبادة » يهود أوروبا قد اتخذ أثناء انعقاده، اختفى تماما من أدبيات أشد أعداء المطالبين بمراجعة التاريخ مند عام ١٩٨٤. فقد تخلوا صراحة عن هذا التفسير وراجعوا تاريخهم حول هذه النقطة أثناء انعقاد مؤتمر شتوجارت في مايو ١٩٨٤.

[المصدر: إيراهارد جيكل ويورجون روهور، قتل اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية، ١٩٨٥، ص-٦٧].

وقد وصف یاهودا بور فی جریدة أخبار الیهود الکندیین الصادرة فی ۳۰ ینایر ۱۹۹۲، أن تفسیر وانسی کان « تفسیرا أحمق ».

وأشار أحد المؤرخين المتشددين وهو جان كلود بريساك إلى أن عبارة « الإبادة » قد نقحت وصارت « طردًا » .

وبخصوص أن مسألة « الحل النهائي » للمشكلة اليهودية وإنها لن تحل إلا بعد الحرب، فإن « الملف البني » لصيف عام ١٩٤١ يشهد على ذلك. فقد جاء في الفقرة المعنونة « تعليمات لحل المسألة اليهودية » ما يلى : « لا يجب أن تتخذ أي إجراءات بشأن المسألة اليهودية في الأراضي المحتلة في الشرق إلا بعد الحرب، وستجد المسألة اليهودية في أوروبا حلا عاما ».

[المصدر: هنري موزي، اضطهاد اليهود في البلدان الشرقية، ١٩٤٩].

ولقد كان هتلر في السنتين الأخيرتين للحرب وبعد ستالينجراد، في وضع ميئوس منه، فالحلفاء يدمرون مراكز الإنتاج الحربي بقصفهم

لها، ويحطمون طرق المواصلات. واضطر إلى حشد أعداد أخرى للعمل بالمصانع. فكان يعمل في مونوفيتز بالقرب من أوشفيتز موب العمل مدنى، ١٠٠٠ سجين حرب بريطانى.

وفي ٢٥ يناير ١٩٤٢، وجه هيملر تعلبماته إلى المفتش العام لمعسكرات الاعتقال، جاء فيها: «استعد لاستقبال ١٠٠٠٠ يهودى . . . وستسند مهام اقتصادية كبيرة إلى معسكرات الاعتقال في الأسابيع القادمة ».

وفي مايو ١٩٤٤ ، أمر هتلر باستخدام ٥٠٠ ٠٠٠ يهودى كعمال . في البرنامج الإنشائى « جاجر » ومنظمة تودت . فصدر أمر في ١٨ نوفبر ١٩٤٣ . تمنح بمقتضاه علاوة للمعتقلين ـ حتى اليهود منهم ـ الذين يبرزون في العمل .

[المصدر: متحف أوشفيتز، ١٩٦٢، ص٥٨].

ولا يتعلق الأمر هنا بالجنون أو الخرافة، بل على العكس بواقعية مريرة وقاسية. ولكن هذا وفي المقام الأول يشكل دحضا إضافيا لأطروحات « الإبادة ».

ب-الشهادات

أثناء محاكمة أوشفيتز التي جرت في فرانكفورت في الفترة من ٢٠ ديسمبر ١٩٦٣ وحتى ٢٠ أغسطس ١٩٦٥، داخل مسرح كبير واسع، وهو ما يليق بعملية سياسية مثيرة، ورغم هذا الإخراج القضراني

فإن محكمة الجنايات لم تستطع تفادي الاعتراف بأنها لا تملك سوى عناصر واهية لدعم حكمها .

«كان ينقص المحكمة معظم وسائل المعلومات تقريبا التي توضع عادة تحت تصرف محاكمة جنائية عادية حتى يتسنى تشكيل صورة أمينة للوقائع كما حدثت فعلا أثناء الجريمة. فكان ينقصها جثث الضحايا، وتقارير التشريح، واستنتاجات الخبراء بشأن أسباب الوفاة، وكان ينقصها الآثار التي تركها المتهمون، وسلاح الجريمة، . . إلخ ولم يتم التحقق من الشهادات إلا في حالات نادرة ».

[المصدر: الصفحة ١٠٩ من حيثيات الحكم].

وسلاح الجريمة كان مع ذلك، وطبقا للمدَّعين هي « غرف الغاز »، وهاهم القضاة لا يجدون لها « أثرا » ! .

ولكن كان يكفى أن يكون الأمر معروفا للكافة حتى لا يشكك فيه أي إنسان وإلا ذهب هو نفسه إلى الجحيم.

وحتى عام ١٧٥٧، كان من المعروف للكافة أن الشمس تدور حول الأرض. . وكانت هذه حقيقة ثابتة ! .

وكتب أحد القانونيين الأمريكان الذين أرسلوا إلى « داخاو » بعد أن أصبح معسكرا أمريكيا ومركزا للمحاكمات ضد جرائم الحرب ، يقول:

« لقد عشت في داخاو طوال ١٧ شهرا بعد الحرب كقاضي عسكري

للولايات المتحدة، وأستطيع أن أشهد أنه لم يكن هناك أى غرف للغاز. وما يعرض على الزوار يقدم بطريقة خاطئة على أنه غرفة للغاز، مع أنه محرقة لجثث الموتى « ولم يكن هناك أى غرف للغاز في ألمانيا. ويقولون لنا إنه كان في أوشفيتز غرف للغاز، ولكننا لم نحصل على إذن من السلطات الروسية التي كانت تشرف على هذه المنطقة، لزيارتها. . كما أنهم يستخدمون الأسطورة القديمة للدعاية بأن ملايين اليهود قد قتلوا وأستطيع أن أؤكد بعد ٦ سنوات على انتهاء الحرب في ألمانيا والنمسا، أنه كان هناك الكثير من اليهود الذين قتلوا، ولكن رقم المليون لم يتم بلوغه أبدا، وأعتقد أننى مؤهل أكثر من غيرى للحديث عن هذا الموضوع».

[المصدر: ستيفن بنتر، جريدة زائر الأحد، ١٤ يونيه ١٩٥٩، ص _١٥].

ونظرًا لانعدام أى دلائل خطية ، ووثائق لا يرقى إليها الشك، فإن محكمة نورمبرج قد قامت على «شهادات » إن الفارين الذين شهدوا على وجدود غرف الغاز قاموا بذلك ليس على أساس ما شاهدوه ، ولكن على أساس ما سمعوه .

والشاهد الرئيسي الذي جيء به « لإثبات » نظرية المنتصرين المرتدين لباس القضاة، كان رودولف هيس، قائد معسكر أوشفيتز.

وكان الموجز الذي أدلى به عند إلقاء القبض عليه، والذي قامت عليه اعترافاته في نورمبرج، يستجيب تماما لما كانت تنتظره منه

المحكمة.

وهاك اعترافه الـذي أدلى به بعد حلف اليميـن ووقع عليه رودولف هيس في ٥ أبريل ١٩٤٦ :

« تـوليت قيادة أوسفيتـز حتى أول ديسمبر ١٩٤٣ ، وأعتقـد أن موم ٢٥٠٠٠٠ ضحية قـد أعدموا أو أبيدوا بالغاز أو الحرق، وأن نصف مليون آخرين قـد ماتوا من الجوع أو المرض، وبهذا يصل عدد القتلى إلى نحو ٣٠٠٠٠ ، وكان الحل النهائي للمسألة اليهودية يعنى إبادة كل يهود أوروبا، وقد تسلمت أمر إعـداد الإبادة في أوشفيتز في يـونيه الحكومة العامة هي: بلزيك ، وتربلينكا، وولزيك ».

فكيف بالله تم تسجبل هذه « الشهادة الهامة » دون التحقق منها مسبقا؟

ويشرح هيس نفسه ذلك قائلا: كتبت الاعترافات الأولى تحت إشراف السلطات البولندية التي اعتقلتني.

وفي كتاب السيرة الذاتية لرودولف هيس جاء ما يلى: « أثناء استجوابي الأول، انتزعت الاعترافات منى بضربى. ولا أعرف ما في هذا التقرير رغم أننى قد وقعت عليه ».

ولم تتأكد عمليات التعذيب التي تعرض لها هيس للحصول على «أدلة » إلا في عام ١٩٨٣ ، عندما كتب روبرت بتلر كتابه عن « فيالق الموت » ، والذي جاء فيه: « لدى إلقاء القبض عليه ، ضرب ضربا

مبرحا إلى درجة أن ضابط الصحة تدخل بإلحاح لدى الكابتن قائلاله: قل له أن يوقف هذا الضرب وإلا فإننا لن نحصل إلا على جشة هامدة!».

محاكمة أوشفيتز

إن مصير المتهم الرئيسى وهو آخر قائد لمعسكر أوشفيتز، ريتشارد باير، الذى توفى قبل بدء المحاكمة، جدير بالاهتمام، فقد تم توقيفه في ديسمبر ١٩٦٠ بالقرب من هامبورج حيث كان يعمل ويعيش. وفي. يونيه ١٩٦٣ مات في السجن في ظروف غامضة.

وطبقا لمصادر عديدة. رفض باير بعناد إثبات وجود غرف الغاز في القطاع الذي كان يشرف عليه.

ويقرر محامى نورمبرج، ابرهارد انجلهاردت إن باير قد دُسّ له السم أثناء التحقيق.

والمثال انشانسى: تقرير جرشتين، أحد ضباط النازى وهو التقرير الذي رفضت محكمة نورمبرج العسكرية الأخذ به كدليل في جلسة ٣٠ يناير ١٩٤٦ لعدم جديته وما جاء فيه من تضليل، والذى استخدمه جزئيًّا النائب العام الفرنسى ديبوست، ثم استخدم بعد ذلك أثناء محاكمة إيخمان في القدس في ١٩٦١.

وطبقًا لهذا «الشاهد» فإن عدد الضحايا بلغ ٢٥ مليونًا من الضحايا! (٢٠٠٠٠ يـوميًّا في المعسكرات الثلاثة بيلزيك وتريبلينكا وسوبيبور).

ورأى فضلا عن ذلك من ° ° ٧ إلى ° ° ٨ شخص مكدسين وقوفًا في غرفة مساحتها ٢٥ مترا مربعا (أي أكثر من ٢٨ في المتر المربع!)

والمثال الثالث: وكيما نتمسك بالشهود المشهورين، نذكر الدكتور ميكلوس نيسزلى، الطبيب المجرى، الذى اعتقل في أوشفتيز، وهو يقول عن غرف الغاز إن طولها ٢٠٠٩م، بينما الوثيقة المقدمة لمحكمة نورمبرج تقول إن مساحاتها كانت ١٢٠م أو ٢٠٠٩م أو ٢٠٠٩م أو ١٩٠٠م أو ١٩٤٠م كذلك أنه عند وصوله إلى المعسكر في أواخر مايو ١٩٤٤م كانت الإبادة بالغاز قد دامت منذ أربع سنوات، مع أن وثيقة نورمبرج رقم ٢٠٤١ تقول إنها لم تكن المحارق جرت في أغسطس ١٩٤٢، والوثيقة ٣٤٤٤ تقول إنها لم تكن جاهزة إلا في ٢٠ فبراير ١٩٤٣.

وفي أغسطس ١٩٦٠، أعلن معهد التاريخ المعاصر في ميونخ للصحافة ما يلي: «لم تستكمل غرف الغاز في داخاو ولم توضع موضع التنفيذ أبدا . . . وإن الإبادات الجماعية لليهود بالغاز بدأت في ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ وفي مناطق محدودة من بولندا المحتلة فقط ، وليس ألمانيا بأي حال من الأحوال ».

[المصدر: دى زيت، ١٩ اغسطس ١٩٦٠].

أمثلة أخسري

قال سوكل (أحد المتهمين الرئيسيين) في جلسة ٣٠ مـايو ١٩٤٦ لمحكمة نورمبرج ما يلي: "أقر بأن توقيعى يظهر في هذه الوثيقة. وأطلب من المحكمة السماح لى بأن أشرح كيفية الحصول على هذا التوقيع. لقد قُدمت هذه الوثيقة إلى في شكلها النهائي فطلبت الإذن بقراءتها ودراستها حتى أقرر ما إذا كان على أن أوقعها. ولكن رفض طلبي . . . ثم دخل أحد رجال البوليس البولنديين أو الروس وقال: " أين أسرة سوكل؟ سنأخذ سوكل معنا، أما الأسرة فستسلم في الأراضى الروسية". وأنا والد ١٠ أطفال، ففكرت في أسرتي ووقعت على الوثيقة ».

000

ومن بين شهادات المعبرة بشكل خاص . فقد كان يدير الجماعات المكلفة بإعدام المفوضين السياسيين في جنوب روسيا، وأعلن أثناء المحاكمة الدولية العسكرية أنه قد تلقى أوامر شفوية لكى يضيف إلى وظائفه وظيفة إبادة اليهود باستخدام الشاحنات المجهزة بمعدات الموت، بما في ذلك النساء والأطفال . وجاءت شهادته في المحاكمة الثانية مختلفة تمامًا، وتراجع عن تصريحاته السابقة، واعترف بأنه قتل عددًا من اليهود والغجر ولكن في إطار المعركة ضد العدو، وليس بموجب خطة محددة لإبادة اليهود والغجر، كما اعترف بأنه قتل بموجب خطة محددة لإبادة اليهود والغجر، كما اعترف بأنه قتل بموجب خطة محددة لإبادة اليهود والغجر، كما اعترف بأنه قتل بموجب خطة محددة لإبادة اليهود والغجر، كما اعترف بأنه قتل بموجب خطة محددة وليس وليس وليس وليس وليس وليس وود والغبور والغبور والغبور والغبور والغبور والنبيانية .

ولم ينبس المؤرخون النقاد بكلمة واحدة لدحض هذه الأقاويل، ولم تصدر عنهم أية مناقشة علمية معارضة، ولكن فرض عليهم

الصمت والاضطهاد.

وطالما استمر هذا الاضطهاد وهذا القمع تجاه البحوث الانتقادية ، وتواصل على العكس تدفق التمويل الوافر والإشادة الإعلامية بالمدافعين عن هذه المحرمات، فلن ينمحى الشك والأرتياب من ذاكرتى .

ولقد مررت بهذه التجربة منـذ ١٤ عامًا، ومنذ محاكمة ١٩٨٢ التي رفعتها ضدى « ليكرا » لأننى أدرجت حسرب لبنان في إطار منطق الصهيونية السياسية ، ورغم أن الدعوى قد رفضت وحكم على « ليكرا» بالمصاريف في محكمة المدرجة الأولى وفي محكمة النقض. فقد اضطر ناشر كتابي « الشأن الإسرائيلي » الذي صدر عن دار نشر بابيريس في ١٩٨٣، إلى إعلان إفلاسه فورًا. كما لم يجر توزيع كتابي « فلسطين أرض الرسالات الإلهية » الذي أصدرته دار نشر الباتيروس في باريس عام ١٩٨٦، توزيعًا عاديًا. فالمكتبات التي عرضته تلقت تهديدات بتحطيم واجهاتها. وعادت معظم النسخ إلى الناشر، واختفى تموزيعه تمامًا. وحتى هذا الكتاب « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» فلن يسلم من الحملة المسعورة للصحافة الفرنسية ، ولذلك سأضطر إلى نشره على نفقتي الخاصة في فرنسا ، مع أن هذا الكتاب قد ترجم ويجرى نشره في إيطاليا وألمانيا وتركيا والولايات المتحدة وحتى روسيا.

فهذا الصمت وهذا الاضطهاد، وعمليات القمع ضد التاريخ

الانتقادى للجرائم الهتلرية ترنكز على حجج مشينة وكاذبة ، يهى تدليل على أن الجرائم الضخمة التي ارتكبها هتلر حيال اليهود، وحيال كل أعدائه من الشيوعيين الألمان أو السلاف ، ولم تكن تحتاج إلى أى أكذوبة للكشف عن فظاعتها ، وأن الحديث عنها انتقاديًا إنما هو في نظر أعداء التاريخ الانتقادي بمثابة نبرئة هنلر أو التخفيف من حدة جرائمه أ .

فالتدليل على أن جرائم النازى لم تقتصر إلا على اليهود وحدهم وأنها خلّفت عشرات الملايين من القتلى في الكفاح ضد الفاشية، هو «عنصرية » تشجع على التميز والحقد العنصريين ا

ولمقاومة ظاهرة الحقد ضد الباحثين الانتقاديين، فإننا اليوم نسعى إلى إضافة عناصر جديدة بمصادرها ومراجعها إلى هذا الملف على أمل أن تؤدى إلى قيام مناقشة صريحة حول الوقائع الموضوعية لهذا الماضى دون دفعهم مسبقا بالتحيز أو إجبارهم غلى الصمت. ولا يمكن الإعداد للمستقبل مع مواصلة مشاعر الحقد وتغديتها بالأكاذيب.

ونقد الشهادات المحققة تاريخيًّا والدراسات العلمية التي تسمح بمنح الرأى العام إمكانية التفكير في جرائم الأمس للحيلولة دون حدوثها غدًا، هو التزام أخلاقي بقدر ما هو التزام علمي.

وحتى الآن ، لم يقدم حتى للفنانين الكبار من ذوى النوايا الطيبة، إلا الأرقام التعسفية والخاطئة. وكم شاهدنا من الأفلام الرائعة التي شوّهت بذكر الرقم التعسفى للضحايا اليهود في اوشفيتزا. وفي مقابل ذلك، ما شهدناه من الأفلام بعد التحرير التى تشيد بمن حاربوا ضد النازى، مثل « المعركة ضد الماء الثقيل » الذى يعالج الاكتشاف الحاسم لجوليو كورى وفريق عمله لاستخراج المباه الثقيلة في النرويج لمنع وصولها إلى هتلر حتى لا تتاح له فرصة استخدامها في صنع القنبلة الذرية. ونفس الشىء بالنسبة لفيلم «معركة السكك الحديدية » الذى يوضح الكيفية التى خرّب بها عمال السكك الحديدية طرق المواصلات الألمانية لشل حركة تجميع الجيوش الألمانية الغازية. وعلى النقيض من هذه الأفلام، فكم من مرة أعادوا علينا كل أسبوع عرض أفلام مثل « الخروج »، و « الهولوكوست »، و « الإبادة »، وغيرها من الشرائط المرواة برومانسية تفيض لها الدموع!

وفيلم الهولوكوست هذا هو أكبر فيلم ساهم في التلاعب بالرأى العام العالمي والسيطرة عليه، وهو ما يعتبر جريمة ضد الحقيقة التاريخية!.

[المصدر: لبيراسيون، ٧ مارس ١٩٧٩].

وساهمت الرواية في هذا الخداع والمخاتلة . وصدرت مؤلفات مثل المام موتنا الدايفيد روسيه ، الذي جمع فيه بأسلوب روائي بارع كل ما هو مبتذل وتافه لتشكيل قالب أدبيات معسكرات الاعتقال .

وحتى مارتن جراي، في كتابه (باسم كل أبناء جلدتي) والـذي

استعان في كتابته بأحد الكتاب الفرنسيين الكبار لـوصف معسكر لم تطأه قدماه أبدًا. وابتداء من المحفوظات المزيفة لـوزارة قدماء المحاربين التى « اكتشفها » سيرج كلارسفيلد، وحتى الرؤيا القيامية الخاطئة لإيلى فينزل (الحائز على جائزة نوبل) الذى يقول إنه « رأى بعينه » لهبا ضخمًا يصعد من حفرة في الهواء الطلق « حيث كانوا يلقون فيها بصغار الأطفال » ! .

[المصدر: إيلي فينزل، أقوال أجنبي، باريس ١٩٨٢، ص-١٩٢].

وذروة هذه الأدبيات الرومانسية ، هو كتاب « يوميات آن فرانك » الذي حقق أحسن المبيعات عالميًا، (وآن فرانك فتاة يهودية كانت معتقلة في أحد المعسكرات). وفي هذا الكتاب المؤثر تحل الرواية محل الواقع ، ومرة أخرى تخفت الأسطورة في ثياب التاريخ.

ويقول المؤرخ الإنجليزى دافيدا رفنج عن هذا الكتاب: «لقد وافق والدآن فرانك أخيرًا والذى راسلته عدة سنوات، على إخضاع أصول كتاب « اليوميات » للفحص المعملى وهو ما أطالب به دائما عندما يكون هناك اعتراض على وثيقة ما ».

وكان المعمل الذى فحصت فيه أصول الكتاب هو معمل البوليس الجنائي الألماني في فيسبادن. وكانت النتيجة التي توصل إليها المعمل هي أن جزءا من يومبات آن فرانك كتب بقلم جاف (وهذا النوع من الأقلام لم ينول الأسواق إلا في عام ١٩٥١، في حين أن آن فرانك قد توفيت في عام ١٩٤٥).

ويستطرد دافيدارفنج: وكان استنتاجى بشأن يوميات آن فرانك، هو أنّ الجزء الأكبر منه كتبته حقيقة فتاة يهودية في العاشرة من عمرها. تولى أباها أوتو فرانك أمر هذه النصوص بعد موت ابنته المأساوى من جراء التيفوس داخل معسكر الاعتقال. وقد قام الأب وأشخاص آخرون لا أعرفهم بتصحيح « اليوميات» لإعطائها شكلاً صالحًا للبيع لإثراء الوالد ومؤسسة آن فرانك في آن واحد.

أما أنه وثيقة تاريخية، فهذا الكتاب ليس له أية قيمة لأن النص قد شُوه وحُرّف؟.

وهذه البضاعة الإبادية لا تستخدم إلا شهادات تشير بطرق نختلفة إلى قتل الضحايا بالغاز، دون أن يوضحوا لنا أبدًا طريقة تشغيل غرفة غاز واحدة (والذي أثبت لوختر استحالة ذلك ماديًّا وكيميائيًّا) ، أو شاحنة واحدة من تلك الشاحنات التي استخدمت بطريقة انبعاث الديزل منها، كغرف غاز متنقلة .

جــ سلاح الجريمة :

لو انطلقنا من وجهة النظر الموضوعية المفروضة في محاكمة جنائية ، فسيكون من الأهمية بمكان سماع أقوال الخبراء بشأن عدد كبير من الأسئلة ، حتى ولمجرد تكوين فكرة بخصوص مصداقية عدد كبير من الشهود وكذلك بعض من « الوثائق » . ونستأذن في طرح عدد من هذه الأسئلة :

ـ كم من الـوقت يجب أن يمر حتى يتفاعل الغاز زيكلون ب، وما هى الكيفية التى كانت تظهر بها آثاره؟

_كم من الوقت يظل الغاز فعالاً ونشطا في مكان مغلق (سواء بدون تهوية ، أو بتهوية الاحقة للاستعمال مباشرة)؟

_ هل كان من الممكن كما يؤكدون، الدخول دون كمامة (أو: كمامات) إلى المواقع المشبعة بغاز زيكلون ب، بعد نصف ساعة فقط من استخدام هذا الغاز؟

ـ هل كمان من الممكن حرق الجثث بالكمامل في ٢٠ دقيقة داخل محرقة؟

_ هل كانت المحارق تستطيع أن تعمل ليل نهار دون توقف؟ .

_ هل من الممكن حرق جثث بشرية في حفر عمقها عدة أمتار، وفي حالة الإثبات، في كم من الوقت؟

ولكن وحتى الآن لم تصدر أي وثيقة إثبات.

ونطرح هنا مثالين اثنين:

● المثال الخاص « بغرف الغاز المتنقلة » بواسطة الشاحنات.

● والآخر خاص بالصابون المصنوع من الدهن البشرى. (وأكذوبة استعماله بالفعل أثناء الحرب العالمية الأولى).

[المصدر: الديلي تلجراف، لندن، ٢٢ مارس ١٩٤٦، ص٥٥].

وقد انتشرت قصة عمليات الإبادة « بغرف الغاز المتنقلة » والمؤلفة من الشاحنات التي أبيد فيها الاف الناس بتوجيه مخارج الدين نحو الداخل، ولأول مرة لدى الرأى العام الغربي، عندما صدرت في جريدة النيويورك تايمز بتاريخ ١٦ يوليه ١٩٤٣، الصفحة السابعة. (وحتى ذلك الحين لم يتناول هذا الموضوع سوى الصحافة السوفيتية).

وهنا أيضًا ، فإن سلاح الجريمة (وهو مئات أو آلاف الشاحنات المجهزة لعمليات القتل هذه) قد اختفى ، ولم تظهر واحدة منها في أى محاكمة كدليل إثبات .

ويلاحظ كذلك أن خطة « الإبادة » كان مقدرًا لها أن تظل سرًّا مطلقا كما قال هيس، فمن الغريب أن يعلم به آلاف سائقى الشاحنات وأعوانهم الذين تسلموا الضحايا (دون أمر رسمى) وأخفوها بطريقة سحرية مع احتفاظهم بهذا « السر الفظيع ».

وروج فيزنتال لخرافة « الصابون البشرى » في مقالاته المنشورة عام ١٩٤٦ في جريد الطائفة اليهودية النمساوية درنيوفنج (الطريق الجديد) ، كتب يقول: لقد سمعت العبارات المخيفة « النقل من أجل الصابون » لأول مرة في أواخر عام ١٩٤٢ . وقد تم هذا في الحكومة العامة (لبولندا) وفي المصنع الذي كان كائنا في جليسى ، في بلزيك . ومن أبريل ١٩٤٢ وحتى مايو ١٩٤٣ ، استخدم ٥٠٠٠٠ يهودى كمواد أولية في هذا المصنع » . وأضاف أنه بعد تحويل الجثث يهودى كمواد أولية في هذا المصنع » . وأضاف أنه بعد تحويل الجثث الى موادها الأولية ، استخدمت البقايا الدهنية لإنتاج الصابون» . ثم

قال: ولا يمكن للعلم المتمدن أن يتصور سرور النازى بهذا الصابون وفرحة زوجاتهم به، هذا الصابون يحمل الحروف RIF وهو رمز على «مكتب الرايخ للتموين بالمواد الدهنية » وقرأ البعض هذا الرمز خطأ على أنه RTF ، أى « دهن يهودى صافى » وبعد ذلك انتشرت الإشاعة كالريح.

وتوجد ثلاث وثائق قد تسمح لو نوقشت بجدية وعلنًا، بوضع حد للجدل بشأن «غرف الغاز» وهى: «تقسريس للوشتر» (٥ أبسريل المجدل بشأن «غرف الغاز» وهى المضادة بتاريخ ٢٤ سبتمر ١٩٩٠، ووثيقة جرمار رودولف (١٩٩٤)، لأنها هى الوحيدة التى تكشف عن نهج علمى وموضوعى، وتتضمن تحليل العينات المأخوذة على الموقع، مما يتيح التحليل الكيميائى.

والزيكلون ب، المصنوع من حامض السيانيدر، هو الذي زعم أنه . . قتل عددا كبيرا من المعتقلين بالغاز . وهو عادة ما يستخدم لتطهير الملابس أو الأدوات التي يخشى منها أن تنشر الأوبئة ، ولا سيما التيفوس ، وقد استخدم ابتداء من الحرب العالمية الأولى لأول مرة ، ولكنه استعمل بعد ذلك لتنفيذ الإعدام في أحد المحكوم عليهم بالإعدام في أريزونا عام ١٩٢٠ . ثم استخدمته ولايات أمريكية أخرى لنفس الغرض ، ولا سيما في كاليفورنيا وكولورادو والماريلاند والمسيسيبي ، وميسورى ، ونيفادا ، ونيومكسيكو ، وكارولينا الشمالية .

[المصدر: تقرير لوشتر (رقم ٩٠٠٤).

وقد عمل المهندس لوشتر كخبير استشارى لولايات ميسورى وكاليفورنيا وكارولينا الشمالية. وقد تخلت ولايات كثيرة اليوم عن هذا النمط من الإعدام بسبب تكلفته الباهظة ليس فحسب بالنسبة لغاز السيانيدر، ولكن بالنسبة أيضا لمواد تصنيعه وصيانته التي تستلزم إجراءات أمنية لاستخدامه، مما جعله أغلى طريقة للإعدام.

وبعد أن قام لوشتر بزيارة واختبار عينات * غرف الغاز * المزعومة في أوشفيتز ـ بيركيناو وغيره من معسكرات الشرق، توصل إلى الاستنتاجات التالية: « إن الفحص العينى للمنشآت تشير إلى أن تصميمها كان رديئًا للغاية وخطرًا إذا ما استخدمت كغرف للإعدام * وخلص لوشتر إلى أن أى من الشروط لم تستوف للقول بأنها غرف الغاز القاتلة. وكان أى إنسان يعمل فيها سيعرض نفسمه للخطر، وبعد أن استعرض جميع المواد الوثائقيسة وفحص جميع الأماكن في أوشفيتز ، وبركيناو، وما جدانك، وجد أن البراهين دامغة: فلم توجد في أى من هذه الأماكن غرف غاز قاتل * .

[المصدر: تقرير لوشتر، ماساتشوست، ٥ أبريل ١٩٨٨].

وفي أثناء محاكمة تورنتو، كشف المحامى كريستى كم كانت الشهادات « تتعارض مع حقيقة الإمكانيات الكيميائية والتقنية. وكما توضح العينات والمعاينة التى قام بها لوشتر فإن آثار حامض السيانيدر في الزيكلون ب، كانت أهم بكثير في القاعات التى تأكد أنها كانت مخصصة للتطهير، عنها في القاعات المزعوم أنها كانت « غرف

للغاز".

[المصدر: المرجع السابق].

وهذه النتيجة أكدتها جزئيًّا المعاينة المضادة لكراكوفي التي أجراها معهد معاينات الطب الشرعي في كراكوفي بتاريخ ٢٠ فيراير وحتى ١٨ يوليه ١٩٩٠، والتي أبلغت نتائجها للمتحف بالخطاب المؤرخ في ٢٤ سبتمبر ١٩٩٠.

هذا وقد فحص لوشتر الأماكن التي استخدمها النازي وفقًا للخرائط الرسمية لبيكركيناو، كمقابر للحرق «للتخلص من الجثث. وشدد على أنه من المستحيل حرف الأجسام تحت الماء لأن أوشفتيز وبيركيناو بنيتا على مستنقعات.

أما ألبوم أوشفيتز وعو يضم ١٨٩ صورة أحدت من المعسكر نفسه في ذلك العهد، والذي قدم له سيرج كلاسفلد، تظهر ١٨٩ منظرًا للحياة في معسكرات الاعتقال لدى وصول قافلة من المعتقلين القادمين من المجرد. وليس فيه أى شيء يثبت الإبادة الجماعية والمنظمة، بل على العكس فإنها تستبعد مثل هذه الإبادة.

[المصدر: ألبوم أوشقيتز، باريس، ١٩٨٣].

ويبدو أن الكندى جون بول، خبير تفسير الصور الجوية، هو الذى. جمع أكبر قدر من المستندات التصويرية الأصلية وأجرى بكفاءة تحليلاً صارمًا لها. وجاءت استنتاجاته متعارضة تمامًا مع التاريخ

الرسمى.

[المصدر: القرائن التصويرية الجوية، كندا، ١٩٩٢].

ولا يمكن لكتاب بريساك المعنون « محارق أوشفيتز » الذي لا يخصص سوى فصل واحد من • ٢ صفحة لغرف الغاز، والذي لا يشير إطلاقًا إلى تقرير لوشتر، أن يوازن أو يعادل تحليلات لوشتر.

وطالما لم تجربين خبراء من ذوى الكفاءات المتساوية، مناقشة علمية وعلنية بشأن المهندس فرد لوشتر، وبشأن معاينة كراكوفى المضادة، التي جرت في ١٩٩٠ بناء على طلب من سلطات متحف أوشفيتز، وطالما أن مجموع أوراق النقاش حول * غرف الغاز » لن يخضع لمناقشة حرة، فإن الشك سيظل قائما بل والريبة.

وحتى هذه اللحظة ، فإن الحجج الوحيدة التى استخدمت حيال الرافضين للتاريخ الرسمى ، كانت هى الامتناع عن المناقشة ، والاغتيال ، والرقابة والاضطهاد .

988



« وعلى غرار الوعد الإلهى الوارد في التوراة ، فإن الإبادة الجماعية هي عنصر من عناصر التبرير الأيديولوجي لإنشاء دولة إسرائيل » توم سيجيف ، المليون السابع.

۱۹۹۳ء ص ۸۸۸.

عادة ما تستخدم عبارات ثلاث لتعريف المعاملة التي عاني منها البهود على أيدى النازيين وهي: الإبادة الجماعية، والهولوكوست والشواه SHOAH.

ولعبارة « الإبادة الجماعية « معنى محدد من واقع أصل الكلمة نفسها وهو إبادة جنس ما ، وذلك بافتراض وجود جنس يهودي كما تدعى العنصرية الهتلرية وكما يؤكده القادة الإسرائيليون حتى الآن .

ولكن هل كانت هناك أثناء الحرب ، « إبادة جماعية » لليهود ؟ .

ولعبارة الإبادة الجماعية معنى محدد في جميع القواميس. فلاروس على سبيل المثال يعطى هـ فد التعريف: « الإبادة الجماعية هي الإبادة المنظمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها ».

ولا ينطق هذا التعريف حرفيا إلا في حالة غزو يشوع لأرض كنعان، حيث جاء في سفر العدد أنه بالنسبة لكل مدينة مفتوحة «لم يبق بها شريد (أي إنسان حي)». (العدد، ٢١_٣٥).

وعلى ذلك فقد استخدمت العبارة في نورمبرج بطريقة خاطئة تمامًا لأن الأمر لا يتعلق بإفناء شعب بأكمله والقضاء عليه كما هو الحال بالنسبة للإبادات المقدسة " للعمالقة والكنعايين وغيرهم من الشعوب الأخرى الذى تحدث عنها سفر يشوع بأنها حدثت في عجلون وحبرون: « ولم يبق منهم باقيًا » (يشوع ، ١٠ - ٣٧) أو في حاصور: «وأما الرجال فضربوهم جميعًا بحد السيف حتى أفنوهم ولم يبقوا نسمة». (يشوع ، ١١ - ١٤).

وعلى النقيض من ذلك ، فإن اليهودية (وتعريفها « كنجس » ينتمى إلى القاموس الهتلرى) قد حققت انطلاقة هائلة في العالم مند عام ١٩٤٥.

ولا شك أن اليهود كانوا أحد الأهداف المفضلة لهتلر بسبب نظريته العنصرية التي تقوم على تفوق الجنس الآرى، وخلطه المتعمد والمنهجي بين اليهود والشيوعية التي كانت عدوه الرئيسي (وهو ما تشهد عليه عمليات إعدام آلاف الشيوعيين الألمان، ثم عناده وتصلبه ضد السجناء السلاف أثناء الحرب). وأطلق على هذا الخلط عبارة اليهودية البلشفية ».

وتوخى منذ إنشاء حزبه «القومى ـ الاشتراكى » (النازى)، ليس فحسب استئصال الشيوعية، بل وطرد جميع اليهود من ألمانيا أولا، ومن كل أوروبا بعد أن يسيطر عليها. وحدث هذا بطريقة بعيدة كل البعد عن الإنسانية: أولا بالتهجير، ثم بالنفى، وأثناء الحرب، بالحبس في معسكرات الاعتقال في ألمانيا أولاً، ثم بالإبعاد نحو مدغشقر في بادىء الأمر ثم نحو الشرق في الأراضى المحتلة، وخاصة في بولندا، حيث هلك السلاف واليهود والغجر بالأشغال الشاقة في خدمة الإنتاج الحربى، ثم بالأوبئة الفظيعة للتيفوس التى تدل كثرة المحارق على ضخامتها.

فماذا عن الحساب الختامي لهذا التعنت الهتلري ضد هؤلاء الضحايا السياسيين أو العنصريين؟ لقد خلّفت هذه الحرب العالمية الثانية. ٥٠ مليونًا من الموتى منهم ١٧ مليونا من السوفييت و ٩ ملايين من الألمان. أما بولندا والبلدان الأخرى المحتلة في أوروبا، وكذلك ملايين الجنود من أفريقيا وآسيا، فقد دفعوا ثمنًا باهظًا بموت عدد كبير منهم.

وعلى ذلك ، فإن الهيمنة الهتلرية لم تكن ، كما أشاعت بعض الوان الدعابة ، حكرًا على اليهود وحدهم ، أو أنهم كانوا الضحايا الرئيسيين . فقد كانت كارثة بشرية لا مثيل لها للأسف الشديد ، لأن هتلر طبق على البيض ما طبقه الاستعماريون الأوروبيون منذ خمسة قرون ، على الملونين ، ابتداء من هنود أمريكا ، الذين استؤصل منهم ، ٢ مليونًا من ٨٠ مليونًا (وبالأشغال الشاقة كذلك والأوبئة) وحتى الأفارقة الذين نقل منهم من عشرة إلى عشرين مليونًا إلى الأمريكتين ، بعد أن مات منهم ، ١٠ إلى ٠ ٠ مليون خلال فترة الرق واصطياد العبيد السود .

وكانت هذه الأسطورة ترضى الجميع: فالحديث عن « أكبر عملية إبادة جماعية في التاريخ » كان بالنسبة للاستعماريين الغربيين، إنزالا للستار على جرائمهم (قتل الهنود في أمريكا، والرقيق السود)، وبالنسبة لستالين محوًا لآثار عمليات القمع الوحشية التي قام بها .

[المصدر: بول ماری دی لاجورس، ۱۹۳۹ –۱۹۶۵ حرب غیر معروفة، باریس ۱۹۹۵، ص-۵۳۵].

وكانت الغايات من ذلك غايات سياسية وليست غايات حربية.

فقد كتب تشرشل ابتداء من ١٩٤٨ في كتابه: الحرب العالمية الثانية (المجلد الرابع): من الخطأ الافتراض بأن مصير اليابان قد تقرر بواسطة القنبلة الذرية».

ويؤكد الأميرال الأمريكي وليم ليهي قي كتابه « كنت هناك » على هـذا قائلا: في رأيي أن استخدام هذا السلاح البربسري في هيروشيما ونجازاكي لم يكن عونًا كبيرًا في الحرب ضد اليابان ».

والواقع أن الإمبراطور هيروهيتو كان قد بدأ المفاوضات للاستسلام في ٢١ مايو ١٩٤٥، مع الاتحاد السوفيتي (الذي لم يكن قد دخل الحرب مع اليابان بعد)، وذلك بواسطة وزيره للخارجية والسفير السوفيتي مالك.

[المصدر: المرجع السابق ، ص_ ٥٣٢].

وكانت واشنجتن على معرفة تامة بنوايا اليابانيين.

وعلى هذا فقد كان الهدف سياسيا لا حربيا، كما صرح بذلك الوزير الأمريكي للطيران فلنتر شارحًا أن استعمال القنابل الذرية كان هدفه «طرح اليابان أرضًا» قبل دخول روسيا الحرب». ويلخص الأميرال الأمريكي ليهي في كتابه السابق: «باستخدامنا القنبلة الذرية كأول من استخدمها، فإننا قد هبطنا إلى مستوى برابرة العصور الوسطى».

وبالنسبة لكل هؤلاء الزعماء ، الذين يستحقون أن يقفوا أمام محكمة

دولية مكونة من دول محايدة كمجرمى حرب بجانب جورنج وعصابته، اكتشف الأنفسهم حججًا « بغرف الغاز » و « عمليات الإبادة الجماعية»، وهي حجم لم تكن لتخطر على بالهم أبدًا لتبرير جرائمهم ضد الإنسانية أو محوها على الأقل.

وكتب المؤرخ الأمريكي أولبريت، الذي كان مديرًا للمعهد الأمريكي للبحوث الشرقية، في كتابه الأساسي، «من العصر الحجري إلى المسيحية. والوحدانية وتطورها»، وبعد أن برر « الإبادات الخماعية المقدسة » ليشوع في غزوه لكنعان ، يقول « إننا نحن الأمريكان ليس لنا الحق في الحكم على الإسرائيليين. . لأننا قد أبدنا . . . آلاف الهنود داخل الأركان الأربعة لبلدنا الكبير وجمعنا من تبقى منهم في معسكرات ضخمة للاعتقال ٢٢٠ (ص-٢٠٥).

وعبارة «هولوكوست» المطبقة على نفس هذه المأساة منذ السبعينات انطلاقا من كتاب إيلى فينزل: «الليل» (١٩٥٨) والتى انتشرت بعد عرض فيلم «الهولوكوست»، تشى هى الأخرى بالرغبة في استغلال الجريمة التى ارتكبت ضد اليهود وجعلها حدثًا استثنائيا لا مثيل له ولا يمكن مقارنته بقتل الضحايا الآخريين للنازية، ولا بأى جريمة أخرى من جرائم التاريخ، لأن معاناتهم وأمواتهم قد اتخدت طابعًا مقدسًا. ومن ثم فإن «لاروس العالمي» (باريس ١٩٦٩، صطلبعًا مقدسًا. ومن ثم فإن «لاروس العالمي» (باريس ١٩٦٩، صالضحية بالنار تمامًا».

وبذلك أصبح استشهاد اليهود لا يعادله استشهاد آخر نظرًا لطابعه القربانى الذى أدمجهم ضمن المشروع الإلهى على طوريقة صلب المسيح في اللاهوت المسيحى، مفتتحًا بذلك عصرا جديدا، الأمر الذى أتاح لأحد الحاخامات أن يقول: إن إنشاء دولة إسرائيل، هو رد الرب على الهولوكوست ».

ولتبريس الطابع المقدس للهولوكوست كان ولابد من الإبادة التامة واختراع عمليات التنفيذ ثم الحرق.

نعم الإبادة النهائية، ومن أجلها كان لابد من توخى الحل النهائي للمشكلة اليهودية الذي صار إبادة.

ومع هـــذا فلم يتسن تقــديـم أي نص يثبت أن « الحل النهـائي » للمشكلة اليهودية كان بالنسبة للنازيين هو الإبادة .

ولقد ارتبطت معاداة هتلر للسامية ، منذ بياناته الأولى ، بمعركته ضد البلشفية (فهو يستخدم دائما تعبير « اليهودية ـ البلشفية ») ؛ وكانت معسكرات الاعتقال الأولى التي أقامها مخصصة للشيوعيين الألمان الذين ماتوا بالآلاف ، بما فيهم رئيسهم تيلمان .

أما بالنسبة لليهود، فإنه كان يوجه إليهم اتهامات متناقضة أولاً أنهم من أنشط الحركيين في الشروة البلشفية (تروتسكي، وزينوفييف، كامنيف، . . . إلخ)، وأنهم في الوقت ذاته. من أشد الرأسماليين استغلالاً للشعب الألماني.

وعلى ذلك، فكان من المهم بعد تصفية الحركة الشيوعية، وإعداد التوسع الألمانى نحو الشرق ، على طريقة الفرسان التوتونيين، سحق الاتحاد السوفيتى، الأمر الذي ظل شاغله الشاغل من البداية وحتى النهاية ، والذى ظهر إبان سطوت على شكل فظاعات حيال المسجونين السلاف (البولنديون والروس). وأنشأ لهذا الغرض أثناء الحرب ضد روسيا، وحدات مكلفة خصصيا للنضال ضد حرب المشايعين السوفييت والقضاء على مفوضيهم السياسيين، حتى لو كانوا مسجونين، ومن بينهم عدد كبير من اليهود الشجعان الذين قتلوا كرفاقهم من السلاف.

ويبرهن ذلك على حدود الدعاية بشأن « المعاداة السوفيية للسامية». فلا يمكن في آن واحد ادعاء أن السوفييت كانوا يبعدون اليهود عن الوظائف الهامة، والجزم بأن اليهود كانوا يشكلون غالبية « المفوضين السياسين » للمشايعين الذين تكفلت الوحدات الخاصة بالقضاء عليهم.

أما فيما يتعلق بمجموع اليهود الألمان ثم الأوروبيين، فإن إحدى الأفكار البشعة للنازيين كانت تتمثل في تفريغ ألمانيا ثم أوروبا منهم.

وشرع هتلر في ذلك على خطوات هي:

● الأولى هي تنظيم تهجيرهم في ظروف تسمح له بسلب أموال الأغنياء منهم. (وقد رأينا كيف تعاون زعماء الصهاينة في شركة «ععفرا»

في هذه العملية بالوعد في مقابل ذلك بالحيلولة دون مقاطعة ألمانيا الهتلرية، وعدم المشاركة في الحركة المضادة للفاشية).

€ والخطوة الثانية كانت الإبعاد بـ الا شرط متابعة للمخطط الرامى إلى إرسالهم جميعاً إلى جيتو عالمى، وهـ و جزيرة مـ دغشقر بعـ د استسلام فرنسا. وجرى التخلى عن هذا المشروع لضخامة العملية وصعوبتها في زمن الحرب.

● الاحتلال الهتلرى لشرق أوروبا ، ولا سيما بولندا ، والذى أمكن التوصل إليه بفضل « الحل النهائى » وهو تفريخ أوروبا من يهودها ، بنقلهم بشكل مكتّف إلى معسكرات خارجية ، التى ذاقوا فيها أشد أنواع المعاناة والتعذيب ، بما فى ذلك التجويع والسير الإجبارى ، والمميت للضعفاء ، والأشغال الشاقة في ظروف لا إنسانية لخدمة المجهود الحربى الألمانى (وكان معسكر أوشفيتن _ بيركيناو على سبيل المثال أكبر مركز للصناعات الكيميائية) . وأخيرًا الأوبئة ، وخاصة التيفوس ، التى اجتاحت المعتقلين المنهكين .

فهل من اللازم اللجوء إلى أساليب أخرى لشرح الموت الفظيع الذي حاق بضحايا مثل هذه المعاملة ، وبعد ذلك المبالغة في الأرقام بصورة مفرطة ، والاضطرار إلى تخفيضها لاحقًا؟ .

وكذلك استبدال اللوحة التذكارية بمعسكر بيركيناو _ أوشفيتز
 لتخفيض عدد الموتى من ٤ ملايين إلى مليون؟ .

- تغيير لوحة « غرفة الغاز » في داخاو للتوضيح بأنها لم تعمل أبدا.
- أو تغيير لوحة « استاد الشتاء » في باريس للإشارة إلى أن عدد اليهود الذين اعتقلوا فيه كانوا ١٦٠ وليس ٢٠٠٠ كما جاء في اللوحة الأصلية التي تم سحبها .

[المصدر: لموند، ١٨ يوليه ١٩٩٠، ص٧].

وليس الغرض مسك دفاتر حسابية مؤلمة ومفجعة. فقتل إنسانية . برىء واحد سواء أكان يهوديًّا أو لم يكن، هو جريمة ضد الإنسانية . ولكن إذا ما كان عدد الضحايا لا أهمية له من هذه الناحية ، فلماذا إذن التمسك منذ ما يزيد على نصف قرن مضى بسرقم الستة ملايين ، في الوقت الذي لا نعتبر فيه أن عدد الضحايا غير اليهود في كاتين ودرسدن وهيروشيما ونجازاكي لا يجوز الاقتراب منه على العكس من السرقم الذهبي الستة ملايين الذي يحظى بالتقديس ، رغم ما طرأ عليه من تخفيض بصورة دائمة .

وفيما يتعلق بمعسكر أوشفيتز ـ بيركيناو وحده:

- ٩ مسلايين وفقًا لفيلم المخرج الفسرنسى آلان رينيم « الليل والضباب »، الذي أخرجه عام ١٩٥٥، مع أنه فيلم رائع ومؤثر.
- ◄ ٨ مـالايين وفقًا « لـوثائق خـدمـة تاريخ الحـرب » ـ معسكـرات

الاعتقال، الدذى أصدره المكتب الفرنسسي للنسشر عام ١٩٤٥، الصفحة ٧.

€ ٤ ملايين طبقًا للتقرير السوفيتى الذى جعلت منه محكمة نورمبرج دليل إثبات شرعى وفقًا للمادة ٢١ من النظام الأساسى التى تنص على ما يلى: «تكون للوثائق والتقارير الرسمية للجان التحقيق التابعة لحكومات الحلفاء قوة دليل الإثبات الشرعى » ومع أن هذه المادة نفسها تنص على أن « هذه المحكمة لن تطالب بتقديم الأدلة على الوقائع المعروفة للجميع ، وستعتبرها أدلة مسلم بصحتها ».

◄ ٢ مليون حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودى ليون بولياكوف
 « ترانيم الحقد »، ١٩٧٤ ص - ٤٩٨.

مليون وربع حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودي راءول هيلبرج، «تدمير يهود أوروبا»، الصادر عام ١٩٨٥، ص - ٨٩٥.

والآن وبعد أبحاث تاريخية مطولة قام بها علماء من جنسيات مختلفة، أوجز مدير معهد التاريخ المعاصر في باريس، السيد فرانسو بيداريدا، هذه الأعمال في مقال له صدر بجريدة لموند وعنوانه « تقييم ضحايا أوشفيتز »، خلص فيه إلى أن عدد ضحايا معسكر أوشفيتز يتراوح بين ٩٥٠٠٠٠ على أقل تقدير و ٢, ١ مليون على أكثر تقدير.

[المصدر: لموند، ٢٣ يوليه ١٩٩٠].

ويمكن كذلك عمل تقييم لعدد الموتى في المعسكرات الأخرى.

فعلى سبيل المثال، كم كان عدد الموتى في معسكر مجدانيك؟

- مليون ونصف طبق اللوسى داودوفيتش في كتاب الحرب ضد
 اليهود، ، الصادر في عام ١٩٨٧ ، الصفحة ١٩١ .
 - ۲۰۰۰ ۳۰ حسب لياروش و إبرهارد، ۱۹۹۱، ص-۲۱۷.
 - ٥٠٠٠٠ حسب راءول هيلبرج (المرجع السابق) .

وهنا يطرح السؤال التالى. ألا يخدم الدعاية النازية الحديثة تقديم مثل هذه الحجة: إذا كنتم قد كذبتم بشأن مسألة عدد الضحايا اليهود، فماذا يمنع أن تكونوا قد بالغتم في جرائم هتلر؟ ».

ونفس هذه المغالطات المريبة بشأن أساليب قتل اليهود، قد تثير الشك أيضًا:

- فالنيويورك تايمـز الصادرة في ٣ يونيه ١٩٤٢ تتحدث عن « مبنى للإعدام » كان يعدم فيها بالرصاص • ١ يهودي يوميًا.
- وفى ديسمبر ١٩٤٥، أدخل ستيفان زيند اليهود في حوض
 سباحة ضخم يمر فيه تيار كهربائي ذو ضغط عالٍ لصعقهم،
 ويضيف: « وبهذا فإن مشكلة إعدام ملايين الرجال قد حُلّت ».
- وثيقة نـورمبرج رقم ١١ ٣٣١ المـؤرخة في ١٤ ديسمبر ١٩٤٥،
 وتشير إلى ضحايا ماتوا بالأبخرة داخل « غرف البخار المحرق ».
- وبعد شهرين ونصف ، استبدلت نفس هذه المحكمة غرف

البخار المحرق بغرف الغاز.

ولكن الصيغتان الشائعتان في التليفزيون والصحافة والكتب المدرسية هما الإعدام بالزيكلون ب من جهة، والشاحنات المجهزة بمخارج غاز محركات الديزل.

والأمر الذي يؤسف له أن محكمة نورمبرج أو أي محكمة أخرى لم تأمر بإجراء أي معاينة من أجل التحديد النهائي لسلاح الجريمة .

000

وهناك مثال آخر مؤسف هو معسكر داخاو. . فالفيلم الذى عرض في نورمبرج أثناء المحاكمة بشأن فظاعات النازى، أوضح وجود « غرفة غاز » واحدة فقط . هى غرفة معسكر داخاو . وقد نظمت الزيارات للسياح والطلبة حيث توجد اليوم لوحة تذكارية جاء فيها أن أحدًا لم يلق فيها حتفه بالغاز لأنها لم تستكمل أبدًا ! .

وصدر في ١٩ أغسطس ١٩٦٠ ، بيان عن مارتى بروزات عضو معهد التاريخ المعاصر في ميونيخ ، اعترف فيه بأنه لم يحدث أن قتل اليهود أو المعتقلون الآخرون بالغاز في داخاو ، أو بريجن بيلسن ، أو بوشنفالد . . ولم يبدأ القضاء الجماعى على اليهود بالغاز إلا في ١٩٤١ . . . وقبل كل شيء في الأراضى البولندية المحتلة ».

وبالإضافة إلى عمليات القصف الجوى التي ضربت سكان البلدان المشتركة في الحرب، والأشغال الشاقة والنقل الدائم في ظروف لا إنسانية خلّفت آلاف الجثث في الطريق، وسوء التغذية، والأوبئة، فهل تحتاج هذه المأساة إلى تضخيم للدلالة على قتل اليهود على أيدى النازى؟

وهل الحاجة تدعو والحالة هذه إلى الإبقاء بأى ثمن على هالة القداسة للهولوكوست، والتلويح بشبح « غرف الغاز »؟.

ورغم وجود خلط لدى الناس من ذوى النيات الطيبة بين «محارق الموتى » و « غرف الغاز »، ووجود عدد هام من هذه المحارق في المعسكرات الهتلرية لوقف انتشار وباء التيفوس، فإن هذه المحارق ليست بالحجة الكافية، فهذه المحارق موجودة في المدن الكبرى كباريس (بيرلاشيز) ولندن وفي كل العواصم الهامة، وحرق الموتى فيها لا يعنى بالطبع الرغبة في إبادة السكان. ولذلك فقد اقتضى الأمر إضافة « غرف الغاز » إلى المحارق لإقامة الذرائع والتدليل على الإبادة بالنار. ومع ذلك فلم تتوفر المقتضيات المبدئية لإثبات وجودها ولم تسمح معاينة « سلاح الجريمة » بالعثور عليها.

وقد خدع الإخراج الذى أحاط بمعسكر داخاو آلاف الأطفال الذين كانوا يقتادون إلى هناك لتلقينهم عقيدة الهولوكوست، ناهيك عن الكبار وقدماء المعتقلين!

وكانت غرفة الغاز في داخاو هي الوحيدة التي عرضت بالصور على المتهمين في نورمبرج، بوصفها من أماكن الإبادة الجماعية، ويبدو أنهم اقتنعوا بذلك باستثناء جورنج وستريشر.



ترتكز الأيديولوجية الصهيونية على فرضية واهية وجد بسيطة هي أنه قد جاء في سفر التكوين (١٥/ /١٨ ـ ٢١). ما يلي :

« في ذلك اليوم بتّ الـرب مع « أبرام » عهـدًا قائلاً: لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ».

وانطلاقًا من ذلك، ودون التساؤل عن ماهية هذا العهد ولمن صدر الوعد أو أن الاختيار كان غير مشروط، أعلن الزعماء الصهاينة، حتى ولو كانوا لا أدريين أو ملحدين أن فلسطين قد أعطيت لنا من الرب.

وتشير الإحصائيات ، حتى إحصائيات الحكومة الإسرائيلية أن ١٥٪ من الإسرائيلين فقط هم من المتدينين . ولكن هذا لا يمنع ٩٠٪ منهم التأكيد على أن هذه الأرض قد منحها لهم الرب . . الذي لا يؤمنون به .

ولا تمارس الغالبية العظمى للإسرائيليين الحاليين الطقوس ولا العقيدة الدينية ، ولا تضم مختلف « الأحزاب الدينية » التي تلعب مع ذلك دورًا حاسمًا في دولة إسرائيل، سوى أقلية ضعيفة جدًّا من المواطنين.

وشرح ناثان وينستوك هذا التناقض في كتابه « الصهيونية ضد إسرائيل » قائلاً: لو ألغينا مفاهيم « الشعب المختار » و « الأرض الموعودة» لانهارت الصهيونية من أساسها ».

[المصدر: الصهيونية ضد إسرائيل، باريس ١٩٦٩، ص ٣١٥].

« إن هذا البلد وجد كوفاء لـوعد أخذه الرب على نفسه. ومن المثير

للسخرية محاسبته على شرعيته. وتلك هي البديهية المسلم بصحتها والأساسية التي وضعتها جولدا مائير ».

[المصدر: لموند، ١٥ أكتوبر ١٩٧١].

« لقد وُعدنا بهذه الأرض ، ولنا حق فيها ». كما يقول بيجين.

[المصدر: تصريح بيجين في أوسلو، صحيفة دافار، ١٢ ديسمبر ١٩٧٨].

ولا شك أن بن جوريون يشير إلى سابقة « صيد الهنود » في أمريكا لطردهم والاستيلاء على أراضيهم عندما قال بوضوح: « إن الأمر لا يتعلق بالحفاظ على الوضع الراهن، فأمامنا مهمة إنشاء دولة نشيطة ودينامية موجهة نحو التوسع ».

وتتطابق الممارسة السياسية مع النظرية الغريبة التي مفادها: الاستيلاء على الأرض بطرد سكانها كما فعل يشوع، خليفة موسى.

وقد أعلن مناحم بيجين، وهو أشدهم إيمانًا بالتقاليد التوراتية: أن أرض إسرائيل الكبرى ستعود إلى شعب إسرائيل، كلها وللأبد».

[المصدر: مناحم بيجين، العصيان، قصة الأرجون، ص-٣٣٥].

وهكذا ومنذ البداية، تضع دولة إسرائيل نفسها فوق كل قانون دولي.

ولما فرضت إسرائيل على منظمة الأمم المتحدة في ١١ مايو ١٩٤٩ بإرادة الولايات المتحدة، فإنها لم تقبل عضوا إلا بشلاثة شروط هي:

- ١ _عدم المساس بوضع مدينة القدس.
- ٢ _ السماح للعرب الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم .
 - ٣_احترام الحدود التي وضعها قرار التقسيم.

ولكن بن جوريون أعلن في معرض حديثه عن هذا التقسيم وعن القرار الذي اتخذته الأمم المتحدة: « ترى دولة إسرائيل أن قرار الأمم المتحدة المتحدة الصادر في ٢٠٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، يعتبر باطلاً وكأنه لم يكن ».

وتتطابق السياسة تمامًا مع قانون الغاب هذا: إن تقسيم فلسطين المنبثق عن قرار الأمم المتحدة لم يحترم أبدًا.

وقرار تقسيم فلسطين هذا يشى بمخططات وأهداف الغرب بشأن «قاعدته المتقدمة »، فاليهود في ذلك التاريخ لم يكن يمثلون سوى ٣٢٪ من السكان، ولا يملكون سوى ٦,٥٪ من الأرض، ومع هذا فقد حصلوا على ٥٦٪ من الأراضى ذات التربة الخصبة. ولقد تم التوصل إلى هذه القرارات تحت ضغط من الولايات المتحدة. فقد مارس الرئيس ترومان ضغطًا لا مثيل له على وزارة الخارجية الأمريكية. وفي ذلك يقول وكيل هذه الوزارة سومنر ويلنز: بأمر مباشر من البيت الأبيض، كان على الموظفين الأمريكيين ممارسة ضغوط مباشرة أو غير مباشرة. . لضمان الأغلبية اللازمة عند التصويت النهائى ».

[المصدر سومنرويلز، «علينا ألا نخفق»، بوسطون، ١٩٤٨، ص٣٣].

ويـؤكد جيمس فـورستال، وزيـر الدفـاع آنذاك، أن: « الأساليب المستخـدمـة للضغط، ولإكراه الـدول الأخـرى في الأمم المتحـدة، أَشْفَتْ [قاربت] على الفضيحة».

[المصدر: مذكرات فورستال، نيويورك، ١٩٥١، ص-٣٦٣].

وقد تم أيضا تعبئة قـوى الاحتكارات الخاصة لهـذا الغرض. ومع ذلك، فقد انتهكت هذه القرارات المتحيزة ابتداء من عام ١٩٤٨.

فكلما احتج العرب على هذا الظلم ورفضه، تمادى الزعماء الإسرائيليون في استغلال ذلك للاستيلاء على أراضٍ جديدة، لا سيما ياف وعكا، بحيث سيطر الصهاينة في ١٩٤٩ على ٨٠٪ من البلاد، وطُرد ٠٠٠, ٧٧٠ فلسطيني منها.

وكان الأسلوب المستخدم والمتبع هو أسلوب الترهيب والتخويف.

والمثل الصارخ على ذلك هو دير ياسين، ففي التاسع من أبريل ١٩٤٨، بطريقة مماثلة لطريقة النازى في أورادور، قتل أهالى هذه القرية البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة (الرجال والنساء والأطفال والشيوخ) على أيدى قوات الأرجون التي كان يرأسها مناحم بيجين.

ويقول مناحم بيجين إنه بدون « الانتصار » في دير ياسين، ما قامت دولة إسرائيل « فقد قامت الهاجانة بهجمات مظفرة على جبهات أخرى . . وكان العرب الذين أصابهم الهلع يهربون وهم يصيحون : دير ياسين » .

وقد اعتبر «غائبا» كل فلسطيني غادر منزله قبل أول أغسطس ١٩٤٨. وبهذه الطريقة صودر ثلثا الأراضي المملوكة للعرب (٢٠٠٠٠) هكتار من ١٩٥٠، قانون حيازة هكتار من ١٩٥٠، وعندما صدر في عام ١٩٥٣، قانون حيازة العقارات، حدد التعويض حسب قيمة الأراضي في عام ١٩٥٠، مع أن الجنيه الإسرائيلي كان قد فقد قيمته بمعدل خمس مرات.

وكانت الأمم المتحدة قد عينت وسيطًا هو الكونت فولك برنادوت، الـذى وصف في تقريره الأول السلب الصهيوني على النطاق الواسع وتدمير القرى دون ضرورة عسكرية ملحة.

وقدم هذا التقرير في ١٦ سبتمر ١٩٤٨ . وفي ١٧ سبتمر ١٩٤٨ ، اغتيل الكونت برنادوت ومساعده الفرنسي الكولونيل سيرو، في الجزء الذي يحتله الصهاينة من القدس .

ولم تكن هذه أول جريمة صهيونية ضد من يتجاسر على فضح تضليلهم وغشهم.

فقد أعلن اللورد موين، الوزير المفوض البريطاني في القاهرة، أمام مجلس اللوردات في ٩ يونية ١٩٤٢، إن اليهود ليسوا أحفاد العبرانيين القدماء، وأنهم لا يملكون المطالبة الشرعية بالأراضي المقدسة. وفي ٩ نوفبر ١٩٤٤، اغتيل اللورد موين في القاهرة على يبد اثنين من أفراد جماعة شتيرن (التابعة لإسحق شامير).

كما حلت دولة إسرائيل محل المستعمرين القدماء وبنفس الأساليب في الزراعة وغيرها، وبذلك تواصل النظام الاستعماري

وتفاقم. ويعترف الدكتور روزنفيلد في كتابه «العمال العرب المهاجرون» الذي نشرته الجامعة العبرية في ١٩٧٠، بأن الزراعة العربية كانت أكثر ازدهارًا وقت الوصاية البريطانية منها اليوم.

وظهر التمييز العنصرى كذلك في إطار سياسة الإسكان. فقد ذكر إسرائيل شاحاك، الأستاذ بنفس هذه الجامعة العبرية في كتابه: «عنصرية دولة إسرائيل» (ص ٥٧) أنه يوجد في إسرائيل مدن بأكملها (كارمل، ونزارت، وإليت، وهتزور وأراد وميتزفين _ رامن وغيرها) يحرم القانون أن يقطنها غير اليهود.

وقد انعكست هذه السياسة كذلك على الثقافة والتعليم.

ونحن هنا في صميم المنطق الصارم للنظام الصهيوني وهو كيفية خلق أغلبية يهودية في بلد تسكنه طائفة عربية فلسطينية من السكان الأصليين؟

وطرحت السياسة الصهيونية الحل الوحيد المنبثق عن برنامجها الاستعماري الاستيطاني: إنشاء مستعمرة إسكان بطرد الفلسطينيين، ودفع عجلة الهجرة اليهودية.

وقد كمان طرد الفلسطينيين والاستيلاء على أرضهم عملية متعمدة ومنظمة. فالصهاينة أيام وعد بلفور في ١٩١٧، كان لا يملكون سوى ٥,٢٪ من الأراضى، ولدى صدور قرار « تقسيم » فلسطين، ٥,٥٪ أما في عام ١٩٨٧، فإنهم كانوا يملكون ٩٣٪ من الأراضى!.

وكانت الطرق المستخدمة لانتزاع الأراضى من سكانها الأصليين، هي نفسها طرق الاستعمار القاسية مع إضفاء الصبغة العنصرية المتميزة في حالة الصهيونية.

وقد اتخدت الخطوات الأولى طابع الاستعمار الكلاسيكى، أى استغلال اليد العاملة المحلية. وكان هذا هو أسلوب البارون إدوارد روتشيلد، وهو الأسلوب الذي كان يستخدمه في زراعته للعنب في البجزائر، والمتمثل في اليد العاملة الرخيصة للفلاحين، ولما مدّ أعماله إلى فلسطين، فإنه استغل في زراعاته للعنب، عربا آخرين هم الفلسطينيون.

وحدث نوع من التحول في المنحنى نحو عام ١٩٠٥، عندما وصلت من روسيا موجة جديدة من المهاجرين في أعقاب سحق ثورة ١٩٠٥. فبدلاً من مواصلة الكفاح إلى جانب الثوار الروس الآخرين في روسيا، فروا إلى فلسطين حاملين معهم نبوعًا غيريبًا من « الاشتراكية الصهيونية ». حيث أنشأوا تعاونيات حرفية وكيبوتزات للفلاحين بعد أن استبعدوا الفلاحين الفلسطينيين لخلق اقتصاد يستند إلى طبقة عاملة وزراعية يهودية، ومنذ ذلك الحين، ارتبط الأمر باستبدال الشعب الفلسطيني بشعب آخر، وبطبيعة الحال الاستيلاء على الأرض.

وكانت نقطة الانطلاق الكبرى هي إنشاء « الصندوق القومي اليهودي » في عام ١٩٠١، الذي كان له طابعه الخاص المتمثل في أن

الأرض التي تقع في حوزت لا يمكن إعادة بيعها ولا تأجيرها لغير اليهود، لأنها أصبحت أراضي إسرائيل ".

وثمة إجراء آخر وهو استخدام « قوانين الطوارى، » التى أصدرها الإنجليز في عام ١٩٤٥ ضد اليهود والعرب.

وقد احتج القانونى اليهودى برنارد جوزيف ضد هذا التشنريع عند صدوره لأن المواطن أصبح عرضة للحبس مدى الحياة دون محاكمة. وقد طبق هذا الشخص نفسه هذه القوانين ضد العرب عندما تولى وزارة العدل في إسرائيل. وفيما يتعلق بهذه القوانين كذلك، فإن جوزيف شبيرا أعلن في مظاهرة احتجاج في شوارع تل أبيب في ٧ فبراير شبيرا أعلن في مظاهرة احتجاج في البلدان المتمدينة ، ولم توجد حتى في ألمانيا النازية قوانين مماثلة ». ونفس هذا الشخص الذى أصبح نائبًا عاما ثم وزيرًا للعدل في دولة إسرائيل، طبق هذه القوانين ضد العرب ومبررًا ذلك بأن حالة الطوارىء لم تلغ منذ ١٩٤٨ في دولة إسرائيل.

وكتب شيمون بيريز في صحيفة دافار بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٧٢ ما يلى: « إن استخدام القانون ١٢٥ (وهو قانون الطوارئ) الذي تقوم عليه الحكومة العسكرية، هو استمرار مباشر للنضال من أجل التأصيل اليهودى والهجرة اليهودية ». أما المرسوم الخاص بزراعة الأراضى البور، الصادر في عام ١٩٤٨، والمعدل في ١٩٤٩، فقد أباح لوزير الزراعة دون التذرع بالحجج، مصادرة الأراضى المهجورة. ولكن ما قامت به القوى الصهيونية من تفريع للأرض من سكانها العرب بالطرد والترويع والمذابح كما حدث في دير ياسين عام ١٩٤٨، ثم في كفر قاسم عام ١٩٥٨، قد «حرر» أراض شاسعة تخلى عنها أصحابها من العرب، وأعطيت للمحتلين اليهود.

ولمحو ذكرى وجود السكان الزراعيين الفلسطينيين والتأكيد على أسطورة «بلاد صحراء »، دُمّرت القرى العربية وهُدّمت منازلها وأسوارها وحتى قرافاتها وقبورها. وقد أورد الأستاذ إسرائيل شاحاك عام ١٩٧٥ قائمة بأسماء ٣٨٥ قرية عربية دمرت بالبولدوزر، وذلك من بين ٤٧٥ قرية كانت مسجلة في عام ١٩٤٨. وقال وليتسنى الإقناع بأن فلسطين قبل إسرائيل لم تكن سوى «صحراء»، دكت مئات القرى بالبولدوزر وسويت بالأرض بيوتها وأسوارها وقرافاتها وقبورها».

[المصدر: إسرائيل شاحاك، عنصرية دولة إسرائيل، ص ١٥٧ وما بعدها].

واستمر زرع المستوطنات الإسرائيلية وازداد منذ ١٩٧٩ في الضفة الغربية ، وظبقا للتقاليد الاستعمارية الكلابيكية وهي تسليح المستوطنين . وكانت النتيجة الإجمالية هي الآتي : بعد طرد مليون ونصف مليون فلسطيني ، أصبحت «الأرض اليهودية » كما يقول العاملون في «الصندوق القومي اليهودي » ، تمثل اليوم ٩٣٪ من فلسطين بعد أن كانت ٥ , ٦٪ عام ١٩٤٧ .

وقد خُرِّف « قانون العودة » لصالح اليهود . فأى يهودى قادم من أى مكان يصبح مواطنًا إسرائيليا بمجرد ما تطأ أقدامه مطار تل أبيب، أما

الفلسطيني المولود في فلسطين ومن أبوين فلسطينيين ، فيجوز اعتباره عديم الجنسية .

ويقولون إن ليس في هذا أي تمييز عنصري ضد الفلسطينيين ولكن مجرد إجراء في صالح اليهود! .

والواقع أن من استقروا في إسرائيل ، فإن القليل منهم من جاء للوفاء « بالوعد » . وهذا من حسن الحظ ، لأن اليهود قد لعبوا دورًا بارزًا في كل بلدان العالم وفي كل ميادين الثقافة والعلوم والفنون ، ومما يحز في النفس أن تتوصل الصهيونية إلى تحقيق الغرض الذي وضعه المعادون للسامية وهو انتزاع اليهود من أوطانهم وحبسهم داخل جيتو عالمي .

فقد كان هناك و و ۲۵۰ يهردى عام ۱۸۸۰ في فلسطين من بين و و و و و د د السكان.

وابتداء من عام ١٨٨٢ ، بدأت الهجرات الكبرى عقب عمليات ذبح اليهود في روسيا القيصرية .

وعلى ذلك فمن عام ١٨٨٢ وحتى عام ١٩١٧، وصل ٥٠٠٠٠ يهودى إلى فلسطين. ثم جاء المهاجرون البولنديون ويهود المغرب هربًا من الاضطهاد، وذلك بين الحربين العالميتن.

ولكن أهم مجموعة ضخمة كانت المجموعة القادمة من ألمانيا بسبب معاداة هتلر للسامية، فسوصل نحبو • • • • • ٤ يهودي إلى فلسطين قبل عام ١٩٤٥ . وفي عام ١٩٤٧، وعشية إنشاء دولة إسرائيل، كان هناك ٢٠٠٠٠ يهودى في فلسطين من مجموع السكان البالغ قدره مليون وربع مليون نسمة.

وهنا بدأ الاجتثاث المنظم للفلسطينيين. فقد كان هناك قبل حرب ١٩٤٨ نحو ٢٥٠٠٠ عربى يعيشون في الأراضى التى ستصبح دولة إسرائيل. وفي ١٩٤٩، لم يتبق سوى ٢٠٠٠٠. وبسبب الخصوبة الشديدة وكثرة مواليدهم أصبحوا ٢٥٠٠٠ في نهاية ١٩٧٠. وكشفت رابطة حقوق الإنسان في إسرائيل، أنه في الفترة من ١١ يونيه ١٩٦٧ وحتى ١٥ نوفمبر ١٩٦٩، دُمّر ٢٠٠٠٠ منزل عربى بالديناميت في إسرائيل والضفة الغربية.

وكان التعداد البريطانى المذى أجرى في ٣١ ديسمبر ١٩٢٢ ، قد أحصى ٢٥٠٠٠ نسمة في فلسطين، منهم ٢٦٣٠٠ من العسرب (٢٠٠٠ ٥٩ من العرب المسلمين، و ٢٠٠٠ من العرب المسيحيين) و ٢٠٠٠ من العرب المسيحيين) و ٢٠٠٠ من العرب المسيحيين) و ٢٠٠٠ من العسود) . و ٢٠٠٠ من اليهود) . و والمجدير بالذكر أن هذه « الصحراء » المزعومة كانت تصدر الحبوب و الموالح . فقبل الصهاينة ، كان « البدو » يصدرون ٢٠٠٠ طن من والموالح . فقبل الصهاينة ، كان « البدو » يصدرون ٢٠٠٠ طن من من القمح سنويا، وزادت مساحة الأراضى المزروعة بالفواكه ثلاث مرات من ١٩٢١ إلى ١٩٤٢ ، وبالبرتقال وغيره من الموالح ، وتضاعفت من ١٩٢١ إلى ١٩٤٢ و ١٩٤٧ ، وتضاعف الإنتاج عشر مرات فيما بين ١٩٢٧ و ١٩٤٧ ، وتضاعف الإنتاج عشر مرات

وجاء في تقرير بيل الذي قدم إلى البرلمان البريطاني في يوليه الم ١٩٣٧، بشأن صادرات الدول من سلال البرتقال الشتوى، جاء ما يلى:

فلسطين: ١٥ مليون سلة.

الولايات المتحدة: ٧ ملايين سلة.

إسبانيا: ٥ ملايين سلة.

بلدان أخرى (قبرص، مصر، الجزائر، . . إلخ) ٣ ملايين .

[المصدر: تقرير بيل، ص ٢١٤].

وكتبت صحيفة اديعوت أحرونوت اليومية ، ذات أكبر توزيع في إسرائيل تقول:

« منذ السبعينات ، لم يحدث مثل هذا التسريع بالإنشاء والتشييد في الأراضى (المحتلة) فاريل شارون مشغول بإنشاء مستوطنات جديدة ، وتطوير المستوطنات الموجودة ، وبناء الطرق وإعداد مساحات جديدة للبناء ».

ومن الوهم الاعتقاد في أى « استقلال ذاتى» حقيقى للفلسطينيين مع الإبقاء على المستوطنات اليهودية في الأراضى المحتلة ، وحمايتها بالجيش الإسرائيلى ، وتسليح المستوطنين ، فهذا يجعل من المستحيل قيام أى سلام طالما استمر الاحتلال في الواقع .

وتبذل الجهود الرئيسية للاستيطان الاستعمارى في القدس بهدف جعل قرار ضمها بالكامل نهائيا ولا رجعة فيه، وهو ما شجبته الأمم المتحدة (بما في ذلك الولايات المتحدة!).

إن المستوطنات الاستعمارية في الأراضى المحتلة هي انتهاك فاضح للقوانين الدولية وخاصة اتفاقية جنيف الصادرة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩، والتي تنص المادة ٤٩ منها على ما يلى: « لا تستطيع القوى المحتلة القيام بأى نقل لجزء من سكانها المدنيين إلى الأراضى التي تحتلها ».

وحتى هتلر لم ينتهك القانون الدولى، فهو لم يُسكِّن أي مستوطن مدنى ألماني في الأراضي التي طرد منها الفلاحين الفرنسيين.

وحجة «الأمن» و «إرهاب» الانتفاضة، هي حجج واهية، والأرقام تتحدث عن بفسها في هذا الصدد: فقد قتل ١١١٦ فلسطينيا منذ بداية الانتفاضة (ثورة الحجارة)، في ٩ ديسمبر ١٩٨٧، وبرصاص العسكريين والشرطة والمستوطنين.

والمصادر العسكرية تتحدث عن ما يقرب من عشرين ألفا من الفلسطينيين الجرحي، أما الأونروا فتتحدث عن تسعين ألفا.

وحسب المنظمات الإنسانية ، اعتقل ١٥ ألف فلسطيني في ١٩٩٣ في ١٩٩٣ في ١٢ في السجون وفي مراكز الاعتقال التابعة للجيش الإسرائيلي . وتوفى ١٢ فلسطينيًا في السجون الإسرائيلية منذ بداية الانتفاضة وفي ظروف

غامضة. وتشير هذه المنظمات الإنسانية أيضا إلى أنه قد جرى تعذيب • ٢ ألف فلسطيني على الأقل أثناء الاستجوابات.

وهذا الكم الهائل من انتهاكات القانون الدولى مرجعه نظرة إسرائيل القانون الدولى الذى يعتبر بالنسبة لها مجرد «قصاصة ورق» لا قيمة لها، أو كما يقول «الأستاذ إسسرائيل شاحاك»: «لأن هذه المستوطنات، بطبيعتها، تندرج ضمن نسق متكامل، من النهب والتفرقة والفصل العنصرى».

[المصدر: المرجع السابق، ص-٢٦٣].

...



١ ـ اللوبي في الولايات المتحدة

« إن تأثير رئيس الوزراء الإسرائيلي على السياسة الخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط يفوق بكثير تأثيره في بلده ».

بول فندلي «يتجرؤن على الكلام» ؛ ص ٩٢

كيف أثارت هذه الأساطير العقائد التي يصعب اقتلاعها من أذهان ملايين الناس من ذوى النيات الطيبة؟

_ بإنشاء اللوبيات القوية القادرة على توجيه أفعال السياسيين وتكييف الرأى العام. وتتلاءم طرق العمل مع ظروف كل بلد.

ففى الولايات المتحدة حيث يعيش 7 ملايين من اليهود، فإن الصوت الانتخابى اليهودى » يمكن أن يكون حاسمًا، لأن غالبية الناخبين (بسبب الرقم المرتفع للممتنعين عن التصويت وانعدام المشاريع الشاملة المتباينة بين الحزبين) تتوقف على أقل القليل، ويمكن إحراز الفوز بفارق بسيط.

وبالإضافة إلى أن قابلية الرأى العام للتبخر والتي تسوقف إلى حد كبير على « مظهر » المرشح أو على مهارة أدائه في التليفزيون، ترتهن أيضا بميزانيات لجانه و إمكانيات « تسويقه » السياسي .

وأقوى لـوبى معترف به في الـولايات المتحدة هو « إيباك » (لجنة الشئون العامة الأمريكية _الإسرائيلية).

ولقد كانت قوة الصهاينة في الولايات المتحدة على أشدها بالفعل عام ١٩٤٢، بحيث قرر الاتفاق الذى أبرم فى فندق بلتيمور بنيويورك أنه ينبغي الانتقال من فكرة « وطن يهودى في فلسطين» (وهو الذى وعد به بلفور) ، إلى إنشاء دولة يهودية ذات سيادة. وهنا تكمن الازدواجية التي عرفت بها الصهيونية طوال تاريخها. فالجميع كانوا يتحدثون عن «وطن» كما لو كان الأمر يتعلق بمقير روحى أو ثقافي، ولكنهم كانوا يفكرون في الواقع في « دولة »، كهرتزل نفسه. وإلى هذا أشار الجنرال سمطس، عضو حكومة الحرب، عندما أعلن في جوهانسبرج بتاريخ ٣ نوفمبر ١٩١٥: «خلال الأجيال القادمة، سترون قيام دولة يهودية كبرى مرة أخرى هناك (أى في فلسطين) ».

وكتب لورد كيرزون في ٢٦ يناير ١٩١٩ يقول: «بينما ويزمان يقول شيئا، وأنت تفكر أن هذا الشيء هو « وطن قومي يهودي »، فإنه يرمي إلى شيء آخر مختلف تماما، إنه يتطلع إلى دولة يهودية، وإلى إخضاع السكان العرب لحكم اليهود، إنه يسعى إلى تحقيق ذلك من وراء الستار، وبحماية الضمان البريطاني ».

وقد شرح ويزمان بوضوح للحكومة البريطانية أن هدف الصهيونية هو إنشاء «دولة يهودية» (بها أربعة أو خمسة ملايين يهودي). وقد أعطاه لويد جورج وبلفور التأكيدات على أنه باستخدام عبارة «وطن قومى» في إعلان بلفور، فإننا نقصد بذلك دولة يهودية».

وفي ١٤ مايو ١٩٤٨، أعلن بن جوريون في تل أبيب استقالال : «الدولة اليهودية في فلسطين والتي ستسمى: إسرائيل ».

وحول الاختلاف في الرأى بين بن جوريون الذى كان يرى أنه من الواجب على كل يهودى في العالم القدوم للعيش في هذه الدولة ، وبين المنادين بأن نشاط اليهود في الولايات المتحدة يعتبر أهم وفي صالح إسرائيل نفسها ، فقد نجح هذا التيار الأخير في ذلك ، ولم يستقر في إسرائيل سوى ٥٤٠ يهودى من بين ٢٠٠٠ أمريكى أو كندى هاجروا إلى إسرائيل .

[المصدر: ملفين روفيسكي، اليهبودية الأمريكية وإسرائيل، نيبويبورك، 19٧٨، ص-٢٦٥].

وقبلت إسرائيل في الأمم المتحدة بفضل الضغوط الوقحة للوبي.

وعن قوة اللوبى الصهيونى « والصوت الانتخابى اليهودى » صرح الريئس ترومان نفسه أمام مجموعة من الديبلوماسيين في عام ١٩٤٦: « آسف أيها السادة ، ولكن على أن أستجيب لمئات الآلاف من الناس اللذين ينتظرون فوز الصهيونية ، وليس لدى آلاف العرب من بين ناخبي » .

[المصدر: وليم إيسدى، روزفلت وابن سسعود، نيسويـورك، ١٩٥٤، ص ٣١-]. ويشهد رئيس الوزراء السابق كلمنت إتلى على ذلك بقوله:

" إن سياسة الولايات المتحدة في فلسطين يشكلها الصوت الانتخابي اليهودي، والإعانات المقدمة من العديد من الشركات اليهودية الكبرى".

وقد أوقف أيزينهاور بالاتفاق مع السوفييت ، العدوان الإسرائيلي في عام ١٩٥٦ (بدعم من النزعماء الإنجلينز والفرنسيين) على قناة السويس .

ولم يبد السناتور كنيدى أى حماس حيال هذه المسألة. ولكن الرابطات اليهودية استطاعت في عام ١٩٦٠ أن تبيّس له أن موقف أيزنهاور في مسألة السويس كان سيتًا وأن ترومان كان يسير في الطريق السليم. وأخذ كنيدى بهذه النصيحة عندما اختير مرشحًا للحزب الديمقراطي، وحصل على ٠٠٠٥ دولار لحملته الانتخابية من اليهود، وعلى ١٨٠٪ من أصوات الناخبين اليهود، عين كلوتزينيك، رئيس مؤتمر الرابطات اليهودية في أمريكا، مستشارًا له ».

[المصدر: ملفين روفيسكي، المرجع السابق، ص ٢٦٥].

وفي أول مقابلة له مع بن جوريون في فندق وولدورف استوريا في نيو يورك في ربيع ١٩٦١، قال له كنيدى: « أعرف تمامًا أننى انتخبت بفضل أصوات اليهود الأمريكيين، وأنا أدين لهم بانتخابى، وقل لى ماذا على أن أفعله من أجل الشعب اليهودى ».

[المصدر: ادوارد تيفانان: اللوبي، ص٥٦].

وبعد كنيدى، ذهب ليندن جونسون أبعد من ذلك فقد كتب أحد الدبلوماسيين الإسرائيلين: « لقد فقدنا صديقا كبيرا ولكننا وجدنا أفضل منه. . إن جونسون هو أفضل صديق عرفته الدولة اليهودية في البيت الأبيض ».

[المصدر: ل. كنيان، خط إسرائيل الدفاعي، بافالو، ١٩٨١، ص ٦٦].

فقد ساند جونسون بالفعل حرب الأيام الستة في عام ١٩٦٧ ، وبكل قـوة. ومنذ ذلك التاريخ ، دافع ٩٩٪ من اليهود الأمريكان عن الصهيونية الإسرائيلية . « وأن تكون يهوديا اليوم يعنى أن تكون مرتبطا بإسرائيل » .

[المصدر: شالوموا فنيرى، قيام الصهيونية الحديثة، ١٩٨١، ص-٢١٩].

وفى نوفمبر ١٩٨٧، صدر القرار ٢٤٢ الذى يقضى بالجلاء عن الأراضى المحتلة أثناء الحرب، وقام ديجول بعد هذا العدوان بإعلان حظر الأسلحة المرسلة إلى إسرائيل.

وحذا البرلمان الأمريكي حذوه، ولكن جونسون رفعه في ديسمبر تحت ضغط « الإيباك »، وسلَّم إسرائيل طائرات الفانتوم التي طلبتها . وبناء على ذلك، لم توجه إسرائيل النقد لحرب فيتنام .

وعندما حضرت جولدا ماير إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٧٩،

شبهها نيكسون «بديبورا التوارتية » وكال لها المديح على ازدهار إسرائيل.

[المصدر: ستيفن سبيجل النزاع العربي الإسرائيل الآخر، ١٩٨٥، ص_ ١٨٥].

وسلم نیکسون لإسرائیل ٤٥ طائرة فانتوم إضافیة إلى جانب ١ ٨ مقاتلة سكاى هوك.

وتوفى عبد الناصر فى ٢٨ سبتمر ١٩٧٠، عرض السادات السلام مع إسرائيل، ورفض موشى ديّان، وزير الدفاع، على الرغم من معارضة وزير الخارجية أبا إيبان.

وفي ٦ أكتوبر ١٩٧٣، شن السادات الحرب التي سميت باسم «يوم كيبور » (حرب أكتوبر) والتي دمرت سمعة السيدة جولدا ماثير واضطرتها إلى الاستقالة في ١٠ أبريل ١٩٧٤، وكذلك موشى ديان.

ورغم ذلك، أحرز لوبى الكابيتول اليهودى في واشنجتن نصرًا كبيرًا بالتعجيل بتسليح إسرائيل: ملياران من الدولارات بحجة مكافحة اللوبى العربى المنافس.

[المصدر: نيف، محاربو القدس، ص-١٧].

وأضيفت أموال البنوك اليهودية في وول ستريت إلى المعونة الحكومية.

وحشدت الإيباك وعبأت نفسها من جديد وحصلت في ثلاثة أسابيع على توقيع ٧٦ سناتورا في يـوم ٢١ مايو ١٩٧٥ لمطالبة الـرئيس فورد بدعم لإسرائيل مثلهم.

أما مسيرة جيمي كارتر فكانت موضوعة: ففي معبد اليزابيث في نيوجرسي ، وكان مرتديًا ثوبًا فضفاضًا من القطيفة الزرقاء، أعلن:

« إننى أعبد نفس الرب مثلكم، ونحن المعمدانيين ندرس نفس التوراة مثلكم». وختم يقول: إن بقاء إسرائيل على قيد الحياة لا ينهض على السياسة، ولكنه واجب أخلاقي ».

[المصدر: التايم، ٢١ يونية ١٩٧٦].

وفي نوفمير ١٩٧٦ ، حضر ناحوم جولدمان ، رئيس المؤتمر اليهودى العالمي ، إلى واشنجتن لمقابلة الرئيس ومستشاريه ، فانس وبريجينيسكي ، وأعطى إدارة كارتر هذه النصيحة غير المتوقعة : حطموا اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة ».

[المصدر: شتيرن، نيويورك، ٢٤ إبريل ١٩٧٨].

وكان جولد مان قد كرس حياته للصهيونية ولعب دورا هامًا في اللوبي منذ أيام ترومان، وهو يقول اليوم إن ماكونته بنفسي كانت « قوة مدمرة غاشمة » وعقبة رئيسية « أمام السلام في الشرق الأوسط».

وكان بينجين في الحكم ، فقرر جولدمان نسف سياسته، وإن

استدعى ذلك تدمير مجموعة الضغط التابعة له.

وبعد مضى ست سنوات، أكد سيروس فانس هذه المقابلة وقال: لقد اقترح علينا جولدمان سحق اللوبى ، ولكن الرئيس ووزير الخارجية ردا بأنهما لا يملكان القدرة على ذلك، وأن ذلك قد يفتح الباب على مصراعيه أمام معاداة السامية ».

[المصدر: اللوبي، ١٩٨٧، ص-١٢٣].

وقد رحب رجال الأعمال الأمريكيون باتفاقات كامب ديفيد (سبتمر ١٩٧٨) (حيث عقد السادات سلامًا منفردا مع إسرائيل، لا يمس الضفة الغربية (يهودا وسامرا، الأراضي التوراتية حسب قول بيجين) ولم يتناول سوى سيناء، وهي بالنسبة لبيجين، ليست بأرض توراتية.

[المصدر: ستيفان إسحاق، اليهبود والسياسة الأسريكية، ١٩٧٤، ص_

وكان كارتر في عام ١٩٦٨، قد حصل على ٢٨٪ من أصوات اليهود، وفي عام ١٩٨٠ لم يحصل إلا على ٤٥٪ فقط، لأنه باع طائرات ف ١٥ لمصر وطائرات أواكس للمملكة العربية السعودية، رغم تأكيداته أن هذه الطائرات لن تستخدم أبدا ضد إسرائيل. ورغم ذلك فقد هزمه ريجان في ١٩٨٠ الذي أفرد وعلى العكس منه ٢٠٠ مليون دولار من الائتمانات العسكرية لإسرائيل. وقد شجع ذلك بيجين على تدمير المحطة العراقية النووية، التي بناها الفرنسيون

متذرعا في ذلك بالأسطورة المقدسة: « لن يكون هناك هولوكوست آخر أبدا ». وفي ١٧ يولية ١٩٨١ ، قصف بيجين غرب بيروت لتدمير قواعد منظمة التحرير الفلسطينية كما ادعى .

وفي ١٤ ديسمبر ١٩٨١، ضم بيجين الجولان. واحتج ريجان على هذا الخرق الجديد للقرار ٢٤٢، فثار بيجين وقال: هل نحن جمهورية من جمهوريات الموز، أو دولة تابعة لدولتكم؟ ».

وفي السنة التالية ، اجتاح بيجين لبنان. وأعطى الجنرال هيج وزير الدفاع الأمريكي، الضوء الأخضر لهذا الغزو الذي يهدف إلى فرض حكومة مسيحية في لبنان.

[المصدر: زيف شيف، حرب إسرائيل في لبنان، ١٩٨٤].

وقلة هم الأمريكان الفين انتقدوا هذا الغزو، مثلما كانت قلة من اليهود هي التي انتقدت حرب فيتنام. ولكن مذابح صبرا وشاتيلا، تحت سمع وبصر شارون وإيتان، والصور التي عرضها التليفزيون، أجبرت اللوبي اليهودي على الكلام والخروج عن الصمت. وانتقد نائب رئيس المؤتمر اليهودي العالمي هرتزبرج، وعدد كبير من الحاخامات، بيجين في أكتوبر ١٩٨٧. واتهم بيجين الحاخام شندلر، الذي أذاع هذا النقد في التليفزيون بأنه « أمريكي أكثر منه يهوديًا » واتهمه بعضهم بأنه عميل.

وبهذه المناسبة ساند المسيحيون الصهاينة في الاعتداء الإسرائيلي، وتسلم رئيسهم جيرى فالول، أعلى الأوسمة الصهيونية وهي جائزة جابوتينسكي على ما أداه من خدمات لإسرائيل، بالإضافة إلى ١٠٠ مليون دولار من الدولة الإسرائيلة و :١٤ مليون دولار من مؤسسة سواجيرت.

[المصدر: التايم، ١٧ فبراير ١٩٨٦].

وبهذا أصبحت القوة المالية، وبالتالي السياسية في عالم يباع فيه كل شيء ويشتري، هي القوة الحاسمة والفاصلة.

ومنـذعام ١٩٤٨، قدمت الولايـات المتحدة لإسـرائيل ٢٨ مليار دولار كمساعدة اقتصادية وعسكرية .

[المصدر: مجلة التايم، يونيه ١٩٩٤].

000

وبعد أن اطمأن الزعماء الإسرائيليون على تدفق الأموال من الخارج والمتمثلة في:

١ ـ التعويضات الألمانية والنمساوية .

٢ _ السخاء غير المشروط للولايات المتحدة .

٣ ـ تحويلات أبناء « الشتات».

بدأوا في وضع تصور لسياستهم الخارجية قائمة على تطلعات طموحة لإنشاء «إسرائيل الكبرى»

والشاهد على ذلك، المقال الذي نشرته مجلة «كيفونيم» (التوجهات) التي تصدرها في القدس المنظمة الصهيونية العالمية، وعنوانه: الخطط الاستراتيجية لإسرائيل في الثمانينات».

« إن مصر بوصفها جسدًا مركزيًا، فإن هذا الجسد قد مات لاسيما لو أخذنا في الاعتبار المجابهة التي تزداد بين المسلمين والمسيحيين . كما أن تقسيمها إلى مقاطعات جغرافية منفصلة يجب أن يكون هدفنا السياسي في التسعينات، على الجبهة الغربية .

فإذا ما تفككت مصر وحرمت من السلطة المركزية، فإن بلدانا أخرى مثل ليبيا والسودان وغيرهما من البلدان الأبعد، ستعرف نفس التفكك. ويعتبر تشكيل دولة قبطية في صعيد مصر، هو مفتاح الحل لتطور تاريخي تأخر اليوم بسبب اتفاق السلام، ولكن لابد منه على المدى الطويل.

ورغم المظاهر، فإن الجبهة الغربية تمثل مشاكل أقبل من مشاكل الشرق . ويجسد تقسيم لبنان إلى خمس محافظات . . . ما سيحدث في العالم العربي بأسره . وتفكك سوريا والعراق إلى مناطق محددة على أساس المعايير العرقية أو الدينية ينبغي أن يكون على المدى

الطويل هدفا ذا أولوية لإسرائيل، على أن تكون الخطوة الأولى هي تحطيم القوة العسكرية لهاتين الدولتين.

فالهياكل العرقية في سوريا تعرضها للتفكك الذى قد يؤدى إلى إنشاء دولة شيعية على طول الساحل، ودولة سنية في منطقة حلب، وأخرى في دمشق، وكيان درزى قد يرغب فى تشكيل دولته الخاصة به وربما فوق هضبة الجولان وعلى أى حال مع حوران وشمال الأردن . . . ومثل هذه الدولة ستصبح على المدى الطويل، ضمانا للأمن والسلام في المنطقة . وهو هدف في متناول يدنا بالفعل .

والعراق الغنى بالبترول، والمرتع للمنازعات الداخلية هو خط التسديد الإسرئيلي. وتفكيكه سيكون بالنسبة لنا أهم من تفكيك سوريا، لأنه يشكل على المدى القصير أخطر تهديد لإسرائيل ».

[المصدر: كيفونيم، فبراير ١٩٨٢، الصفحات ٤٩ ـ ٥٩].

ورد النص الكامل باللغة العبرية وترجمته الفرنسية في كتاب: فلسطين: أرض الرسالات السماوية، باريس، ١٩٨٦، الصفحات ٣٧٧ وحتى ٣٨٧).

وعندما تصبح أهداف خطة كيفونيم بعيدة التحقيق، والمجابهة محفوفة بالمخاطر، فإن اللوبي الإسرائيلي كان ينجح دائمًا في دفع الولايات المتحدة إلى القيام بالعملية. والحرب ضد العراق هي مثل صارخ على ذلك.

فقد قامت مجموعتان من مجموعات الضغط إلى دفع الولايات المتحدة إلى شن هذا العدوان:

۱ ـ اللوبي اليهودي، لأن القضاء على صدام حسين سيزيل خطر أقوى بلد عربي . . .

٢ ـ لوبي رجال الأعمال، الذي كان يعتقد أن الحرب سوف تنعش الاقتصاد الأمريكي . .

[المصدر: آلان بيرفيت، بيرفيت، الفيجارو، ٥ نوفبر ١٩٩٠].

وكان الزعماء الصهاينة لا يخفون الدور الذي يلعبه اللوبي ويمتدحونه ويشجعون عليه في جميع أحاديثهم.

ولكن الخلط بين اليهودية كدين محترم كغيره، وبين الصهيونية السياسية التي تفترض الولاء غير المشروط لدولة إسرائيل التي حلت محل « رب إسرائيل » سيؤدى حتمًا إلى تغذية معاداة السامية ويشجع على الغطرسة الإسرائيل.

« منذ عقود ، يحاول اليهود الأمريكان جاهدين إقناع الرأى العام الامريكي أن دعمهم غير المشروط لإسرائيل لا يطعن أو ينال من ولائهم وإخلاصهم تجاه الولايات المتحدة. ولكنه من الصعب الآن أن نثق في ذلك ، فالولاء المزدوج قد اتضح ».

[المصدر: هارئيس، ١ ديسمبر ١٩٨٥].

والأمثلة على أن اللـوبي الإسرائيلي قد نجح في فرض موقف مضاد

للمصالح الأمريكية ولكنه مفيد لسياسة إسرائيل، لا حصر لها، وهناك من الأدلة ما يشير إلى الكيفية التي جعلت مطالب الإسرائيليين تتقدم على مصالح الولايات المتحدة وهاك بعض الأمثلة:

كان رئيس لجنة الشئون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي، السناتور فولبريت، قد قرر مشول القادة الصهاينة الرئيسيين أمام لجنة للكشف عن أنشطتهم السرية. وأوجز نتائج تحقيقه في مقابلة أجراها مع تليفزيون C.B.S في أكتوبر ١٩٧٣، قائلا: "إن الإسرائيليين يتحكمون في سياسة الكونجرس ومجلس الشيوخ»، وأضاف: "إن زملاءنافي مجلس الشيوخ وبنسبة ٧٠٪ منهم لا يحددون مواقفهم إلا تحت ضغط اللوبي وليس برؤيتهم الخاصة القائمة على مبادي، الحرية والقانون».

وفي الانتخابات التالية فقد فولبريت مقعده في مجلس الشيوخ.

ومنذ ذلك التاريخ ، زاد اللوبى من سيطرت على السياسة الأمريكية . وقد وصف بول فندلى اللوبى الصهيونى وقوته وهذا « الفرع الحقيقى للحكومة الإسرائيلية » يتحكم فعلاً في الكونجرس ومجلس الشيوخ ورثاسة الجمهورية ووزارة الخارجية والبنتاجون (وزارة الدفاع) ، وكذلك في وسائل الإعلام ، كما أنه يمارس نفوذه على الجامعات كما في الكنائس » .

وحدث أن ألغي مجلس النواب في ٣ أكتوبر ١٩٨٤، بأغلبية

٩٨٪، كل تحديد للمبادلات بين إسرائيل والولايات المتحدة رغم التقرير المضاد لوزارة التجارة وجميع النقابات .

وفى ٨ يونيه ١٩٦٧، قذف الطيران والبحرية الإسرائيليان الباخرة الأمريكية «ليبرتى»، وقتل في هذه العملية ٣٤ بحارًا وجرح ١٧١، واعتذرت الحكومة الإسرائيلية عن هذا الحادث وحفظت القضية. وثبت بعد ذلك أن هذا القذف لم يكن نتيجة خطأ ولكن كان متعمدًا حتى لا تكتشف خطط إسرائيل لغزو الجولان. ويفسر الأميرال توماس مورر سر التغطية على هذه الجريمة قائلا: كان الريئس جونسون يخشى رد فعل الناجين اليهود . . . » ويضيف الأميرال: «وكان الشعب الأمريكي سيجن جنونه إذا عرف بما جرى».

وفي أعقاب اقتراح السناتور بوب دول بنقل سفارة الولايات المتحدة الى القدس ، وطلب جامعة الدول العربية عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن، وتصويت ١٤ دولة من ١٥ على قرار يطالب رابين بالعدول عن قرار مصادرة الأراضي في القدس الشرقية ، استخدمت الولايات المتحدة للمرة الثلاثين حق الفيتو لمساندة إسرائيل . . . وقد أقلق هذا التصرف اللوبي الذي رأى في ذلك عزلاً للولايات المتحدة سيقلل التصرف اللوبي الذي رأى في ذلك عزلاً للولايات المتحدة سيقلل من «مصداقيتها كوسيط وحيد في النزاع العربي مالإسرائيلي وفي قيادة المفاوضات مع الفلسطينيين . (جريدة النيويورك تايمز ١٥ / ٥ / ١٩٩٥).

دعى لحضوره على ضخامة المعونة العسكرية التي تقدمها الولايات المتحدة لإسرائيل:

« لقد أوفت الولايات المتحدة بوعدها: فالقوة العسكرية لإسرائيل الآن هي الأقوى عنها في أي وقت مضى. . وإن تعاوننا في مجال الاستراتيجية والمخابرات أصبح تعاونًا وثيقًا تمامًا. وأجرينا هذا العام مناورات مشتركة على نطاق واسع ونتوخى التوسع في منشآتنا لتخزين المعدات الحربية في إسرائيل. وقد أبرم البنتاجون عقودًا بأكثر من ٣ ملايين من الدولارات لشراء معدات عالية التكنولوجيا من شركات إسرائيلية . . »

[المصدر: ميدل إيست انترناشيونال، ٢٦/ ٥/ ١٩٩٥].

وكل الوسائل بالنسبة للوبى الصهيونى ملائمة وجيدة، بدءًا من الضغط المالى وحتى الابتزاز الأخلاقي مرورا بمقاطعة وسائل الإعلام والناشرين، والتهديد بالقتل.

وفي ذلك يقول فندلى: "إن أى إنسان ينتقد سياسة إسرائيل، عليه أن يتوقع عمليات انتقام موجعة لا تنتهى ، وحتى فقدان سبل معيشته بواسطة ضغوط اللوبي الإسرائيلى. والرئيس نفسه يخاف منه. والكونجرس يخضع لكل مطالبه، وتحرص أعرق الجامعات على إبعاد كل ما يتعارض معه في برامجها، وتستسلم وسائل الإعلام كما يخضع القادة العسكريون لضغوطه ».

٢ ـ اللوبي في فرنسا:

« يوجد في فرنسا لوبى قوي مناصر لإسرائيل، يمارس نفوذه وتأثيره في الدوائر الإعلامية خاصة .

وقد أثارت هذه المقولة الجنرال ديجول في ذلك الوقت وأثارت صخبًا شديدًا، مع أنها تحمل جزءا كبيرا من الحقيقة

[المصدر: فيليب الكسندر، لمباريزيان لبيريه، ٢٩ / ٢ / ١٩٨٨].

ومنذ ذلك الحين ، لم يتخلف أى مرشح لرئاسة الجمهورية الفرنسية ، مهما كان انتماؤه الحزبى ، من ميشيل روكار إلى جاك شيراك ، مرورًا بميتران ، عن الذهاب إلى إسرائيل ليحصل على المباركة و التغطية الإعلامية .

ولقد وصلت القوة الإعلامية للوبى، ومركزه اليوم الرابطة الدولية لمناهضة العنصرية ومعاداة السامية «ليكرا»، إلى الحد الذى تستطيع به أن تتلاعب بالرأى العام على هواها وحسبما يتراءى لها ؛ ومع أن السكان اليهود في فرنسا لا يشكلون سوى نحو ٢٪ من الشعب الفرنسى، فإن الصهيونية تهيمن على غالبية متخذى القرار السياسيين في أجهزة الإعلام والتليفزيون والإذاعة، والصحافة المكتوبة، سواء كانت الصحف اليومية أو الأسبوعية، والسينما وخاصة مع غزو هوليوود لها وحتى دور النشر (وذلك عن طريق لجان القراءة حيث يتسنى لهم

فرض الفيتو)، فقد أصبح كل ذلك في أيديهم، وكذلك قطاع الإعلانات، الوصى المالى على وسائط الإعلام.

ويمكننى أن أطرح في هذا الصدد شهادتى الخاصة: فحتى الممانت أبواب دور النشر الكبرى مفتوحة على مصراعيها أمامى، وكذلك التليفزيون والإذاعة والصحافة الكبرى.

وعندما وقع الاعتداء على لبنان ومذابحه، استطعت أن أحصل من مدير التحرير السيد جاك فوفيه على موافقته أن أنشر في جريدة لموند الصادرة في ١٧ يونيه ١٩٨٢، صفحة كاملة مدفوعة الأجر حيث كشفنا أنا والأب ميشيل لولون، والقس ماتيو، عن مغزى العدوان الإسرائيلي وأبرزنا المذابح التي وقعت في لبنان، وأوضحنا أن الأمر لا يتعلق بأى خطأ، بل بالمنطق الداخلي للصهيونية السياسية التي تقوم عليها دولة إسرائيل.

وتلقيت سواء بخطابات مغفلة من الإمضاءات أو بالتليفون، تسعة تهديدات بالقتل.

ورفعت علينا « ليكرا » قضية بتهمة « العداء للسامية والتحريض على التمييز العنصري ».

وقام دفاعنا على ما جاء في النص نفسه الذي نشرناه من أن حياتنا مدينة للأنبياء اليهود، ولكن الصهيونية السياسية استبدلت رب إسرائيل بدولة إسرائيل. وأن موقفها وتصرفاتها في لبنان وفلسطين تشين اليهودية في عيون العالم. وأن معركتنا ضد الصهيونية السياسية لا تتفاضل عن معركتنا ضد معاداة السامية.

وقام دفاعى أمام المحكمة على ما جاء في دراستى حول «فلسطين، أرض الرسالات الإلهية »: إن الصهيونية السياسية التى أسسها تيودور هرتزل (والتى أدانها كل حاخامات العالم في ذلك الحين بوصفها نوعا من الخيانة للديانة اليهودية)، تنبع من القومية الأوروبية والاستعمار في القرن التاسع عشر، ليس من الديانة اليهودية.

وعندما سمعت محامى « ليكرا » وهو يحاول أن يرسم ضدى صورة المعادى للسامية ، عادت بى الذاكرة إلى القدس وأنا أمام حائط المبكى مصحوبا بالوزير الإسرائيلى برزياى وفي بيت ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمي في ذلك الوقت .

كما عادت بى الناكرة إلى أيام كنت فى معسكر الاعتقال مع صديقى برنار لاكاش، مؤسس «ليكا» (التى أصبحت «ليكرا») والندى ساعدنى في إعداد محاضراتى لأصدقائنا حول «أنبياء إسرائيل».

لقد فرضت الهيمنة شبه الكاملة على أجهزة الإعلام في أمريكا وفرنسا من ظروف الصهيونية الإسرائيلية ، على العالم أجمع هذا الخلط

والقلب للمعانى، فالدفاع عن الوطن أصبح إرهابا، أما إذا غزت إسرائيل لبنان فالعملية تسمى « السلام في الخليل »!.

وقد سبق للجنرال ديجول في عام ١٩٦٩ أن ندد « بالنفوذ المفرط » للوبى الصهيونى في جميع أجهزة الإعلام: من الصحافة إلى التليفزيون، ومن السينما إلى صناعة النشر. وقد نجح اليوم هذا النفوذ المفرط في إجراء عكس تام للمعانى، وأطلق عبارة « إرهاب » على المقاومة الشعبية للضعفاء، « والمعركة ضد الإرهاب » بالعنف الأشد قتلا للأقوياء.

وقد ارتكبنا ، الأب لولون والقس مايتو وأنا خطأ كبيرا بفضح أكذوبة هذا الخلط للمعانى، ولكن المحكمة برأتنا في ٢٤ مارس ١٩٨٣، ورفضت القضية وحكمت على "ليكرا" بالمصاريف، على أساس أن الأمر يتعلق بنقد مشروع لسياسة دولة ما والأيديولوجية التي تستلهمها، ولا يتعلق بالتحريض العنصرى. . ولكن "ليكرا" تمادت في غيها واستأنفت الحكم، ولكن المحكمة العليا في باريس أيدت الحكم السابق وألزمت "ليكرا" بالمصاريف. وهو ما حدث أيضا في محكمة النقض التي رفضت الطعن وحكمت بالمصاريف.

واستمرت عملية الخنق خارج المحاكم. فاللوبي الصهيوني يمتلك الوسائل. وبدأت التحركات لكتم أنفاسي في وسائل الإعلام. فلم تقبل

مقالاتي وأغلقت جميع أبواب النشر في وجهى، وحُرم عليَّ الظهور في التليفزيون! لقد حُكم عليَّ الظهور في التليفزيون! لقد حُكم عليِّ بالإعدام الأدبى!

ومما زاد الطين بلة، صدور قانون فابيوس (رقم ٤٣) المسمى «قانون جيسو» على اسم النائب الشيوعى الذى تبنى هذا القانون الخسيس في مايو ١٩٩٠ والذى يجرم أى تشكيك في الجرائم المقترفة ضد الإنسانية، بإضافة المادة ٢٤ مكرر إلى قانون حرية الصحافة لعام ١٨٨١، جاء فيها: يعاقب بإحدى العقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة ٢٤، كل من ينكر. . وجود أى من الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية كما وردت في المادة ٦ من النظام الأساسى للمحكمة العسكرية الدولية الملحق باتفاق لندن الموقع في ٨ أغسطس ١٩٤٥».

وبعد مضى عام، اقترح السيد توبون تعديله ولكن دون جدوى محتجا بأن هذا النص يكرس الحقيقة التاريخية بالقانون بدلا من أن يتركها لكى يحكم عليها التاريخ.

ومنذ ذلك التاريخ حُرّم على أى مؤرخ أن يضع استنتاجات محكمة نورمبرج موضع الشبهات أو المراجعة .

وبلغت الأمور ذروتها، عندما قال حاخام فرنسا الأكبر جوزيف سيتروك في القدس أمام رئيس وزراء إسرائيل الأسبق إسحاق شامير

(وهو نفسه الذي عرض خدماته على هتلر ، وانتهكت سياسته القانون الدولى وقرارات الأمم المتحدة): إن كل يهودي فرنسي هو ممثل لإسرائيل، وتأكدوا أن كل يهودي في فرنسا يدافع عما تدافعون عنه وغم أن فكرة الولاء المزدوج، لم تدر في خاطري . . . »

[المصدر: لموند ٩ يوليه ١٩٩٠].

000

لقد لوحت الصهيونية دائما بشبح معاداة السامية للإقناع بأنها تهديد مستمر ضد إسرائيل ولضرورة الهرولة لنصرتها ومساعدتها. وثمة سوابق تاريخية ينبغى أن نستقى منها العبر والدروس، فهناك جهود دؤوبة ومنظمة تبذل لتشكيل الرأى العام وصبه في قوالب، بعد أن يصبح مشبعًا « بالمعلومات » التى توحى بنزعة عرقية تغذى معاداة السامية.

« في برلين، أصبح المسرح والصحافة . . إلخ شأنًا يهوديا: فكبريات الصحف مملوكة لليهود . فإذا ما اتهم الألمان الصحافة بأنها يهودية ، فهذا عين الحقيقة » .

والمثال الصارخ والأخير على ذلك هو حادث كربنترا الذى وقع في مايو ١٩٩٠ داخل مقابر اليهود في مدينة كربنترا، حيث نبشت فيها المقابر و انتهكت خُرمتها، وأخرجت جثة أحد الموتى ونقلت إلى مقبرة أخرى.

ولا تزال الحقيقة حول كربنترا لم تتضح بعد، وفرض الصمت على

أكثر الشهود أهمية . وكانت هذه فرصة لشن هجوم آخر على كل من تسول له نفسه التشكيك في العقائد التي تضع إسرائيل فوق كل قانون دولي .



وفيما يتعلق بالمبالغ التى دفعتها ألمانيا لدولة إسرائيل ، سأعطى الكلمة لمن كان المفاوض الرئيسسى لقيمة التعويضات ، السيد ناحوم جولدمان الذى أورد تفاصيل ذلك في «سيرته الذاتية» التى أهدانى نسخة منها في ٢ أبريل ١٩٧١ ، لكى يشكرنى على المهمات التى قمت بها ، بناء على طلبه ، وقبل ذلك بسنتين ، لدى جمال عبد الناصر ، بعد حرب الأيام الستة .

« في أوائل عام ١٩٥١ ، دخلت إسرائيل الحلبة ولأول مرة بتوجيه مذكرتين إلى الحلفاء الأربعة بخصوص المطالبات اليهودية بالتعويضات من ألمانيا الجديدة والتي بلغت مليار ونصف مليار دولار، نصفها من ألمانيا الغربية والنصف الآخر من ألمانيا الشرقية . وقام هذا المبلغ على الأساس الأتى:

«استقبلت إسرائيل خمسمائة ألف بهودى تقريبًا، وتكلفت إعادة دمج كل منهم نحو ثلاثة آلاف دولار. ونظرا لأن إسرائيل هى التى أنقذت هؤلاء الضحايا من براثن النازية، وتكبدت شخصيًّا تكاليف مالية باهظة ، فقد رأت أنها في حِلّ من فرض هذه الطلبات باسم الشعب اليهودى، رغم أن هذا لا يقوم على أى أساس قانونى، وذلك لأن الدولة اليهودية لم يكن لها وجود عند قيام النظام النازى» (ص - ٢٦٢).

« وفى ظل هذه الظروف ، توجه إلى الوزير الإسرائيلى للخارجية في صيف عام ١٩٥١ ، بوصفى رئيس الوكالة اليهودية لفلسطين ، وطلب منى الدعوة إلى عقد مؤتمر للمنظمات اليهودية الكبرى في الولايات المتحدة وبلدان الكومنولث البريطانى وفرنسا ، لدعم المطالبات الإسرائيلية وإيجاد السبل لإقرارها . (ص ٢٦٣) .

« وبقدر كبير من الشجاعة والمروءة ، وافق المستشار الاتحادى كأساس للمناقشة مبلغ مليار دولار. وبعد مناقشات طويلة ، انتهى هذا الجزء من المساحثات بموافقة الوفد الألماني الذي تعهد بأن يوصى حكومته بالمطالبة الإ رائيلية البالغة ثلاثة مليارات مارك (أي بنسبة تقل ٥ ٢٪ عما طلبناه) ، (س ٢٧٢).

« وعدت مرة ثانية إلى بون في ٣ يبوليه وقدمت التنازل التالى: ١٠٪ من الخمسمائة ملايين ستخصص للضحايا من غير اليهود وستوزع بمعرفة الحكومة الألمانية نفسها » (ص-٢٨٢).

« . . . وكانت المعاهدات ستوقع في ١٠ سبتمبر ١٩٥٢ في لوكسمبرج ، وسيمثل المستشار الألماني بلاده ، ووزير الخارجية موشى شاريت، إسرائيل، وأناعن مؤتمر المطالبات ».

" . . . وكانت الدفعات الألمانية عاملا حاسما في الانطلاقة الاقتصادية لإسرائيل خلال تلك الأعوام . وكنت لا أدرى ماذا سيكون مصير إسرائيل في الأوقات الحرجة لاقتصادها ، لو أن حكومة ألمانيا لم تحترم تعهداتها .

فالسكك الحديدية، والتليفونات ومنشآت الموانى، ونظم الرى، وفروع بأكملها من الصناعة والزراعة، ما كانت ستصبح على ما هى عليه الآن بدون التعويضات الألمانية. وأخيرا، تلقى مئات الآلاف من الضحايا اليهود مبالغ محترمة في هذه السنوات الأخيرة بم وجب قانون التعويضات. (ص-٢٨٦).

« وفي صبيحة يوم وصولى إلى تل أبيب، قمت بزيارة رئيس الوزراء الإسرائيلى بن جوريون، الذى استقبلنى وقد ارتسمت على وجهه علامات الجدية: « لقد كان لى ولك حظ في أن نحيى معجزتين: إنشاء دولة إسرائيل، والتوقيع على الاتفاق مع ألمانيا، وكنت أنا المسئول عن المعجزة الأولى، وأنت عن المعجزة الثانية ». (ص-

[المصدر: ناحوم جولدمان، السيرة الذاتية، باريس، ١٩٦٩].

وفي كتاب آخر من كتبه، التناقض اليهودى ، لا يحكى ناحوم جولدمان مفاوضاته مع ألمانيا فحسب، بل والكيفية التى ابتز بها تعويضات من النمسا ومن مستشارها راب، فقد قال للمستشار: يجب أن تدفعوا تعويضات لليهود » ويرد عليه المستشار: ولكننا كنا أنفسنا ضحايا الألمان! » واستطرد جولدمان قائلاً: « في هذه الحالة سأستأجر كبرى دور العرض السينمائى في فينا، وسأعرض فيها كل يوم الفيلم الذى يصور دخول القوات الألمانية وهتلر فينا في مارس ١٩٣٨ ».

وعندئذ قال راب: «موافق ستأخذون أموالكم!» وكانت هذه الأموال في حدود ٣٠ مليون دولار. وفي وقت لاحق عاد جولدمان وقال: «يجب دفع ٣٠ مليون أخرى!» فقال راب: لقد اتفقنا على ٣٠ مليون فقط ». فرد عليه جولدمان: الآن يجب أن تقدموا أكثر!» وحصل عليها. ثم عاد مرة ثالثة وحصل على نفس المبلغ.

وكان هناك مصدران آخران لتمويل ما يطلق عليه البعض « المعجزة الإسرائيلية » على المستوى الاقتصادى وعلى صعيد التسليح أيضا (بما في ذلك التسلح النووى) ، مما ساعد على استحداث أسطورة داود الصغير الذى نجح في أن يقضى على عدوه العملاق جالوت بنبلة صغيرة وهى كناية عن دولة إسرائيل الصغيرة التى انتصرت على جيرانها العرب مجتمعين . فبالإضافة إلى « التعويضات » ، تتمتع إسرائيل بإمدادات لا حدّ لها تقريبا من الأسلحة والأموال التى تأتى أساسا من الولايات المتحدة حيث لعب اللوبى دورا فعالا في ذلك ، وكذلك المنح والهبات المقدمة من أبناء « الشتات » .

وقد كشف بنهاس سابير، وزير المالية في ذلك الوقت، أثناء مؤتمر المليارديرات اليهود (كذا) الذي عقد في القدس عام ١٩٦٧، أن دولة إسرائيل قد تلقت في الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٦٦، ٧ مليارات دولار.

[المصدر: * الايكونوميست الإسرائيلي "، بسبتمر ١٩٦٧].

وكانت المنظمات اليهودية الأمريكية ترسل كل سنة وفي المتوسط،

مليار دولار إلى إسرائيل. (وكانت هذه المساهمات تعتبر «مساهمات خيرية » وتخصم من ضرائب المانح، أى أنها تقع على عاتق دافعى الضرائب الأمريكيين!) ومع ذلك فمعظم المساهمات كانت تأتى من الدولة الأمريكية مباشرة ، والتى ارتفعت «معونتها» إلى أكثر من ثلاثة مليارات دولار سنويا)، نصفها تقريبًا يتحول إلى منح وهبات لا ثرد.

وتتكون همذه المعونة السنوية من شحنات للأسلحة كانت تمول الطريقة خاصة بموجب قانون مراقبة تصدير الأسلحة لعام ١٩٧٦ ، تفاديا لانتقادات الجمهور.

و یکفی أن نذکر هنا أن معونة «مشروع مارشال» المقدمة إلى اوروبا الغربیة فی الفترة من ۱۹۵۸ إلى ۱۹۵۶، قد وصلت إلى ۱۳ ملیار دولار، أی أن دولة إسرائیل بأقل من ملیونین من السکان قد حصلت علی أکثر من نصف ما تلقاه، مائتی ملیون أوروبی.

والعنصر الآخر للمقارنة هو متوسط المعونة السنوية التي حصلت عليها البلدان النامية أثناء الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٥٩، والذي لم يتجاوز ٢٤,٣ مليار دولار، في الوقت الذي حصلت فيه إسرائيل بسكانها البالغ عددهم في ذلك الوقت ٧,١ نسمة، على ٤٠٠ مليون.

وعلى سبيل المقارنة أيضا، فإن المليارات السبعة التي حصلت

عليها إسرائيل في ثمانية عشر عاما، كمنح ، تمثل ما يزيد على مجموع الدخل القومى السنوى للعمل في كل البلاد العربية المجاورة (مصر وسوريا ولبنان والأردن) ، الذي بلغ في ١٩٦٥، ستة مليارات.

وإذا أخذنا في الاعتبار المساهمة الأمريكية وحدها، يلاحظ أن الولايات المتحدة قد منحت من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧، مساعدات بلغت في متوسطها ٤٣٥ دولارا لكل إسرائيلي، و ٣٦ دولارا لكل عربي!.

[المصدر: جورج قرم، «مالية إسرائيل»، ١٩٦٨].

وهناك مصدر مالى آخر مكون من سندات دولة إسرائيل وهى صكوك بالدولارات وتباع في الخارج، ولكن سداد أصولها وفوائدها يتم بالعملة الإسرائيلية.

وهذه السندات التي بيعت منها نسبة ٩٩,٨ في ١٩٥١، داخل أمريكا ثم ٨٨٪ في ١٩٧٨) وضعت تحت تصرف الاقتصاد الإسرائيلي ما يزيد على ٥ منليارات من الدولارات.

[المصدر: « سندات دولة إسرائيل » ، ۱۹۷۲ ، ص ـ ۱۹۸۰ ؛ ۱۹۸۰ ، ص ـ ۱۹۸۰].

وبين المنح والسندات تلقت دولة إسرائيل من عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٤٨ عام ١٩٨٨ ع

ومما يدل على تواطؤ الحكم مع عالم المال، حدث في فرنسا وحدها عام ١٩٨٢، ما يلى: « تولى جى دى روتشيل درئاسة الصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد؟ وعين دافيد دي روتشيلد أمينا لصندوقه، والعضو الفرنسي في مجلس إدارة الوكالة اليهودية.

وكان آلان دى روتشيل رئيسا للمجلس التمثيلي للموسسات اليهودية في فرنسا والمجمع الإسرائيل المركزي.

وعين إيلى دى روتشيل درئيسا للجنة التنفيدية.

وكان إدموند دى روتشيلد رئيسًا للمنظمة الأوروبية لسندات إسرائيل.

وأخيرا كانت أليكس دى روتشيلد رئيسة عالمية لـ «عالية الشباب». ولكن كان الارتهان بالحكومة الأمريكية أكبر بكثير وخاصة منذ السبعينات.

فقد كانت معونة الحكومة الأمريكية منذ ١٩٤٨، المقدمة إلى إسرائيل قد بلغت ١٨ مليار دولار، ولكن التعجيل بزيادتها قد يصيب المرء بالدوار: وهي بوجه عام أقل من ١٠٠ مليون دولار حتى عام ١٩٧٥، ولى يناير ١٩٨٥، طالبت دولة إسرائيل مرة أخرى بمبلغ ١٢ مليار دولار لمدة ٨ سنوات.

أما بالنسبة للدين الخارجي ، فقد قفز من ٦ مليارات في ١٩٧٣ إلى ١٠ مليارات في ١٩٧٣ إلى ١٠ مليارات في ١٩٨١ ، أي إلى ١٠ مليارات في أول يناير ١٩٨١ ، أي إلى رقم قياسي قدره ٤٣٥٠ دولارا لكل نسمة ! .

وزادت المعونة بفضل العقود من الباطن ، وخاصة في مجال الطيران. كما تتضمن المعونة الاقتصادية لتسهيلات ممنوحة للصادرات الإسرائيلية إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، التى تتمتع بتعريفات تفضيلية ، وبذلك دخلت نسبة ٩٦٪ من هذه الصادرات (بمبلغ مليار دولار) كلى الولايات المتحدة خالصة من جميع الضرائب .

وباختصار ، يكفى رقم واحد للدلالة على طابع دولة إسرائيل الصهيونية: فإن مجموع « المعونة » الرسمية الأمريكية التي تتلقاها إسرائيل وحدها ، يعادل ما يزيد على ١٠٠٠ دولار. للفرد، أي كبقشيش يضاف إلى دخله القومى، وهو يزيد ثلاث مرات على إجمالي الدخل القومى للفرد في مصر، وفي معظم البلدان الأفريقية.

وفي هـذا الصدد يفصح الأستاذ يشاياهو ليبوفيتش، عن رأيه في الصهيونية اليهودية قائلا: « إن نظامنا عفن وفاسد من أساسه » وذلك لسبين اثنين هما:

١ ــ المصيبة كلها نشأت عن أن كل شيء قد ارتكنز حول الوطن والدولة. فإذا كان الوطن والدولة هما الغاية في حد ذاتها، فاليهودية مرفوضة لأن دولة إسرائيل أهم.

« إن القومية هي تدمير لجوهر الإنسان » ودولة إسرائيل ليست بدولة تملك جيشا، ولكنها جيش يملك دولة ».

٢ _ ارتهان هذه الدولة بالولايات المتحدة.

« والأمريكان لا يهمهم سوى فكرة الاحتفاظ هنا بجيش من المرتزقة الأمريكيين في زى التساحل (الجيش الإسرائيلي). وإن قوة اللكمة اليهودية تأتى من القفاز الفولاذي الأمريكي الذي يلفها، والدولارات التي تبطنها ».

999

خاتمة

أ. الاستخدام الأمثل للأساطير كخطوة نحو رقى الإنسان

استحدثت جميع الشعوب قبل اكتشاف الكتابة، تقاليد شفهية ارتكزت أحيانا على أحداث حقيقية، ولكنها تقاليد يغلب عليها الطابع الشائع الذي يسعى إلى تبرير - وهو عادة ما كان تبريرا شاعريا - أصولها وتنظيمها الاجتماعي، وممارساتها الثقافية، ومصادر سلطات رؤسائها وتطلعات مجتمعها المحلى.

وهذه الأساطير الكبرى قد رسمت خطوط ملحمة الإنسان، وعبّرت بفضل سردها لبطولات الآلهة أو الأجداد الأقدمين، عن اللحظات العظيمة في مسيرة هذا الإنسان ووعيه بقدراته وواجباته ورسالته في التفوق على أوضاعه من خلال صور ملموسة تولدت عن تجربته وعن آماله ؛ فهو دائما ما يصبو إلى شأن أسمى لمستقبله يتحقق فيه كل أحلامه في السعادة والخلاص.

واكتفاءً منا ببعض الأمثلة المأخوذة من مختلف قارات العالم، فإن « رامايانة » الهند هي أروع صورة للرجل والمرأة، شكلتها محن وانتصارات بطلها « راما » وزوجته « سيتا»، وإحساسهما بمشاعر العزة والوفاء بمقتضيات حياة لا تشوبها شائبة، بل واقترب اسم البطل «راما »

من اسم الإله «رام». وقوة هذه الأسطورة التى تفوق مجرد السرد، وصلت إلى حد جعلها مصدرا استوحته الشعوب في حياتها لقرون عديدة، وذلك بتعظيمها لصورة الإنسان وآفاق حياته. وقد وضع «فالميكى» بعد ذلك النص الذى يجمع كتابة أجمل التقاليد الشفهية وأم أعاد الشاعر «تولسيداس» في القرن الخامس عشر، كتابة الرامايانة، وفقا لرؤية صوفية أعمق، وفي قصيدة لم تستكمل عن الارتقاء الإنساني. وإلى هذا فإن اخر كلمة لفظ بها غاندى عند اغتياله، والتي بارك بها قاتله، هي «رام».

ويصدق نفس الشيء على المهابارا هاتا، التي بلغت ذروتها في «بهاجها فادجيتا»، حيث يطرح الأمير أرجونا، وفي غمرة معركة كوروكشيترا، السؤال الأخير بشأن معنى الحياة ومعنى صراعاته.

وفي حضارة أخرى ، أى من مفهوم آخر لعلاقات الإنسان مع الطبيعة ومع غيره من الناس ومع الرب، فإن الإلياذة، والتي تنسب كل مأثوراتها الشفهية والشعبية إلى المؤلف الذي أعطاها شكلها المكتوب، هوميروس، تعرض أرقى وأعلى صورة يمكن رسمها للرجل من خلال شخصية هكتور مثلا ، وهو يسير إلى الموت المحتوم بخطى ثابتة في سبيل نجاة شعبه وسلامته.

وينطبق هذا أيضًا على « بروميثيوس » لاشيل، الرمز الأزلى والخالد على عظمة معارك التحرير.

وهناك الملاحم الأفريقية الكبرى «كسيدارا»، وكذلك ملحمة

خروج قبائل الأزتيك، أو « جوته » الذي جعل من فوست أسطورة لكل نوايا القرن التاسع عشر الأوروبي وأطماعه، أو دستيوفيسكي الذي كتب في قصته « المغفل » رواية جديدة عن حياة المسيح محطما كل أصنام الحياة الحديثة، وهي شبيهة بتلك الحياة الأخرى للمسيح من خلال مغامرات دون كشوت، الفارس النبي، الذي اصطدم دون أن يضعف بكل المؤسسات التي شاهدت ميلاد سيطرة المال الجديدة.

وتلك بعض الأمثلة على « أسطورة العصور » التي تدعو مرة أخرى مع فيكتور هوجو إلى إيقاظ الإنسان.

وهي في مجموعها تمثل « التاريخ المقدس » الحقيقى للبشرية ، أى تاريخ عظمة الإنسان، الذي يحاول تثبيت أقدامه حتى من خلال محاولاته الفاشلة ، كيما يتفوق على عاداته وقدراته .

وهـذا التاريخ هـو التاريخ الـذي كتبه المنتصرون وسادة الإمبراطوريات وقادة الجيوش، وهو تاريخ لا يتحرج في أن يستخدم الأساطير لمصلحته عند الاقتضاء، وربطها بعجلة انتصاراته.

ب الأسطورة المتنكرة في ثياب التاريخ واستخدامها السياسي:

إن قراءة همذا الكتاب « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية » ينبغى ألا تئير لبسا أو غموضا، لا من الناحية الدينية ولا من الناحية السياسية.

فنقد التفسير الصهيوني للتوراة و « الأسفار التاريخية » (وخاصة سفر يشوع وسفر صموئيل، وسفر الملوك)، لا يمس بأي حال من الأحوال التوراة وما جاء فيها من معتقدات دينية. فتضحية سيدنا إبراهيم هي المثال الخالد على تفوق الإنسان على أخلاقياته العابرة وعلى منطقه الضعيف باسم القيم المطلقة التي تماثلها وتضارعها. كما أن الخروج » سيظل هو الرمز على التخلص من كل أنواع العبودية، وعلى نداء الرب الذي لا يقاوم نحو الحرية.

ولكن ما نرفضه فهو القراءة الصهيونية القبلية والقومية لهذه النصوص، باختزالها الفكرة الهائلة لعهد الله مع الإنسان، ومع كل الناس، ووجوده في داخلنا جميعا، لاستنتاج أشر فكرة في تاريخ الإنسانية ألا وهي فكرة « الشعب المختار » الذي اختاره رب متحيز وجزئي (ومن ثم صنم) ، وذلك للتبرير المسبق لجميع أنواع السيطرة والاستعمار والمذابح . كما لو كان تاريخ العبرانيين أو التاريخ المقدس هو التاريخ الوحيد في العالم .

ولم يدر بخلدنا أبدا وبما عرضناه في هذا الكتاب الذى وثّقت كل حلقة من حلقاته بمصادرها، فكرة تدمير دولة إسرائيل، بل أردنا وببساطة أن نبطل عنها صفة القداسة، فهى أو أى أرض أخرى ليست أبدا موعودة بدلا مغتصبة، كأرض قرنسا وألمانيا والولايات المتحدة، طبقا لعلاقات القوة التاريخية في كل قرن.

ولا يتعلق الأمر بإعادة التاريخ و إلى ما لا نهاية بطلقات المدافع، ولكن المطالبة بتطبيق قانون دولي لا يخلّد علاقات الغاب.

وفي الحالة الخاصة بالشرق الأوسط، فالمطلوب هو تطبيق قرارات التقسيم التى اتخدتها الأمم المتحدة غداة الحرب الأخيرة والقرار ٢٤٢، وهي القرارات التي تستنكر وتمنع التوغل داخل حدود البلدان المجاورة والاستيلاء على مياهها؛ والتي تنص على ضرورة الجلاء عن الأراضي المحتلة ولا شك أن الاستمرار في إقامة المستوطنات داخل المناطق المحتلة بطريقة غير شرعية، هو اجتلال يجعل من المستحيل المسالم حقيقي وتعايش سلمي ودائم للشعبين المتساويين والمستقلين، وهو السلام الذي يرمنز إلى الاحترام المتبادل، دون ادعاء بملكية القدس، أرض اللقاء بين الديانات الثلاث.

999

وكذلك فإن نقد أسطورة الهولوكوست ليست بالعملية الحسابية الجنائزية لعدد الضحابا، ولكن الاستغلال السياسي من طرف دولة لم

يكن لها وجود عندما اقترفت الجرائم، والمبالغة في الأرقام بصورة تعسفية لمحاولة إثبات أن معناناة البعض لا وجه لتشبيهها بمعاناة الآخرين وإضفاء القداسة عليها (وبالعبارة الدينية نفسها الهولوكوست)، وهي محاولة لصرف النظر عن مذابح أشد قسوة.

وكان أكبر المستفيدين من هذا هم الصهاينة ، الذين أظهروا أنفسهم بمشابة الضحايا دون سواهم ، وأنشأوا على إثر ذلك دولة إسرائيل ، ووضعوها فوق كل قانون دولي .

ولا يتعلق الأمر كذلك بالتشكيك في النوايا الطيبة لملايين الشرفاء الذين اعتقدوا في هذه الأساطير الكاذبة التي روَّجت لها كل وسائل الإعلام.

ولذا فإن هذا الكتاب يهدف إلى إتاحة العناصر للجميع لكى تتاح لهم فرصة الحُكم على شرور الأساطير الصهيونية التى تساندها دون قيد أو شرط، الولايات المتحدة، والتى تولد عنها حتى الآن (خمسة) حروب، كما أنها تشكل بما تمارسه من تأثير ونفوذ بواسطة اللوبى على إحدى القوى الكبرى وهى أمريكا، ومن ثم على الرأي العام العالمى، تهديدًا مستمرا ودائما لوحدة العالم وسلامه.

جـ المزيّفون والتاريخ الانتقادى:

لقد وضعنا نصب أعيننا عندما أعطينا لكل معلومة وردت في هذا الكتاب مصدرها والقرينة الدالة على ما نقوله ، أن نبتعد بشكل جذري عن كل أنواع التزوير التي ترمي إلى الحطّ من قدر أية ديانة أو طائفة ، أو إلى الدعوة إلى الحقد عليها أو اضطهادها. وخير مثال على هذا الترييف هو ما جاء في « بروتوكولات حكماء صهيون » وهو العمل الذي نددت به في كتابي: « فلسطين، أرض الرسالات الإلهية »، واستنكرت فيه الطرق البوليسية التي تمت بها فبركة هذه البروتوكولات ، والتي استخدمت للأسف الشديد على نطاق واسع ﴿ ولا سيما في بعض البلدان العربية، وهو ما شجبته في حينه . فهذه الرواية البوليسية الخسيسة قد أعطت الفرصة للصهاينة وللإسرائيليين لكي ينددوا ويشجبوا أي نقد لسياستهم في الشرق الأوسط. ولـذلك ورغم الإثقال على القارئ الذي يتعجل الوصول إلى الاستنتاجات دون المرور بالأدلة والبراهين مما قد يدعو إلى الضجر والسأم في بعض الأحيان، فإننا لم نقدم أي أطروحة هنا إلا وهي معززة بالمصادر.

...

والعرض التاريخي الذي قدمناه في هذا الكتاب مازال عرضا مؤقتا. وهو ككل تاريخ انتقادي وككل علم من العلوم، قابل للمراجعة والتنقيح طبقا لاكتشاف عناصر جديدة. فهناك أطنان من المحفوظات الألمانية التي تم الاستيلاء عليها ونقلت إلى الولايات المتحدة، ولم

يتم جردها بعدُ بالكامل. وهناك محفوظات أخرى في روسيا بدأت تفتح أبوابها بعد أن كانت محرمة على الباحثين.

ومن ثَمَّ فما زال هناك عمل ضخم ينبغى القيام به شريطة عدم المخلط بين الأسطورة والتاريخ، أو الادعاء بالوصول إلى النتائج قبل البحث كما حاول نوع من الإرهاب الفكرى أن يفرضه حتى الآن فقد اتضح أن عملية « إضفاء القداسة » على نصوص نورمبرج، كانت هشة جدا.

والتاريخ مثله في ذلك مثل العلوم، لا يمكن أن ينطلق من بداهات مسبقة لا يجوز المساس بها .

فقد أصدرت محكمة نورمبرج أرقاما اتضح أن معظمها أرقام خاطئة ، تمت مراجعة معظمها واستبعدتها معظم الدوائر العلمية ، وحتى وإن ظلت موضعا للدعاية الإعلامية حيال الرأى العام والطلبة . وتنقيح هذه الأرقام ومراجعتها ليس القصد منه فحصها حسابيا ، ولكن لإظهار الرغبة المتعمدة في تخليد أكذوبة أفضت بالإكراه إلى تزييف التاريخ بصورة منتظمة وتعسفية .

فالأمر لم يقتصر على إغفال موت ١٧ مليون من المواطنين السوفييت، و٩ ملاين من الألمان، بل تجاوز ذلك إلى حد إضفاء الطابع المقلد أس على هذه المعاناة الحقيقية (تحت اسم الهولوكوست)، مع إنكار إضفائه على الآخرين.

وقد تطلب الأمر لبلوغ هذا الهدف، انتهاك كل القواعد الأولية للعدالة وإحقاق الحق، فضلا عن رفض كل مناقشة علمية وعلنية، والاقتصار على الاضطهاد وتكميم الأفواه، وهو ما كان مجلبة للشك والارتياب. ولا شك أنه لا توجد إدانة فعالة ضد النازية أكثر من توضيح الحقيقة التاريخية وإقامة البراهين على صحتها.

وهذا هو ما أردنا الإسهام به عند نشرنا لهذا الملف.

999



يذكر المفكر الفرنسى روجيه جارودى (١٩١٣م) عام ١٩٦٦ فى كتابه (ماركسية القرن العشرين) أن الأساطير نوعان: أساطير مغلقة وأخرى مفتوحة، وهذه الأخيرة وحدها هى الأساطير الحقيقية. . فهل كان جارودى يتنبأ بأنه سوف يأتى يوم يتناول فيه أشد الأساطير انغلاقا وهى المتعلقة بأسطورة الصهيونية وأسطورة إنشاء دولة إسرائيل وأسطورة تعرض اليهود للاضطهاد من قبل ألمانيا النازية؟ وهل كان يتنبأ أن تجنى عليه الأسطورة الإسرائيلية المغلقة وهو يتناول هذا الموضوع تجنى عليه الأسطورة الإسرائيلية المغلقة وهو يتناول هذا الموضوع الشائك في كتابه الحالي «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»؟ .

يعرّف جارودى الأسطورة بمعناها الحقيقى بأنها دعوة لكى نتجاوز حدودنا. ويبدو أنه عندما تناول أشد الأساطير انغلاقا بالنسبة للزعم الفائل إن ألمائيا في عهد هتلر قد أبادت وأحرقت ستة ملايين يهودى قد فتح عليه نار الجحيم. فقى فرنسا وعاصمتها باريس مدينة النور يوجد قانون يعرف باسم قانون (جيسو) صادر عام ١٩٩٠ وهو يقضى بالسجن على كل من يتشكك في رقم الستة ملايين يهودى الذين يقال بان هتلر وأعوانه قد أبادهم .

لقد اتهمه اللوبى اليهودى فى فرنسا بأنه معاد للسامية وتطرفوا فى هذا الصدد حتى أنه لم يتمكن من طبع كتابه إلا على نفقته الخاصة وهو الذى كانت كبريات دور النشر الفرنسية تتسابق على نشر مؤلفاته . وجارودى فى كتابه الحالى يعد التطرف المرض الفتاك للإنسانية فى نهاية القرن العشرين .

والنقطة الشائكة في كتابه هي تشكيكه في أن هتلر أباد بالفعل ستة ملايين يهودي واللوبي الصهيوني يرفض التشكيك في هذا حتى يضمن للصهيونية أن تدعو لإنشاء دولة إسرائيل وتحل الأسطورة السياسية العرْقية محل الأسطورة الدينية. وهو يرسم مقارنة بين تضخيم اليهود لرقم إبادتهم في الحرب العالمية الثانية وبين الإبادات الفعلية لغيرهم من الأجناس ويقول إذا كان الصهاينة بتضخيم الرقم يصفون هذه الإبادة بأنها أكبر عملية إبادة جماعية فقد نسى هؤلاء أن هناك ستين مليون هندي أمريكي تعرضوا للإبادة وأكثر من مائة مليون من السود الأفارقة تعرضوا للقتل من جرًّاء تجارة الرق، كما أن هناك ١٧ مليون من السلاف قتلوا في الحرب العالمية الثانية . وأوضح جارودي هدفه من كتابه بأنه يريد فضح هذه الخدعة الأيديولوجية التي تم تخليقها للتمويه وأن اللوبي الصهيوني همو الذي صنع هذه الأسطورة المزيفة خاصة أن معسكرات الاعتقال النازية كانت تضم بجانب اليهود البولنديين والسوفييت وأن الوفيات التي حدثت فمن جراء سوء التغذية.

ويقول جارودى: إنه لا توجد وثائق يقينية بأنه تمت إبادة ستة ملايين يهودي في معسكرات الإبادة والاعتقال أيام حكم النازيين في ألمانيا.

والمؤلف يسأل الصهاينة في كتابه هل تعلّمت إسرائيل من المحارق النازية ما كان يجب أن تتعلمه؟ ويرد جارودي بقوله: "إن إسرائيل لم تتعلم إلا شهوة الانتقام وإعادة إنتاج الآلام وحرق بيوت الأطفال والشيوخ في البلاد العربية". ويتساءل المؤلف: من أين جاء رقم الستة ملايين يهودى الذين يقال إنه قد تم حرقهم؟ ويجيب بتساؤل آخر: كيف يمكن أن نؤكد أن الذين رمى بهم هتلر في الأفران هم يهود فقط؟ أو هم من جميع الشعوب؟ بل هل يوجد أحد يستطيع أن يؤكد أن الذين ألقى بهم هتلر في المحرقة كانوا أحياء أو موتى ؟

ويفضح جارودى هذه الأسطورة العنصرية التى يروج لها الصهاينة لتبرير إقامة وطن لليهود فى فلسطين على حساب ألوف. وهو يستند إلى شهادات أشخاص لا يمكن الشك فيهم. فالمخرج سبيلبرج الذى أنتج فيلم (قائمة شيندلر) عن المحارق ضد اليهود أعلنت زوجته إميلى أن زوجها لم يكن بطلا قد ساعد عددًا من اليهود للفرار من معسكرات الإبادة وقالت إن زوجها كان يتاجر باليهود مقابل وعدهم بالتهريب من ألمانيا وكان يتركهم جوعى يعانون من البرد فى المرافي. وبهذا كان زوجها تاجر شنطة يستفيد من هذه التجارة الآدمية.

بل لقد أبرز جارودى التواطؤ بين اليهود والنازية . ويستند جارودى إلى ماكتبه توم سيجيف فى كتابه (المليون السابع) عندما قال : «لم يكن إنقاذ حياة يهبود أوروبا على رأس أولويات طبقة زعماء الحركة الصهيونية فالأهمية الكبرى كانت العمل على تأسيس دولة " ويوضح جارودى كيف التقى هذا الهدف العنصرى مع الفكر العنصرى النازى الذى يقوم على أساس نقاء الدم . وكان الهدف هو النقل الجماعى لليهود إلى فلسطين لإنشاء دولة إسرائيل .

ويوضح جارودى كيف تتم عملية التزييف للوثائق فقد استندت محكمة نورمبرج التى أنشئت لمحاكمة مجرمى الحرب من النازيين على شهادة على شكل تقرير كتبته فتاة يهودية كانت من ضمن المعتقلات فى المعسكرات الألمانية وأصدرت كتابا بعنوان (يوميات آن فرانك) وتحدثت فيه عن غرف الغاز لحرق اليهود. ويقول جارودى: إن مخطوطة الكتاب قد كتبت بقلم جاف وهو قلم لم يكن معروفا قبل عام مخطوطة الكتاب قد كتبت بقلم جاف وهو قلم لم يكن معروفا قبل عام ١٩٤٥ في حين أن هذه الفتاة آن فرانك قد ماتت عام ١٩٤٥ .

ويشكك جارودى في معنى تعبير (الحل النهائي) لليهود في ألمانيا فالمؤرخون المغرضون فسروا التعبير على أن المقصود به إبادة اليهود وحرقهم فالحل النهائي قد يعنى ترحيل اليهود لا حرق اليهود. ويؤكد جارودى أنه لم يجد أبدا تعبير الحل النهائي للمسألة اليهودية في أي مستند رسمى وقعه هتلر. وأضاف موضحًا أن هذا التعبير هو اختراع جديد أضيف وألصق بالنازية لتبرير النزعة الصهيوينة الداعية لإنشاء وطن قومى لليهود في فلسطين.

هذا هو جارودى: إنه دون كيشوت جديد في القرن العشرين يحارب طواحين الهواء والأشباح والخرافات والأساطير العنصرية الضيقة الأفق لكى تتأسس دولة إسرائيل على حساب الحق العربي فهذه الأسطورة تستند إلى قول قديم: إن الله قد وعد اليهود بالأرض الموعودة ويسخر جارودى من هذه الدعوة التى تصور الله وكأنه قد منحهم عقدا موقعا بالملكية .

ومن هنا جاءت الحملة من اللوبى الصهيونى ضد جارودى لأنه تجرأ أو مديده في عش الزنابير، وقد تعرض للهجوم مع جارودى الأب بيار وهو من كبار رجالات الدين المسيحى الذى كل جريمته أنه طالب بمناقشة المؤرخين .

فماذا يفعل جارودى إزاء هذه الحملة الشعواء ضده حتى فى مدينة النور باريس؟ إنه لم يملك إلا الصمت فهو يدرك أن الصهيونية تستريح للأكذوبة التى روجتها عن المحارق النازية حتى تروج لبضاعتها بإنشاء دولة إسرائيل وهى دولة يقول عنها جارودى إنها بعد أكثر من مرور خمسة وأربعين عاما لاتزال دولة بلا دستور بلا حدود ثابتة وبلا تسمية محددة وهى تتأرجح فى تسمية نفسها ما بين دولة إسرائيل وكيان إسرائيل ودولة المعاد .

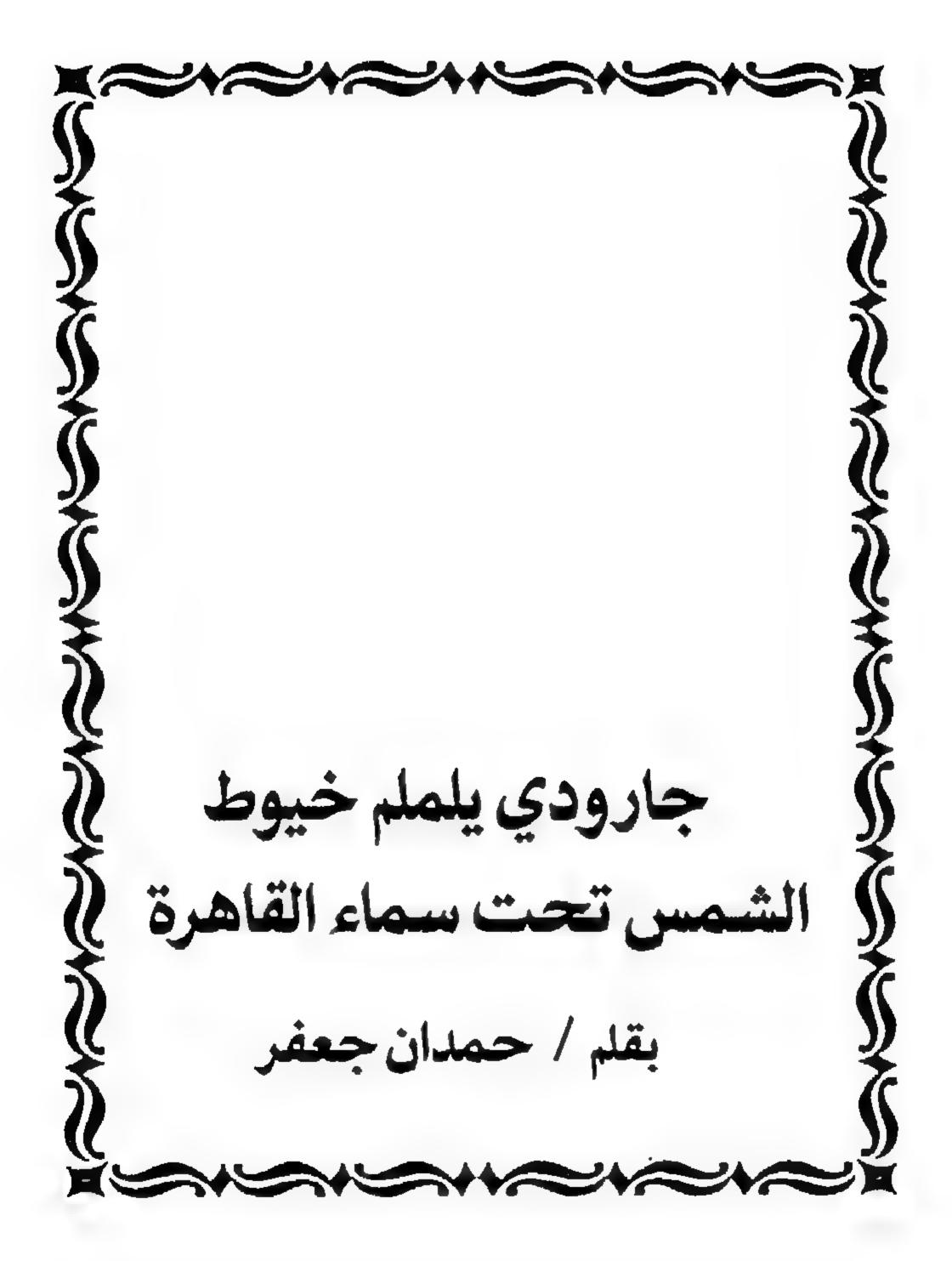
فهل الحملة على جارودي بهذه الضراوة لأنه فضح الأساطير العنصرية الإسرائيلية فقط ؟

أم ينضاف إلى هذا أنه مفكر أشهر إسلامه وجاء فضحه للوبى العنصرى دعامة للعرب؟ لقد جمع جارودى بين منظورين: المنظور الإسلامى الذى ينادى بالحق وبالحقيقة والمنظور العلمى الذى ينادى بصدق ويقينية الوثائق التاريخية حتى لا نحيا وسط أساطير هى من عمل صناع الأساطير السياسية بهدف عنصرى.

وجارودى الذى بدأ رحلته الفكرية فى صفوف الماركسيين فى سنوات ١٩٥٠ و ١٩٦٠ وكان مُنَظِّرًا كبيرا للفكر الماركسي الفرنسي قد

اهتدى إلى الإسلام وتسمى باسم رجاء جارودى ومن أشهر مؤلفاته:
(النظرية المادية للمعرفة)؛ (فكر هيجل)؛ (أزمة في الشيوعية: نقطة تحول الاشتراكية)؛ (منظورات الإنسان)؛ (ماركسية القرن العشرين)؛ (حوار الحضارات)؛ (واقعية بلا ضفاف)؛ (حفارو القبور)؛ (الأصوليات)؛ (مشروع الأمل)؛ (أسئلة موجهة إلى سارتر).

•



جاء رجاء جارودي الفيلسوف والمفكر العالمي إلى القاهرة. . ودارت المحاورات، والمناقشات فأيقظت هذه المحاورات والمناقشات الثورة الثقافية من مرقدها كانت هذه الثورة موجودة في النفوس منذ أن طرح «جمال عبد الناصر» مفجر ثورة ٢٣ يوليو مبادئها الأساسية وهي التحرر الوطني الحقيقي . . وأن إسرائيل ما هي إلا رأس حربة للاستعمار في المنطقة، وأن أمريكا ما هي إلا ثور جامح يريد أن يسيطر على مقدرات العالم كانت هذه هي الحقيقة الواضحة في ثورة «جمال عبد الناصر» لكن عندما أعلن أنور السادات أن حرب أكتوبس هي آخر الحروب وأن أمريكا تمسك بـ٩٩٪ من أوراق اللعبة وأدار السادات ظهره نهائيًّا إلى الأمة العربية وتطلعات شعوبها في استخلاص الثروة العربية لأبنائها وأصبح الصديق «بيجين» أقرب من الشقيق العربي وأصبحت أمريكا هي النجم الساطع في المنطقة.

لقد أطفأت سياسات السادات خيوط الشمس من سماء القاهرة لتنطلق بعض الأقلام المهزومة تبشر بأمريكا كأعظم قوة

في العالم . . وأن اليهود أبناء عمومتنا ، وعلينا أن لا نعاديهم وأن نفتح لهم أبوابنا . . وأرضنا وسمائنا لهم . .

لكن سياسات إسرائيل وأمريكا أوضحت بجلاء مطامعهم في ثروات العرب لا فرق في إسرائيل بين نتنياهو أو شيمون بيريز. . فالأول يعلنها صريحة مدوية ، أما الثاني فيحاول أن يغلف المطامع بالسلوفان والمكر الصهيوني وما ذكري مذبحة «قانا» ببعيدة عن الأذهان.

ولذا فإن رحلة رجاء جارودى إلى القاهرة لم تفجر ثورة ثقافية جديدة ولكن الحوارات والمناقشات أيقظت هذه الثورة من مرقدها. . أو بتعبير آخر يمكن القول بأن جارودى بمحاضراته ومناقشاته تحت سماء القاهرة قد لملم خيوط الشمس «شمس الثورة الثقافية» التي ترتكز على ثلاث منطلقات أساسية البعد المصرى مرتبطًا بالبعد القومى العربى مرتبطا بالبعد الأفريقى في منظومة مع دول العالم الثالث المقهورة والمنهوبة ثرواتها من قبل أمريكا والاستعمار العالمي.

ولا بد أن نعيد التفكير في الدوائر الثلاث «الدائرة العربية»

«والدائرة الأفريقية» و«الدائرة الإسلامية». .

لقد أحدث كتاب جارودى «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» دويًا هائلاً في العالم كليه. فقد كان أول مفكر عملاق يفند الادعاءات الصهيونية الكاذبة التي يثير بها الصهاينة العالم وبرهن على أنها خرافات ما أنزل الله بها من سلطان.

وبالرغم من امتلاك الصهاينة لأغلب وسائل الأعلام المسموعة والمرئية في أوربا وأمريكا . . إلا أن هذه الوسائل رغم ضراوتها لم تستطع أن تطفىء الشمس، أو تقهر هذا المفكر العملاق، أو تقتل فكره ، فانتشر الكتاب في شتى بقاع العالم ليوقظ النيام ولقد كانت «دار الغسد العربي» أول دار على مستوى العالم تقوم بنقله إلى العربية ولقد طبع من هذا الكتاب ثمان طبعات وهذه هي الطبعة التاسعة وهي طبعة شعبية تحتوى على كتاب «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» وحوارات جارودي بالقاهرة والتي أعطت للثقافة الثومية قوة ضخ جديدة تضع الصهيونية والنفوذ الأمريكي في مأزق كبير .

أنها حقائق تكشف الأكاذيب وتعريها أمام شباب الأمة العربية ليعيدوا استيراد المستقبل بقوة وعزم وإصرار على تحقيق ما تصبو إليه أمتنا العربية من عزة وكرامة وتقدم .

0*0*0*0



فى تقديس أن رحلة جارودى وهذه الأيام القليلة التى مكثها بيننا كانت بمثابة ثورة ثقافية مصغرة أثارت التساؤلات وأجابت على كثير من الأسئلة فى الموضوعات التى تحفل بها حياتنا السياسية والثقافية خصوصا حول حقيقة إسرائيل وأطماعها فى المنطقة ، وحول حقيقة الإسلام ورسالته المنتظرة له فى القرن الحادى والعشرين إذ أوضح جارودى أنه أكثر فهما لهذه الرسالة ومغزاها الذى أراده الله لها من كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام.

أما الإشعاع الفكرى الذى أطلقه جارودى أثناء وجوده بالقاهرة خاص بحقيقة إسرائيل والصهيونية العالمية موضحا أنها رأس حربة للاستعمار الأمريكى فى المنطقة التى يدعمها حتى أسنانها اقتصاديا وعسكريا فقد أصاب هذا الإشعاع وكسلاء إسرائيل عندنا بالذعر فانكمشوا مؤقتا، هؤلاء الوكلاء الذين لا تعنيهم هوية هذه المنطقة أو ثقافتها الوطنية التى أصبحت معرضة للضمور كلما تمكنت إسرائيل سياسيا واقتصاديا وفرضت وجودها على الجميع قسرا. فالأمر الذى يعنى هؤلاء الوكلاء هو عقد الصفقات مع إسرائيل وتحقيق بعض المنافع

المادية ولو كان ذلك على حساب مستقبل التنمية الاقتصادية الحقيقية ومستقبل الأجيال القادمة. هؤلاء كما ذكرنا قد انكمشوا أثناء وجود جارودى ولم يستطيعوا الرد على تحليلات جارودى حول حقيقة الصهيونية باعتبارها كيانا استعماريا عنصريا استيطانيا يقضى على الوجود العربي في المنطقة وهي التحليلات التي جردت إسرائيل من كافة أكاذيبه وجعلتها عارية تماما.

كان جارودى حاسما وواضحا فكريا حين أكد طبيعة الوجود الإسرائيلى باعتباره رأس حربة مغروسة فى المنطقة من أجل التغلغل الاستعمارى وأنها الآن بمثابة عميل لأمريكا بعد أن تحول ميزان القوة الاستعمارية لها، وأوضح جارودى الخطأ الفادح لكل من يتصور أن إسرائيل تبغى السلام أو الوئام كما أن مفاوضاتها الحالية لا يمكن أن تعيد للفلسطينيين حقوقهم الوطنية التي نصت عليها المواثيق والقرارات الدولية وأولها قرار التقسيم فى سنة ١٩٤٨ فإن وجود مائتى مستوطنة يقوم شارون بتدعيم البنية التحتية لها وإنشاء الطريق التي تربط بينها في قلب بتدعيم البنية التحتية لها وإنشاء الطريق التي تربط بينها في قلب

الضفة الغربية وغزة لم تدع للفلسطينيين من أرض الضفة سوى 7٪ من مساحتها والباقى لإسرائيل والذى أنشأ المستوطنات وقام بتدعيمها أصلا حزب العمل ولذلك فلا فارق بين بيريز ونتنياهو إلا فى الكلام فقط وما يريد الأول تحقيقه بخبث شديد يريد الثاني تحقيقه بصلف شديد.

لقد شرح جارودى طريق الخلاص وهو عنده مقاطعة الاقتصاد الأمريكي والبضائع الأمريكية كما فعل غائدى سابقا مع إنجلترا في معركة استقلال الهند. فهذا وحده إن أراد العرب هو أول الطريق لمقاومة استعمار أمريكا وهذا وحده هو الطريق لتجفيف الدعم والتفوق المالي والدبلوماسي والعسكرى لإسرائيل.

ويبدو أن السؤال الذى لم يطرحه جارودى صراحة هو ما إذا كان العرب يملكون إرادة الاستقلال فيقومون بتنمية اقتصادية داخل بلادهم بإحياء مشاريعهم الموجودة منذ زمن بإدراج الجامعة العربية والاستغناء عن السيد الأمريكي ويبدو أيضا أن الإجابة على هذا السؤال الذي لم يطرح هو أن الاستقلال

الحقيقى يكمن أساسا في بعث الروح العربية والهوية العربية والحدية والحد من حمى الاستهلاك وتبنى قضايا الشعوب أساسا فهذه الشروط الأنساسية هي التي تسبق كل استقلال اقتصادى وسياسي.

أما الموضوع الثانى الذى أثارته رحلة جارودى وحواره معنا فهو اعترافه بأثر الدين في مستقبل الإنسان وحياته عموما وانتصاره لفكرة الإيمان بالله فهو يؤمن بوحدة الدين منذ إبراهيم عليه السلام وحتى محمد عليه السلام وحتى محمد عليه السلام وحتى محمد المنطقة .

لقد أحدث حوار جارودى حول رسالة الدين وضرورته زلزالا شديدا في دوائر الإلحاد ليس في مصر وحدها بل في المنطقة العربية كلها، لقد كان مبهرا حقا حين حصر غاية الحياة في الإيمان بالله، وبقدر زلزال الإحاد الذي يعتنقه بعض شراذم الماركسيين فإن زلزالا آخر أصاب أهل الجمود والتعصب والذين لم يرتاحوا لتفسيرات جارودي وتحليله لأصول الدين والذي عرضه بمحاضراته وندواته وكتبه التي تملأ الأسواق الآن.

يشير جارودي في الفصل الثالث من كتابه « الإسلام » إلى

الانحسارات والازدهارات التى وسمت تاريخ الإسلام من الأمويين فيقول إن الانحسار الأخير الذى خيم على الإسلام مع سيطرة الاستعمار الغربى وتعاون النخبة المحلية المؤمنة بالتغريب وليس التحديث مع هذا الاستعمار قد كان سببه الميل للتقليد ومحاكاة الماضى الحرفية فقد كان هذا هو الأسلوب الذى عبر به الإسلام عن نفسه فى هذه الحقبة إلى أن قام بعض الرجال يقترحون نهضة دينية جديدة. وكانت مهمة هؤلاء المصلحين صعبة إذ كان عليهم أن يكافحوا فى وقت واحد أواسط القرن التاسع عشر قمع الاستعمار الروحى والمادى وتفكك الامبراطورية العثمانية اللذين ساهم كلاهما فى تصلب الإسلام.

يقول جارودى إن فكرة هولاء المصلحين تكمن في أن يقظة الإسلام ليست ممكنة إلا بقراءة جديدة للقرآن. قراءة حية كان قد منعها « العلماء » « دكاترة القانون » منذ قرون وضرب مثلا على ذلك بالمنهاج الرسمى لجامعة الزيتونة بتونس إحدى جامعات الإسلام الأكثر شهرة إذ لم يكن يتضمن من تفسيرات

القرآن سوى تفسير « البيضاوى » وتفسير « الجلالين » وهما من مفسرى القرن الحادى عشر والسادس عشر الميلادى على التوالى .

ولم تبدأ اليقظة في نظر جارودي إلا في القرن التاسع عشر على يد جمال الدين، ومحمد عبده، ورشيد رضا الذين أرادوا أن يعيدوا إلى الإسلام قوته المبدعة التي كانت له في القرون الأولى. لقد طرح هؤلاء المصلحون المشكل الأساسي الواجب حله في رأى جارودي وهو ماذا ينبغي أن تكون عليه يقظة الإسلام حتى يجيب على مشكلات زماننا دون أن يكف عن أن يكون هو ذاته؟

أليس في استطالة عملهم على نحو مبدع إنما تقترب به ساعة اليقظة التي لا يناط بها مستقبل المسلمين فحسب بل مستقبل العالم كله؟؟

يحدد جارودي المسئولية عن التخلف الذي قاد إلى التبعية في ثلاث جهات سلطة الثروة وسلطة السياسة وسلطة الدين.

ويتناول سلطة الدين قائلا إن أسياد السلطة الدينية مازالوا يشنون المعارك الفلسفية الخاصة بالقرن الثاني عشر والمشاكل التى كانت تطرح فى الإسلام الحى لا يخشى شيئا فى مواجهة العلوم أو فلسفات الآخرين شريطة معرفتها جيدا ومقارنتها بثقة ، إذ علينا ألا ننسى أبدا الأهمية الكبرى التى يوليها القرآن الكريم فى النظر لاكتشاف قوانين الطبيعة وهو ما عبر عنه « بالتفكر » والسيادة التقنية على الطبيعة وهو ما عبر عنه القرآن بلفظ «التسخير».

فالإسلام الحى . . ينبغى له أن يعتنى بالتفكير النقدى فى نمو العلوم لدى العظماء غربيين كما أن له أن يعتنى بأفكار كبار رواد الروح الذين اعترفوا بأبعادها الإلهية .





رجاء جارودي في ندوة نقابة الصحفيين في مص



727

رجاء جارودي مع الرموز الفكرية المصرية





لمشكر الكبير رجاء جارودي مع الأستاذ الكبير بن وهبة رئيس اتحاد الفنانيين



على مدى أربعة أيام في الفترة من ١٣ إلى ١٦ أكتوبس الماضي عاشت القاهرة حدثًا ثقافيًّا فريدًا حيث استقبلت الفكر الفرنسي المسلم روجيه جارودي بدعوة من اتحاد المثقفين العرب. وقد قام جارودي خلال الزيارة بنشاط مكثف غير عادي حيث ألقى محاضرتين وعقد ٧ ندوات وحضر محاضراته الأولى في فندق الماريوت نحو • ١٢٠ شخص من مختلف الأعمار والمستويات والثقافات والمهن. كما التقى بأساتذة جامعة عين شمس ومجموعة من المفكرين بفندق ماريوت، وعقد لقاءا آخرا مع المثقفين بمكتبة القاهرة الكبرى كما التقى بأعضاء اتحاد الكتاب ومؤسسة الأهرام. وتحدث جارودي خلال زيارته نحو ١٥ ساعة متصلة وأجرى عشرة أحاديث صحفية منفردة و٥ أحاديث تليفزيونية والأأحاديث إذاعية والتقى بحوالي ألفي مثقف وأستاذ وكاتب وصحفى.

وقد تطرقت لقاءات جارودى إلى قضايا متنوعة ومختلفة لم تقتصر على موضوع كتابه «الأساطير المؤسسة للسياسية الإسرائيلية» وبشكل عام يمكن القول إن اللقاءات تركزت على:

۱ ــ موقف جارودي من إسرائيل والصهيونية ومستقبل الاتفاقات العربية معها.

٢ ـ موقفه من دور الولايات المتحدة في النظام الدولي.

٣- موقفه من الحضارة العربية بشكل عام مفهوم الحداثة بشكل خاص .

٤ ـ مراحل تطويره الفكرى.

٥ ـ تصوره للإسلام ودوره في مستقبل العالم.

لقد راح جارودی فی محاضراته ولقاءاته یکشف النقاب عن القوة المتعاظمة للصهیونیة فی العالم والتی تعود إلی تأیید الولایات المتحدة المطلق لها، مؤکدا استمراره فی کشف الصهیونیة العالمیة مشیرا إلی أنه سیتفرغ خلال السنوات القادمة لإعداد دراسات جدیدة حول دور أمریکا فی تدهور العالم وانحلاله. وأشار جارودی خلال محاضراته إلی أن الولایات المتحدة و إسرائیل تشنان حملة ضاریة ضد الإسلام والعالم الإسلامی، مفسرا ذلك باتفاق مصالحهما حیث تستفید إسرائیل بدعم أمریکا لقوتها العسكریة والنوویة وتستفید أمریکا

بالسيطرة على حقول البترول. وأكد جارودى على أن يفرق بين الصهيونية واليهودية مشيرًا إلى أن اليهود المؤمنين يعتقدون أن الصهيونية نوع من الجناية للديانة الأصلية.

وعن رؤيته للحضارة العربية أشار جارودى إلى أنها جرت العالم إلى حافة الهاوية مشيرًا إلى أن هناك ٤٥ مليون نسمة يموتون سنويًّا في العالم من بينهم ١٥ مليون طفل بسبب سيطرة العالم الغربي على ثروات العالم الثالث. وأعلن جارودي عن رفضه للحدثة مشيرًا إلى أنها نظام توصلت إليه الدول للهيمة وكان نتيجة تزايد كبير للعنف البشري وتلوث الطبيعة وتلفها وتحول العلاقات بين الأفراد والأمم لغاية تتناحر فيها الطموحات لتحقيق السلطة والمتعة.

وذكر جارودى أنه يمكن إيجاد نهضة إسلامية رائعة فى الوقت الحاضر إذا كان بوسع مسلمى اليوم الحفاظ على المبادئ التى جعلت للإسلام شأنًا فى الماضى وكذا إذا نجحوا فى التفرقة بين التشريع والفقه موضحًا أن التشريع حكم الله أما الفقه فقد تشكل عبر القرون الماضية، من خلال اجتهادات العلماء وإذا

لم ينجح فى التفريق بين حكم الله وحكم البشر فإن ذلك سيؤدى إلى عزل الإسلام تاركين ملايين المسلمين فريسة لليأس. وحول تنقلاته الفكرية أشار إلى أنها تعبر عن نوع من الاستمرارية ، قائلا لقد دخلت الإسلام والكتاب المقدس تحت إبطى والماركسية تحت الإبط الآخر.

ولا يكتفى جارودى بإطاره الفكرى وإنما يسعى إلى تحويله إلى واقع عملى. . ومن هنا كان تركيزه خلال لقاءاته دعوة الشعوب الإسلامية والنامية إلى المقاطعة الكاملة للولايات المتحدة مشيرًا إلى أن تلك المقاطعة لو نجحت ستؤدى إلى الانهيار السريع لأمريكا، بل وناشد دول العالم المدينة عدم سداد ديونها لصندوق النقد الدولى، مشيرًا إلى أن الدول الفقيرة المدينة دفعت للصندوق أضعاف ديونا، وضرب مثالاً بالجزائر حيث ذكر أن مديونية الجزائر ٢٥ مليار دولار بينما تدفع منذ سنوات ٥ مليارات دولار كفوائد على ديونها التى لم تنته حتى اليوم.

وقد ألح جارودي في دعوته على مقاطعة الولايات المتحدة

خلال لقائه بالصحفيين في مؤسسة الأهرام نقابة الصحفيين فكرر دعوته إلى مقاطعة اقتصادية عربية للولايات المتحدة حتى تتوقف واشنطن عن التؤاطو السافر مع إسرائيل وأكد جارودي في لقائه بالصحفيين أن الاقتصاد الأمريكي لن يصمد أمام مقاطعة ٢٠٠ مليون عربي وسحب الأموال العربية من المشروعات والاستثمارات الأمريكية مشيرًا إلى إفلاس حوالي المشروعات والاستثمارات الأمريكي سنويا.

وفى ندوة نقابة الصحفيين أعاد جارودى التأكيد على أنه ليس من حق الغرب أن يعطى الدول العربية والإسلامية دروسًا يومية عن حقوق الإنسان، مشيرًا إلى أن هناك ٣٥٠ شخصا فى العالم يستحوذون على ثروة مليار شخص وهو ما يوجب علينا إلا نقبل تعريف اتهم الخاطئة والزائفة عن الديمقراطية. وقال إن الصهيونية هدمت من خلال سيطرتها على وسائل الإعلام التأثير على الرأى العام الغربي وممارسة نوع من الإرهاب الفكرى في هذه الوسائل لكل من ينتقد سياسات وممارسات إسرائيل وساعدها في ذلك تأييد الولايات المتحدة المطلق لها.

وفيما يلى النص الكامل الأبرز محاضرات جارودى ولقاءاته الفكرية خلال زيارته للقاهرة:

أولا محاضرة جارودي حول كتاب الأساطير بفندق ماريوت.



فى لقائه مع أساتذة وطلاب جامعة عين شمس فتح حارودى النار على الحضارة الغربية مبشرًا بانهيارها مشيرًا إلى أن الحساب الختامى لها ثقيل جدًّا فوفقا له فإن خمس سكان العالم يسيطر على ويستهلك ٨٠٪ من موارد العالم وأوضح أن أداة الكوكب الأرض فإن لا يمكن تصور ما هو أسوأ منها . وساق جارودى أرقامًا خطيرة لحالات الانتحار وعدد الجرائم والتى بلغت خمسة أمثال ما كانت عليه عام ٦٥ وأوضح أن الإسلام يضمن بقواعده حياة كريمة للناس وتطرق بالتفصيل إلى أسس الحضارة الغربية منتقدًا ما وصلت إليه قائلاً:

ويمكن تلخيص الافتراضات الأولية للحضارة الأوروبية ويمكن تلخيص الافتراضات الأولية للطبيعة وبباقى الأفراد وأذكر هنا أن هذا يعنى تعريفا لعلاقاتها بالطبيعة وبباقى الأفراد وبالله (أو مسألة النهايات الأخيرة للحياة) في ثلاثة افتراضات أولية.

١ _ الافتراض الأولى لديكارت والقائل «يتعين علنا أن نصبح
 سادة ومالكين للطبيعة».

٢ _ الافتراض الأولى لآدم سميث القائل: إذا سعى كل منا

إلى تحقيق مصلحته الشخصية فإن ذلك سيؤدى فى نهاية المطاف إلى تحقيق المصلحة العامة إذ إن هناك يدًا خفية تحقق هذا التناغم.

٣ ـ الافتراض الأولى لمارلووى الذى تضمنه كتابه «فاوست» وهو: يصبح الإنسان قديرا تمام القدرة بدلا من الله حتى يتمكن من تسيير العالم.

وبعد خمس سنوات من الهيمنة دون منازع توصلت هذه الثقافة إلى نتائج تتناقض والتي كانت قد حددتها لها هذه الافتراضات الأولية فقد انتهت إلى :_

ا ـ تلوث الطبيعة وتلفها والإمكانية التقنية لتدميرها.

ب ـ تنزايد كبير للعنف البشرى فقد بات واضحا من منافسات إنما هو منطق حرب يخلق نوعا من عدم التوازن المتزايد بين الشمال والجنوب كما يخلق تباينات متزايدة فى داخل الشعب الواحد بسبب تراكم الثروات لدى أحد قطبى المجتمع وتراكم الفقر لدى القطب آخر.

جــ إن ادعاء تسيير العالم بدلا من الله واستبعاد الإيمان

بالقيم المطلقة وجعل الفرد والأمة مركزا ومقياسا لكل شيء خلق نوعا من الغاب تتناحر فيه الطموحات لتحقيق السلطة والمتعة وتنمية الأفراد والجماعات ينتج عنها فوضى العنف في المدن واختلال التوازن الناتج عن الرعب في العالم.

يمصون دم الفقراء

وبعد مضى قرنين من تطبيق هذه المبادئ التى نادى بها ميلتون فريدمان وآل فون هايك وأتباعهم من الأمريكيين مثل ريجان ومن الإنجليز مثل تاتشر أو من الوزراء الفرنسيين اليساريين واليمينيين ظهرت عيوبها جليا إذ تؤدى إلى تراكم متزايد للثروات والسلطة فى أحد قطبى المجتمع وإلى التبعية والبطالة والاستعباد فى القطب الآخر.

وينطبق هذا الوضع على المستوى العالمى: فبعد خمسة قرون من الاستعمار الذى قضى على الزراعات الغذائية فى البلاد للزراعة محصول واحد ومنتج واحد يمثل ملحقا لاقتصاد الدول المستعمرة القديمة مما سمح بالإبقاء على التبعية حتى

بعد الاستقلال السياسي الشكلي وذلك عن طريق القناع المزدوج للمساعدة التي يقدمها المستعمرون القدماء وإدارة الديون التي يقوم بها صندوق النقد الدولي.

والنتيجة التي استتبعت ذلك هي أنه في الفترة بين عامى ١٩٦٠ و ١٩٨٩ زاد نصيب الـ ٢٠٪ الأكثر ثراء في العالم من ١٩٦٠ إلى ٨٣٪ من الدخل العالمي أما العشرون بالمائة الأكثر فقرا فقد انخفض نصيبهم إلى أقل من ٥و١ .

ولا يفتا هذا الاستقطاب أن يزداد أيضًا في الدول الأكثر ثراء ففي الولايات ففي الولايات المتحدة يسيطر ١٪ من الأكثر ثراء ففي الولايات المتحدة يسيطر ١٪ من الأكثر ثراء على ٤٠٪ من الشروة القومية.

إن الحساب الختامي لانهيار الحضارة الغربية ثقيل للغاية ويمكن تلخيصه في بضع كلمات:

هناك أقلية غنية لا تتعدى خمس سكان العالم تسيطر وتستهلك ٨٠٪ من الموارد الطبيعية في هذا العالم و «النموذج الغربي» للتنمية يكلف العلم الثالث (بسبب الفقر وسوء التغذية

والجوع والأمراض البسيطة والعلاج) حياة ٤٥ مليون شخص سنويا من بنيهم ١٥ مليون طفل دون السنوات الخمس أى ما يعادل عدد قتلى هيروشيما مرة كل يومين.

ولا يمكن تصور إدارة أسوأ من ذلك لكوكبنا من جانب الذين يدعون تلقين دروس في الديمقراطية وفي الحرية وفي حقوق الإنسان.

فجرائمهم تحجب عنهم أهلية تلقين تلك الدروس.

"ووحدانية السوق" التي سميت "الحداثة" تأخذ شكل انهيار للعلاقة الاجتماعي كما كان يتصورها سبنسر وتتلخص فيها الحرية الممنوحة للأقوى لالتهام الأضعف.

وقد أعلن من قبل الأب لاكوردير عن هذه البديهة والتي يمكن التحقق منها اليوم أكثر من أي وقت مضى وهي أن في العلاقة بين القوى والضعيف تجد الحرية مجالا واسعا لممارسة الظلم.

وتجربة السوق الحرة بين الولايات المتحدة وكندا حيث

يتعدى أجر العامل ٢٠ دولارا يوميا والمكسيك حيث يقل عن ثلاثة دولارات قد أعطت مجالا لنقل مراكز الشركات مما أدى إلى تفشى البطالة بين العمال الأمريكيين واستمارية وضع العبودية المجحف الذى يعانى منه العمال المكسيكيون وقد أطهرت هذه التجرية حقيقة هامة وهى أن القلاقل التى قام بها الشياباسي إنما هى تعبير عن رفضهم للتضليل الآثم الذى يتسم به ما يعرف باسم «التجارة الحرة».

والأمر يتعلق بمسألة متداخلة الجوانب سواء ما كان منها اقتصادي أو سياسي أو ديني .

ف الطابع الديني إنما يتجلى في الغايات الأخيرة للإنسان والتي تتمثل في معرفة ما إذا كان تنمية العلوم والتقنية تؤدى بالضرورة إلى تحطيم الإنسان أو ازدهار.

والحق أننا نرى بصورة واضحة وجلية آثار «وحدانية السوق» التي تعتبر النتيجة العليا «الحداثة» الغربية.

ثم يحتكم جارودي إلى الأرقام ليثبت حقيقة ما يقول فيقول هناك تدهور في العلاقة الاجتماعية في نظام قال عنه هوبز عند

نشأته_ إن الفردية والمنافسة يجعلان فيه إنسان وحشا لأخيه الإنسان.

ويمكن ترجمة ذلك في أرقام:

ففى فرنساتم تسجيل ١١٥٠٠ حالة انتحار عام ١٩٩١ مقابل ١٩٩٠ عام ١٩٩١ وبالنسبة مقابل ١٩٩٠ عام ١٩٩٠ وبالنسبة للسكان زاد عدد الجرائم حتى بلغ خمسة أمثال ما كان عليه أى من ٨٣٧٠٠٠ جريمة وجنحة في عام ١٩٦٥ ليصل إلى ١٩٩٠ في عام ١٩٩٠ وووويمة مخدرات في ١٩٩٠ مقابل ١٩٨٠ عام ١٩٨٥ وووويمة مخدرات في

ويتجاوز اليوم عدد المذي يعانون من البطالة في فرنسا ثلاثة ملايين فرد، وفي الوقت المذي يسيطر فيه ١٠٪ من الفرنسيين على ٥٥٪ من الثروة القومية يعيش ٥ ملايين شخص على دخل يقل عن ٢٣٠٠ فرنك شهريا بينما يبلغ دخل السيد ميشيل أينيار رئيس مجلس إدارة شركة والت ديزني ٢٠٣ ملايين دولار سنويا.

وتتكرر نفس هذه الصورة في كل البلاد التي تسود فيها «الحداثة» و «وحدانية السوق» ففي الاتحاد السوفيتي منذ إقامة

النظام الرأسمالي عن طريق الدعارة السياسية التي يمارسها يلتسين ازداد استهالاك المخدرات حتى بلغ نفس مستوى الاستهالاك في الولايات المتحدة. ففي أوزباكستان زادت مساحة الأرض المنزرعة بنبات الخشخاش بمقدار ستة أمثال أي من ١٥٠ هيكتار في ١٩٩٢ لتصل إلى ١٠٠٠ هيكتار في

وفى الولايات المتحدة التى تعتبر رائدة فى مجال التدهور بلغ رقم الأعمال فى مجال المخدرات نفس قدره فى مجال صناعة السيارات والصلب.

ويشهد الانتحار والمخدرات على الرغبة في الانطلاق من عالم في طريقه لأن يصبح غير صالح للحياة.

بيد أنه توجد علامات أخرى للتدهور غير التباين في الثروات أو الانطلاق . ولن أذكر هنا سوى نموذج واحد وهو الفساد فاقتصاد السوق يحمل في طياته الفساد كما تحمل السحب الرعد. ففي نظام يباع ويشترى فيه كل شيء حتى السلطة والضمائر يعلن الفليسوف المعروف بتحفظه الشديد "إلان كوتاه" في كتابه «الرأسمالية في كل الدول" أن الزيادة في الفساد

إنما ترتبط ارتباطا وثيقا بزيادة الأنشطة المالية والإعلامية فعندما يسمح الإعلام بمناسبة إجراء عمليات مالية مختلفة النوعية ولاسيما عمليات الاندماج والاكتساب ببناء في بضع دقائق ثروات ضخمة لا يمكن تحققها حتى من خلال العمل المضنى طوال العمر فإن إغراء البيع والشراء يصبح صعب المقاومة . ومما يهيىء تنمية اقتصاد السوق تطوير هذه الأسوق الأصلية ويختتم عالم الاقتصاد بقوله: يلعب الفساد دورا قريب الشبه من التخطيط.

إن الدور الأساسى للبنوك إنما يتلخص فى جمع المدخرات واستثمارها فى مجال الإنتاج إلا إنه قد تغير بصورة ملحوظة حتى أن رؤوس الأموال أصبحت تستخدم فى المراهنة على ارتفاع وانخفاض رؤوس أموال أخرى دون خدمة اقتصاد حقيقى ... فتحولت البنوك إلى صالات قمار وأصبحت كالطفيليات الضارة بالشركات المالية التى يلعب فيها بالولد الذهبى وعلى تذبذت الأسعار.

تلك هي الحداثة التي ترفضها والتي تطيح بأي معنى للحياة

فالنطق بكلمة الله يعنى الاعتراف بأن للحياة معنى وأننى مسئول عن اكتشافه وتحقيقه.

ولا تقولوا لنا أننا نحكم على الحداثة الغربية من منطلق انحرافاتها وانحلالاتها: فالنهاية التي آلت إليها تلك الحداثة والتي تعصرض بقاء كوكبنا للخطر هي على العكس من ذلك. نهاية منطقية بحتة فرضياتها الأولى التي تم تعريفها منذ عصر النهضة وقد تنبأ شكسبير في «دفة أثينا» وسرفانت في دون كشوت بما سوف تؤول إله الحضارة القائمة على هيمنة المال وهما لم يشهدا إلا بداياتها أما اليوم فنحن شهود على نهايتهاوفاعلون لا إراديون لها وأعنى بتلك النهاية فقدان الحياة والعالم لكل معنى.

وقد أثبتت كل الفرضيات الأولى لتلك الحداثة المزعومة كذبها وافتراءها.

ويأتى فى المقام الأول الفرضيات الأولى الخاصة بالديمقراطية وبالدفاع عن حقوق الإنسان. فدوما كانت الديمقراطية تعتيما لأقلية يمتد نطاقها من ملاك العبيد إلى ملاك

الشروات فالديمقراطية التي يطلق عليها اسم ديمقراطية أثينا وعرف بها عهد يريكليس والتي تعتبر نموذجًا «لأم الديمقراطيات» لم تكن إلا حكم • ٢ ألفًا من المواطنين الأحرار لمائة ألف عبد محرومين من كافة الحقوق.

ينادى إعلان استقلال الولايات المتحدة بالمساواة فى الحقوق لكل البشر وعلى الرغم من صدور هذا الإعلان الرسمى ظلت العبودية قائمة بعده لما يزيد على قرن.

يؤكد إعلان حقوق الإنسان والمواطن الذى أصدرته الثورة الفرنسية على مايلى: «يولد كل البشر أحرارا ومتساوين فى الحقوق ، إلا أن الدستور الخاص باقتراع دافعى الضرائب والذى جاء هذا الإعلان فى ديباجته يحرم ثلاثة أرباع الفرنسيين من ممارسة حقهم فى التصويت لأن فقرهم يجعل منهم مواطنين سليين.

بوسع كل فرد أن يستند إلى حقوق الإنسان فالمساواة تكون كاملة أمام القانون فلكل من العاطل والملياردير نفس الحق في تأسيس جريدة أو في إنشاء قناة تليفزيونية. وهذه المساواة أمام

القانون تكون تامة بدرجة لا تعرف معها الاستثناءات. فمحظور على هذا الملياردير كما هو على هذا العاطل سرقة رغيف خبز و إذا ما حدث ذلك فسوف يحكم عليها بنفس العقوبا.

هذه الأمور كلها منصوص عليها في إعلان حقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة في عام ١٩٤٨ وفي قوانين الدول التي يقال عنها «ديمقراطية» كما تتحدث تلك القوانين عن حق العمل، لملايين العاطلين علاوة على حق التصويب، ولكن هناك قوانين أخرى أكثر إلزاما تسود في الواقع: فلقد حلت الورقة النقدية ومحل البطاقة الانتخابية.

ليس فقط لأنه في الولايات المتحدة ـ على سبيل المثال يحتاج الشخص • • ه مليون للقيام بحملة انتخابية ليصبح عضوا في مجلس الشيوخ أو النواب ولكن لأن الشروات في كل تلك الدول تسمح بشراء الأداتين الرئيستين للحكم ألا وهما: وسائل الإعلام من أجل التأثير على الرأى العام وصناعة التسليح لاقناعهم في نهاية الأمر.

وهذا لا يمثل انتهاكا لمبادئ الديمقراطية الليبرالية

البورجوازية ولكن تطبيقا حرفيا لها: فلقد كتب بوضوح الفيلسوف الإنجليزى ج لوك الذى كان يعرف عن تجربة أسس أول «ديمقراطية» أوروبية وهى الديمقراطية الإنجليزية وممارستها في كتابه «دراسة ثانية عن الحكومة المدنية»: إن الهدف الأكبر الذى يسعى كل البشر إلى تحقيقه هو الإبقاء على الملكية ويستنج من ذلك وفي منطقية كاملة أن من لا يمتلكون يستعدون من الديمقراطية.

وقد أكد الكاتب العظيم ديدرو عشية الشورة الفرنسية ـ في إحدى مقالات موسوعته التي حملت عنوان «النائب» ـ على الأفكار السياسية للملوك حيث قال في لهجة حازمة: «المالك وحده هو المواطن».

وعلى الرغم من المظاهر الشكلية فإن النفس هذا المبدأ ما زال سائدا اليوم في «ديمقراطياتنا» الليبرالية محققا حكم روسو في «العقد الاجتماعي» حين قال أبدا لم يحدث أن كانت هناك ديمقراطية وذلك لسبين:

١ _ إنعدام الإيمان العام في الموت والحساب والحياة

الأخرى.

٢ ـ تفاوت الثروات.

و يحول هذان السببان دون تكون تلك «الإرادة العامة» التي تمثل حجر الزاوية لمفهومه عن الديمقراطية الحقيقية.

وقد برهن قرنان من التجرية على صدق نبوءة روسو التي أقامها على تجارب الماضي .

ويبدو اليوم واضحا للعيان كذب التماثل القائم بين الديمقراطية وحرية السوق هذا المبدأ المخادع لسياسة الأمريكية.

وتكمن وراء ذلك أسباب رئيسية ذكرها روسو وهى: لا يمكن التوصل لإرادة عامة إلا إذا كان للمجتمع بأسره أهداف مشتركة إلا أن السوق لا يعرف إلا إرادات فردية لأفراد وجماعات يتصادمون ويتنافسون فيما بينهم كما في الغاب فوحدانية السوق هي من حيث المبدأ نفسه نقيض الديمقراطية.

ومفهوم روسو هذا شديد الشبه بمفهوم القرآن الخاص بتفاوت الثروات وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا

فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا السورة الإسراء: ١٦] أو مفهومه الخاص بالشورى حين جعلها ضرورية لرجال الدين من أجل اتخاذ القرارات المصيرية، وتجدر الإشارة إلى أن الشهادة التي يطالب بها روسو لا تتخذ من أى ديانة يطالب بها روسو لا تتخذ من أى ديانة يطالب بها روسو لا تتخذ من أى ديانة أخرى مرجعية لها وهذا هو الحال أيضا بالنسبة للقرآن الذى لا يزعم أنه يحمل للناس دينا جديدا ولكنه يدعوهم إلى تلبية نداء الإيمان الموجود في قلوبهم.

بعد أن نفخ الله فى الإنسان من روحه ، كما أكد القرآن الكريم مرارا وتكرارا أنه «لا إكراه فى الدين » إذن ينبغى علينا التفكر - حين اعتبارنا للماضى فى الظروف المهيئة لنهضة إسلامية حقيقية تكون باعثا لحداثة جديدة.

ويجيب جارودى على ذكر أسباب نجاح الإسلام وأسباب انتشاره قائلا: إن التوسع الكبير للإسلام في القرن الأول الهجرى لم يكن أبدا غزوا عسكريا فسكان شبه الجزيرة العربية كان عددهم ضئيلا إذا ما قيس بهذا التوسع الهائل كما أنه لا سبيل للمقارنة بين تقنياتهم العسكرية وتقنيات الامبراطوريات

العظمى مثل بيزنطا وفاس.

فللنجاح أسباب ثلاثة وهي:

۱ ـ تجدید دینی

٢ ـ ثورة اجتماعية.

٣ ـ طفرة ثقافية .

١ ـ تىجدىد دىنى:

الإسلام ليس دينا جديدا ولد مع دعوة النبي محمد.

- الله ليس إله خالصا بالمسلمين فكلمة الله «بمعنى» «الإله» هى ترجمة حرفية للكلمة التى تعنى الله الواحد . فالمسيحى ـ الذى يتحدث العربية ـ بذكر كلمة «الله» حين يدعو الله فى صلواته وطقوسه .

- الإسلام يعينى الخضوع اللاإرادى والحرشه الواحد . وهذا هو القاسم المشترك الأعظم في كل الديانات السماوية : اليهودية والمسيحية والإسلام منذ أن نفخ الله في الإنسان من روحه حيث يقول الله في كتابه العزيز ﴿ونفخت فيه من روحي﴾

[سوة الحج: ٢٩] أي منذ بدء الخليقة.

_وهكذا يعرف القرآن الإسلام بصورة واضحة ويأمر الله محمدا بأن يقول: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل ﴿ [سورة الأحقاف: ٩].

_ وهم يذكره كثيرا لأنه ليس النبى الأول: ﴿لقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين﴾ [الحجر: ١٠].

ويقول القرآن ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤] جميعهم كانوا رسلا لإله واحد.

ويوكد الله في حديثه إلى نبيه على استمرارية الرسالات النبوية (ما يسميه القرآن سنة أو حديثا شريفا) وكثيرا ما يأمره قائلا:

﴿ سلامن أرسلنا من قبلك من رسلنا ﴾ [سورة الزخرف: ٥٥] [سورة يونس: ٩٤] ، [سورة النحل: ٤٣] [سورة الأنبياء: ٧].

وفى القرآن. يأمر الله المسلمين بتكريم أنبياء اليهود ومسيح النصارى [سورة النساء: ١٥١]، [سورة الحديد: ١٨].

ويذكر الرسول محمد البشر أجمعين بالديانة الأولى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿[سوة الروم: ٣٠].

وهذا النداء موجه لكل الشعوب يقول القرآن أن الله قد أرسل رسلم لكل الشعوب وجعلهم يتحمد ثون لغتهم حتى تفهم رسالتهم وذلك يشمل من لم يتحدث عنهم القرآن مثل الهند والصين.

٢ ـ ثوة اجتماعية:

تحدد الرسالة الاجتماعية لمجتمع المدينة الشروط الواجب توافرها في كل مجتمع إنساني وهذه الرسالة هي رسالة الشريعة الرئيسية: الله وحده المالك، الله وحده الأمر والله وحده العالم.

ـ الله وحده المالك ﴿ له ما في السموات والأرض ﴾ [سورة البقرة: ١٠٩] الإنسان _ البقرة: ١٠٩] الإنسان _ خليفة في الأرض ـ مكلف بإرادة هذا الملك في سبيل الله .

_ وهذا المفهوم يتعارض مع مفهوم الحق في قانون جوستان

الذى يعرف الملكية بالحق فى الاستخدام وإساءة الاستخدام ووعلى العكس من ذلك، فإن الواجبات ـ بالنسبة للمسلم ـ تأتى قبل الحقوق.

ولا يمكن للإنسان المسئول عن أداة ملك الله أن يتصرف فيها كما يشاء _ فلا يمكن له أن يدمره وفقا لنزواته أو أن يبدده أو أن أترك الأرض بلا زراعة دون أن يجعلها تثمر بالعمل ولا يمكن له أيضا أن يجمع المال ويكنزه: ﴿والنين يكنزون النهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [سورة التوبة: ٣٤] واللعنة الكبرى في القرآن موجهة ضد الثرى أبو لهب الذي تدينه ثرواته: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ما للهب الذي تدينه ثرواته: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه المسلد: ١-٣].

وكل تعاليم القرآن تنادى بالزكاة والتى تتمثل فى انتقال اجتماعى للشروات كأحد متطلبات الدين وتحظر الربا أى كل زيادة فى الشروات بلا عمل فى خدمة الله ، وهى تعاليم تهدف إلى الحيلولة دون تكديس الشروات فى أحد قطبى المجتمع

وتفشى البؤس والفقر في القطب الآخر.

٣ ـ طفرة ثقافية فهذا هو البعد الثالث وهو بعد ذو طابع نقدى تنفع مسئوليته على ضروة الوقوف بالفكر الديني المستنير ضد الفقهاء القادمين من الخارج والذين يعتبرون أنفسهم عمالاً وحراسًا للمطلق دون أى علم.

وعلى علماء الدين البحث فيما يحدث ويتعرض له الدين الإسلامي اليوم وذلك يتحقق بعدم الانطلاق على معضلة خاطئة أو الوقوع في محل اختيار محاكاة الغرب أو العودة للماضي وفي ذلك إنقاص لشأن الإسلام العظيم.



فى لقاءاتهم بالشراء والتنوع فى الأسئلة المطروحة والإجابات التقى جارودى بالكتاب والمفكرين المصريين حيث أجاب على كافة الأسئلة التى وجهوها له وفيما يلى جانب من اللقاء:

• د. صلاح فضل: رحلة خصبة ومسيرة روحية عميقة تحول فيها جارودى من المسيحية إلى الماركسية إلى الإسلام ثم جمعهما معًا في مزيج بديع أصبح الإسلام فيه هو القوة الحاكمة.. ماذا عن تحولات الرحلة الفكرية والروحية؟!

■ جارودى: نشأت فى أسرة ملحدة لكنها محافظة فى السياسة وأثناء الأزمة الاقتصادية العالمية وانتشار الفاشية فى إيطاليا والنازية فى ألمانيا بدأت أشعر أن الحياة عبثية ولا معنى لها، وقرأت فى هذه السن المبكرة كتابًا لكيركجارد عن واقعة فداء سيدنا إبراهيم بابنه إسماعيل وتأثرت من تأملات كيركجارد فى إذعان إبراهيم وطاعته لربه وقبوله لكلام الله بلا قيد أو شرط وقررت فى سن الرابعة عشرة اعتناق البروتستانتية . وفى الثانية والعشرين قررت الانضمام للحزب الشيوعى لكننى لم أكن فى يوم من الأيام ملحدًا وعندما كنت عضوًا فى اللجنة المركزية

للحزب الشيوعي الفرنسي كنت في الـوقت ذاته رئيسـا للطلاب المسيحيين البروتستانت ودخلت الحزب الشيوعي كمسيحي وكنت في هـذه الأثناء طـالب فلسفـة . وكنت أبحث عن منهج فوجدته في الماركسية، والماركسية لا علاقة لها بالأديان ومن وجهة نظري فالدين يضع الغاية القصوي للحياة ويجسد القيمة المطلقة ويجعل للوجود معنى. وعندما كنت معتقبلاً في أحد سجون الجزائر نظمنا إضرابًا عام ١٩٤١ وطلب قائد المعتقل فلك الإضراب فرفضنا وعندما تأكد أننا مصرون على الرفض طلب من الجنود أن يطلقوا الرصاص فلم ينفذوا الأمر وعلمت بعد ذلك أن هــولاء الجنود جزائريون مسلمـون وأن الـدين الإسلامي يمنع المسلم من إطلاق الرصاص على أعزل، وبدأت دراسة الإسلام وبخاصة الإسلام الذي كان سائدًا في الأندلس وقرأت القرطبي وابن حزم وابن ماجه وابن طفيل وابن رشد وابن عـربي. ووجدت أن الإسـالام ليس دينا خاصًـا ولكنه المدين المذى آمنت له كل الرسل، والإسلام يعنى المخضوع اللاإرادي والحريلة الواحد وهذا هو القاسم المشترك الأعظم في كل الديانات السماوية. ويعرف القرآن الإسلام بصورة واضحة

ويأمـر الله محمـدًا بأن يقـول ﴿قل مـا كنت بـدعًـا من الرسل ﴿ ويدكره كثيرا بأنه ليس النبي الأول ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ﴿ ويقول القرآن ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الله ويؤكد الله في حديثه إلى نبيه على استمرارية الرسالات النبوية ﴿سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا وفي القرآن يأمر الله المسلمين بتكريم أنبياء اليهود ومسيح النصاري [سورة النساء: ١٥١، سوة الحديد: ١٨] ويذكر الرسول محمد البشر أجمعين بالديانة الأولى ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها * لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون الله مكذا فهمت الإسلام بأن نداءه موجه لكل الشعوب ويقول القرآن إن الله قد أرسل رسله لكل الشعوب وجعلهم يتحدثون لغتهم حتى تفهم رسالتهم وذلك يشمل من لم يتحدث عنهم القرآن مثل الهند والصين ... فالإسلام هو الدين المجدد. وبالنسبة لي فقد تأثرت بنموذج الإسلام الذي كان سائدًا في الأندلس كان هناك مناخ رحيب للحرية فإلى جبوار المساجد توجد الكنائس والمعابد وإلى جوار الفلاسفة المسلمين تواجد فلاسفة يهود

مثل ابن ميمون وساهموا في الحضارة الإسلامية، أما عن مسار حياتي الفكرية فيقوم على الاتصال لا الانفضال وعندما ذهبت إلى السعودية لاستلام جائزة الملك فيصل سألني صحفي عن علاقتي الآن بالمسيحية والماركسية فقلت له إنني أدخل الإسلام وتحت إبطى دعوة يسوع المسيح وتحت الآخر كتاب رأس المال لكارل ماركس وعندما أردت أن ألقى محاضرة هناك عن ابن عربى اعتبروه شيطانًا.

الإسلام بلا كهنوت

أحمد عبد المعطى حجازى: أنت صاحب كتاب "وعود الإسلام» وفهمت منه أن وعود الإسلام مقدمة للبشرية كلها. والآن معظم من يتحدثون باسم الإسلام يقدمونه في صورة سلبية جدًّا ويبررون الإرهاب باسمه ونحن نريد مسلمًا يجدد الإسلام فما هي وعودك للإسلام؟

□ جارودى: اعتنقت الإسلام واكتشفت من خلال جلال الدين الرومى وابن راشد وابن عربى والحلاج وفريد الدين العطار وغيرهم أنه دين يتميز بعدة خصائص أولا إنه دين عام

وشامل لا يحتكر فيه أحد الحقيقة غير الله وحده هو الذي يعلم وهو الذي يعرف ومعرفة الله هي المعرفة المطلقة الشابتة ومعرفة البشر نسبية ومتغيرة والله لم يخلق العالم مرة واحدة إنما هو مستمر في الخلق. والفقة هو معرفة الفقهاء عن الإسلام وبالتالي فهو معرفة بشرية متغيرة الزمان والمكان والظروف ، ففقه الشافعي غير فقه أبي حنيفة هناك فقه قديم وفقه جديد نطالب به والإخلاص للقدماء لا يعني الحفاظ على رماد القبور، وإنما يعني الحفاظ على شرارة الخلق والإبداع وبما أن الإسلام دين شامل فإنه يحتاج منا الفهم والحوار المستمر بيننا. فكل منا يتعلم من الآخر وموقفهم ضد حرية المرأة وحقها في العمل والتعليم والرسول عليه الصلاة والسلام قال خذوا نصف دينكم عن عائشة والإسلام ضد وحشية الطاليبان مثلاً.

ثانيًا في الإسلام الله وحده هو المالك (له ما في السموات والأرض) والإنسان خليفة الله في الأرض مكلف بإرادة هذا الملك في سبيل الله ولا يجوز للإنسان المسئول عن إرادة ملك الله أن يتصرف فيه كما يشاء. فلا يمكن له أن يدمره وفقا لنزواته

أو أن يبدده أو أن يترك الأرض بلا زراعة دون أن جعلها تثمر بالعمل ، ولا يمكن له أيضا أن يجمع المال ويكنزه: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴿واللعنة الكبرى في القرآن موجهة ضد الثرى أبو لهب الذي تدينه ثرواته ﴿تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى نارا ذات لهب وكل تعالم القرآن تنادى بالزكاة والتي تتمثل في انتقال اجتماعي للثروات كأحد متطلبات الدين. وتحظر الربا، أي كل زيادة في الثروات بلا عمل في خدمة الله، وهي تعاليم تهدف إلى الحيلولة دون تكديس الشروات في أحد قطبي المجتمع وتفشى البوس والفقر في القطب الآخر.

ثالثا العلاقة بين الإنسان وربه فى الإسلام علاقة مباشرة فلا توجد واسطة بينهما ولا يوجد كهنوت ولا سلطة رجال دين فلا كنيسة ولا قساوسة.

رابعا: عندما قرأت صدر الدين الشيرازى تعلمت أن المحبة الإلهية في الإسلام تكتسب بالمحبة الإنسانية.

●محمد سيد أحمد يسأل: لماذا أضفتم في كتابكم الأخير ملحقا عن الفلاسفة الجدد في إسرائيل وكيف نفرق بين اليهودية والصهيونية في هذا الإطار؟

□ جارودى: أعتقد أنه من الموضوعات الهامة فى كتابى التفرقة بين اليهودية كديانة والصهيونية كسياسة الصهيونية قراءة مغلوطة ومتعصبة لليهودية ومن حسن الحظر أن كثيرا من اليهود ليسوا صهاينة.

وعندما أراد تيودور هرتزل أن يؤسس إسرائيل عارضه معظم الحاخامات فالصهيونية ما هي إلا هذه البدعة المتشددة العظمي التي غيرت الرسالة الإلهية بإعطائها هذا التبرير الأيديولوجي لقومية عدوانية وتم تبديل إله إسرائيل بدولة إسرائيل هذه البدعة التي أطلقها هرتزل إن المطلب الوارد في التوراة عن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات هو أساس قائم على قراءة متطرفة للتوراة أي قراءة تحريفية تحول الأقوال العظيمة التي قالها

الآباء الكهنة والرسل لتجعل منها تاريخا قوميا وحتى قبليًا. إن هذا المطلب هو بدعة تدعم السياسة الصهيونية . وهى تؤدى إلى المفارقة التالية فحسب إحصاءات الحكومة الإسرائيلية فإن ٥١٪ فقط من الإسرائيليون متدينون وبالرغم من ذلك فإنها تحاول أن تجعل الغالبية العظمى من الشعب يؤمن بأن هذه الأرض ملك له لأن الله قد وعده بها . هذا الإله الذى لا يؤمن به الشعب إن بن جوريون الكافر هو الذى أطلق هذا الشعار المذكور في إسرائيل يقدمون لهم التوراة عن مملكة داود الثالثة . وعندما يستدعون الشباب للجندية في إسرائيل يقدمون لهم التوراة وفيها خريطة عن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ، ويقولون إن تفكك المستوطنات خيانة كبرى لليهودية .

إسرائيل ملحدة

Oمحمد عودة: عندما ندرس إسرائيل ندرسها كمشروع استعمارى استيطانى لا علاقة له بالروحانيات ولا باليهودية ... فكيف يرى جارودى الدور التاريخي لإسرائيل؟

□ جارودى: أتفق معك فإسرائيل هي اختراع اليهودية

الأوروبية وهرتزل مؤسس إسرائيل والأب الروحى لها ملحد غنوص وقد رسم لها مهمة رئيسية قبل أن تنشأ. وقام بالمساعى العديدة لدى دول الغرب التى كانت استعمارية فى ذلك الوقت وهى إنجلترا والمانيا وإيطاليا وروسيا وكانت حجته الرئيسية التى استند إليها أنه إذا قامت إحدى هذه الدول بحماية هذه الدولة الوليدة فستتمتع بميزة على كافة خصومها لأن هذه الدولة ستكون بمشابة رأس حربة مغروسة فى المنطقة من أجل تغلغل استعمارى يقوم بالضرب، وستكون بالنسبة لأوروبا متراسا ضد آسيا. وعندما تحول ميزان القوة الاستعمارية لأمريكا تحولت إسرائيل إلى عميل لها بحيث تلعب إسرائيل إلى عميل لها بحيث تلعب وسائعها فى المنطقة.

€ د. مصطفی محمود: أحب أن أنقل إليك شعور كاتب إسلامی يمثل كل الإسلاميين فی مصر. والسؤال يدور حول شعورنا أن المسرح يعد فی منطقتنا لمواجهة عسكرية قريبة وأن إسرائيل ومن ورائها أمريكا سوف تحسم أطماعها عسكريًا فهل يشعر جارودی معی أن هذا الاحتمال وارد أم أنها هموم مبالغ

 جارودى: أعتقد أن إسرائيل ستكون مفجرًا لحرب عالمية جديدة ولن يكون لهذه الحرب سمات الحروب العالمية السابقة. فالحروب السابقة وقعت بين الدول الغربية وكانت بمثابة حروب أهلية في إطار النظام الرأسمالي. الحرب الجديدة ستكون حرب حضارات بين الشمال الرأسمالي وبين الجنوب وسوف تلعب إسرائيل في هذه الحرب دورًا حاسمًا وبعد سقوط الاتحاد السوفييتي فإن الولايات المتحدة تبحث عن شيطان آخر تبرر به هیمنتها وتدخلها واستعمارها. فتحت شعار محاربة الشيوعية كانت الولايات المتحدة تتدخل في الدول التي تبعد على الأقل عشرة آلاف كيلو متر عن حدودها. الشيطان الجديد الذي عشرت عليه أمريكا هو الإسلام الذي تسميه الإرهاب. وبخاصة في الدول الإسلامية البترولية التي لا تقع تحت سيطرتها. مثل إيران وليبيا، وأعتقد أن أول حرب ستكون ضد إيران. وعندما اجتمع قادة الإرهاب في شرم الشيخ حدد شيمون بيريز الهدف الجديد مدعيًا أن إيران هي مصدر الإرهاب

بكافة أشكاله في العالم دون أن يقدم دليل على ذلك. نعم للكفاح المسلح

◄ هل تعتقد أن اتفاقيات السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين يمكن أن تعيد للفلسطينيين حقوقهم؟ وهل هناك اختلاف بين سياسة بيريز وسياسة نتنياهو؟

□ جارودى: بالتاكيد لا: لأنه لا توجد مفاوضات حقيقية إلا حينما يوافق جميع الأطراف على طاعة القانون الدولى، ولكن دعنا نتساءل ما الذى تعطيه هذه الاتفاقات للفلسطينين؟ ٦٪ فقط من الأراضى المحتلة والباقى لإسرائيل وهذا معناه أن هذه الاتفاقات غير معنية إلا بـ ٦٪ من القضية الفلسطينية.. والأرض التى يأخذها الفلسطينيون عبارة عن مقاطعات مجزأة تحيط بها المستوطنات (٠٠٠ ـ مستوطنة) فى حماية الجيش الإسرائيلى. والطريق المؤدى إلى القدس والذى تلتقى عنده جميع الطرق ممنوع اجتيازه بتاتًا إلا لليهود، ومنذ التفرقة جميع الطرق ممنوع اجتيازه بتاتًا إلا لليهود، ومنذ التفرقة العنصرية التى كانت قائمة فى جنوب أفريقيا لم نعرف أبدًا نوعًا من التفرقة المكشوفة بهذا الشكل، فهذه ليست مفاوضات سلام

ولكنها نوع من إملاء الإرادة. هذه مهزلة سافرة. وعن نفسى ، فأنا لن أزور فلسطين المحتلة باتفاقات أوسلو، وأعتزم بالمقابل تكرار زياراتي لقرية قانا في لبنان ولا يوجد فرق بين حزب العمل والليكود إلا في الكلام فقط. وما كان يريد بيريز تحقيقه بخبث شديد، يريد نتنياهو تحقيقه بصلف شديد.

جلال أمين: ماذا عن الحل. وعن إمكانية تحقيق دعوة
 جارودى إلى مقاطعة الجنوب لأمريكا والدول الغربية اقتصاديًا
 فى الظروف الدولية الراهنة. ؟

□ جارودى: أعتقد بصراحة أن حل القضية الفلسطينية يبدأ من أمريكا وطالما أن إسرائيل تمتلك كل هذا السلاح والمال والتفوق الدبلوماسى والدعم الأمريكى وحق الفيتو الأمريكى فإن مقاطعة إسرائيل فقط غير كاف. الحل أن نضرب أمريكا في نقاط ضعفها، في الاقتصاد فأمريكا هي أكبر دولة مدينة في العالم والبنوك الأمريكية مجرد أوكازيونات تعتمد على المضاربات أكثر من اعتمادها على العملات واقتصادها وأقوى سلاح في أيدينا هو اقتصاد هش يمكن ضربه بسهولة وأقوى سلاح في أيدينا هو

المقاطعة. ففي كل مرة نشتري فيها زجاجة كوكاكولا أو سيارة أمريكية فإنك تدعم الاقتصاد الأمريكي الذي يدعم إسرائيل، وفي القرن الماضي عندما قاطع الهنود مصانع النسيج البريطانية أفلست وتخلخلت قبضة الاستعمار الإنجليزي على الهند، الحل مقاطعة الاقتصاد الأمريكي والغربي وإقامة نظام جديد للتعاون الاقتصادي بين الجنوب، ولقد شاهدت في أوروبا أحدث الجرارات التي تعمل في الحقول لكنها لن تعمل إذا منعت عنها البترول. نستطيع دول العالم الثالث أن تحقق الاكتفاء اللذاتي وتحل مشكلات الباطلة والتضخم والجوع والهجرة. وأعتقد أن هذا هو الحل لسحب مقدرات الأمور من يد الولايات المتحدة. فأمريكا لن تضحى بأموال العرب المكدسة في بنوكها بسهولة فهدفنا هو مقاومة استعمارية أمريكا من خلال تكامل وحوار جاد بين دول الجنوب وهذا هو الطريق لتخفيف المدعم والتفوق المالي والمدبلوماسي والعسكري

● هل هــذا معناه إنـك ضدحق الشعب الفلسطيني في

الكفاح المسلح؟

□ جارودى: العملية ليست عنفًا أو غير عنف. لكنى أعتقد أن الشعب الفلسطينى يمكن أن يعبر عن وجوده بالكفاح المسلح. والمعركة الأساسية من وجهة نظرى اقتصادية، تتطلب اتحاد الدول العربية كلها. والاقتصاد الأمريكى لن يصمد أمام ضياع الأموال العربية. وإذا كانت أمريكا سترفع دعمها عن إسرائيل فلن تستمر إسرائيل أكثر من ستة أشهر. لذلك فإننى أركز على الحرب الاقتصادية.

بهاء: ما رأيك في الأصولية وبخاصة الأصولية الإسلامية؟

□ جارودى: أود أن أقول إننى حاربت الأصولية الفكرية منذ عام ٤٨ أما الأصولية الدينية فهى أن يعتقد الإنسان أنه يملك الحقيقة النهائية وبالتالى يتعين فرضها على الآخرين وهذه جريمة. ومن هذا التعريف كتبت ٤ كتب عن الأصولية وقلت إن الحقيقة يجب ألا تفرض على الآخرين فهذا نوع من الاستعمار. هذا التعريف للأصولية كتبته عن الكنيسة الكاثوليكية ثم تكلمت عن الأصولية الإسلامية وقلت إنها ستؤدى إلى التدهور تكلمت عن الأصولية الإسلامية وقلت إنها ستؤدى إلى التدهور

الإسلامى. ثم هاجمت الأصولية الصهيونية عندما كتبت عن إسرائيل فاستدعوا لى البوليس، ومهمتنا كمسلمين ألا نخلط بين الفقه والتشريع فالتشريع شامل خالد لجميع العصور. أما الفقه فهو متغير بتغير العصور. المواريث مثلا أقرب للفقه منها للشريعة، وحد السرقة يوقف تطبيقه فى حالة عدم توفر مجتمع الكفاية.

الدكتور يحيى الجمل ألاحظ أن الأستاذ جارودى يستخدم مفهوم الأصولية كما هو متداول في الإعلام الغربي ألاحظ أنه يخلط بينه وبين مفهوم السلفية. فالأصولية تعنى العودة إلى الينابيع الأصيلة ولا تعنى الجمود أو فرض الفكر بتعسف على الآخرين. وأريد أن أسال عن رأى جارودى في مستقبل الإنسانية بصفة عامة؟

□ جارودى: عندما أقول الله يصبح للعالم معنى الوحدانية فالعقيدة شيء ضرورى ولا يكون للحياة معنى بدونها، والطابع الدينى إنما يتجلى في الغايات الأخيرة للإنسان والتي تتمثل في معرفة ما إذا كانت تنمية العلوم والتقنية تـؤدى بالضرورة إلى

تحطيم الإنسان أو ازدهاره.

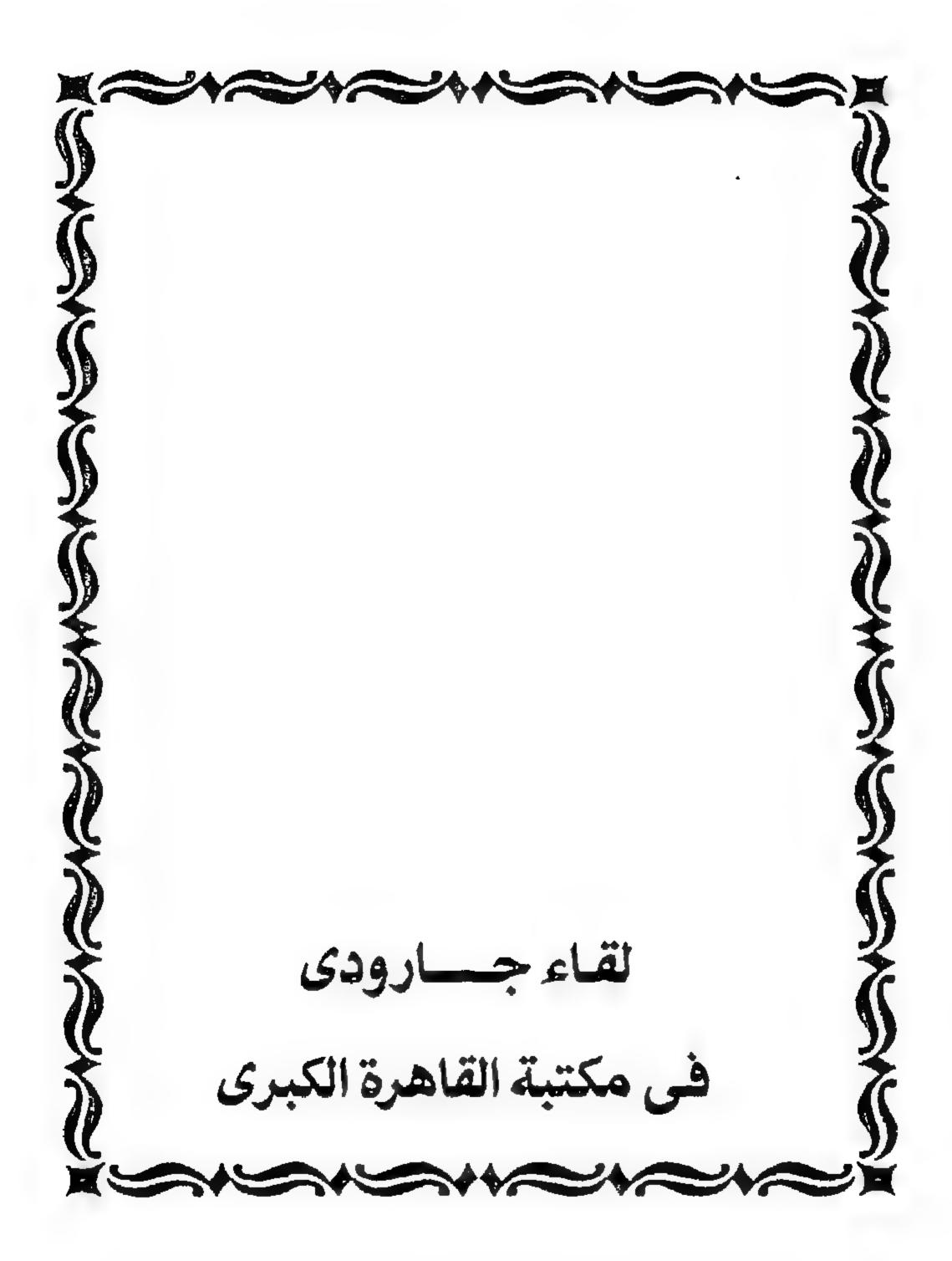
كيف تنظر إلى مستقبل الحضارة الغربية؟

□ إن الحساب الختامي لانهيار الحضارة الغربية ثقيل للغاية ويمكن تلخيصه في بضع كلمات هناك أقلية غنية لا تتعدى خمس سكان العالم تسيطر وتستهلك ٨٠٪ من الموارد الطبيعية في هذا العالم، والنموذج الغربي للتنمية يكلف العالم الثالث (بسبب الفقر وسوء التغذية والجوع والأمراض) حياة ٥٥ مليون شخص سنويًا من بينهم ١٥ مليون طفل دون الخمس سنوات، ولا يمكن تصور إدارة أسوا من ذلك لكوكبنا من جانب الذين يدعون تلقين دروس في الديمقراطية وفي الحرية وحقوق الإنسان وفي العالم الآن ٢٥٠ شخصًا يستحوذون على قسط من الثروة التي يستحوذ عليها ٢ مليار من البشر. أما الديمقراطية فهي في الواقع العملي للأغنياء وليست للفقراء وعلى سبيل المثال يحتاج الشخص إلى ٠٠٠ مليون دولار في أمريكا للقيام بحملة انتخابية ليصبح عضوًا في مجلس الشيوخ أو النواب.

• وماذا عن تفاصيل الحملة الصهيونية عليكُ في فرنسا بعد

صدور كتابك « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»؟

□ رفضت كافة الصحف التي تشن حملة تشهير واسعة النطاق على مجرد نشر رد مع أن هذا حقى القانوني. وقد هوجم موزع كتبي من العصابات الصهيونية الفرنسية وتم تشويه وجهه وأحرقت واجهات المكتبات التي تعرض كتبي فضلاً عن الملاحقة في كل مكان والتهديد بالقتل. وأنتظر محاكمة أمام محكمة فرنسية في ١٣ نوفمبر القادم. هذه الحالة ليست حالتي فقط ففى السبعينيات تم فصل البروفيسور « روبيرفوريسون » من جامعة ليدن وتم اغتياله معنويًا لأنه قدم بحثًا علميًّا يقول إن عملية حرق اليهود في غرف الغاز في ألمانيا هي أكذوبة صهيونية وفي الثمانينيات عندما حصل الباحث « هنري روكبه » على درجة الدكتوراه في جامعة « نانت » في موضوع غرف الغاز وشكك فيها سحبت منه درجة الدكتوراه لأول مرة في تاريخ فرنسا وفصل الأستاذ الذي أشرف عليه بقرار من وزير التعليم، وسبق لى أن قدِّمت للمحاكمة ثلاث مرات أوائل الثمانينيات بسبب مقال في « اللوموند» يدين الغزو الإسرائيلي للبنان.



● واستمرارًا في برنامج لقاءاته في القاهرة التقي جارودي بالمثقفين من كتاب ومفكرين وأساتنة جامعة في مكتبة القاهرة الكبرى ليواصل أحاديثه حول القضايا التي طرحها في لقاءاته السابقة. وبداية أبدي جارودي اتفاقه مع الرأى الذي يذهب إلى أن الدولة اليهودية لم تكن منـذ ولادتها حلا للمشكلة اليهودية أو تمثل قضية روحيه لتحديد مصير الشعب اليهودي ولكنها ومنذ البداية مشروع سياسي استعماري استعملته الامبريالية الألمانية في الحرب العالمية الأولى واشترته الامبريالية الألمانية في الحرب العالمية الأولى ثم ارتمت على أعتاب الامبريالية الأمريكية في الحرب العالمية الثانية ولهذا يتم دراستها كمشروع استعماري استيطاني لا صلة له باللدين موضحا أن إسرائيل تعد اختراع الوطنية والعنصرية الأوروبية ولاشأن لها بالدين على الإطلاق فمؤسسها الروحي « هرتـزل » قال ما هو نص في كتابه « اللولة اليهودية » أنه استعمل الدين فقط من أجل العودة إلى أرض الميعاد كما أضاف أنه أراد أن ينشىء درعا للحضارة الغربية ضد البربرية الشرقية لتصبح الغاية فيما بعد وأثناء الحرب العالمية الأولى هي السيطرة على منابع النهر ولكن بعد أن

استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تحصل على نصف ثروة العالم تقريبا أصبحوا عملاء أمريكا في الشرق واتسعت الغاية لتشمل تفتيت كل الدول العربية الموجودة في منطقة الشرق الأوسط والسيطرة عليها.

الإسلام الحق

ويحاول جارودى أن يشرح اللبس الذى أصاب البعض ممن حضروا ندوته السابقة في جامعة عين شمس وغيرها والذين تصوروا أنه يرى في إيران والسودان النموذجين المثاليين للإسلام الصحيح!!

قائلا: إن القضية منذ البداية ليست دينية وإنما سياسية محضة فالعدو الرئيسي للإسلام هو الولايات المتحدة الأمريكية فقبل انهيار الاتحاد السوفييتي كانت أمريكا تعتبر أن الشيوعية هي العدو الرئيسي لها لكي تبرر التسليح في المنطقة وتجميد العالم ضد عدوها السوفييتي ولكن وبعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط العملاق السوفييتي حاولت أمريكا أن يجد البديل في الإسلام الذي تراه نوعين أولهما إسلام طيب لا خطر منه ولا

ضرر وهو إسلام صندوق النقد الدولى وتكبيل الدول الإسلامية بالديون والفوائد وبالتالى عرقلة المسيرة والتنمية الاقتصادية في هذه الدول لتصبح خاضعة باستمرار للهيمنة الأمريكية.

أما النوع الثاني من الإسلام فهو كل من يعارض مصالح الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة ومن هنا يتضح أن المسألة ليست دينية مطلقا وإلا كيف تفسر وجود ٢٠٠٠ ليس جندى أمريكي يرابضون في منطقة الخليج العربي ليس لمحاربة الأصولية الدينية أو التيارات المتشددة وإنما دفاعا عن مصالح أمريكا في المنطقة وفي مقدمتها البترول الموجود في إيران والعراق وليبيا والسودان فهناك مخطط أمريكي لتوحيد السوق العالمي تتزعمه وتدافع عنه ليصبح كل شيء قابلا لبيع والشراء حتى القيم الإنسانية.

لذلك أطالب بتكاتف الجميع ضد العدو المشترك أعنى به أمريكا _ بصرف النظر عن الاختيار السياسي أو المعتقد الديني وهنا استشهد بما حدث لفرنسا خلال الاحتلال النازي وبين ما يحدث في العربي الآن فالكل في فرنسا في ذلك الوقت

كان ضد النازية سواء كان ينتمى للتيار اليميني أو اليساري أو الاشتراكي فالعدو وإحد والمواجهة لابد أن تكون جماعية.

استمرارية

وينكر المفكر الفرنسي روجيه جارودي على نفسه التنقلات الفكرية الحادة في حياته بل يقول: أنني أسأل وباستمرار بأن هناك مراحل في حياتي من الكاثوليكية إلى الماركسية ونهاية بالإسلام وهو أمر غير صحيح فهناك تواصل في حياتي ففي عام ١٩٣٣ عندما كان عمري عشرين عاما وصل هتلر إلى السلطة في ألمانيا وبدأت الأزمة الاقتصادية الطاحنة في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٩ وانعكاساتها السلبية على أوروبا وتساءلت في ذلك الوقت وكنت طالبا للفلسفة: ما سبب هذه الأزمة التي تحدث في الغرب؟! فوجدتني أكتشف أن الأفراد والأمم في الغرب كانوا مغرقين في ذواتهم وهو ما جعل الحرب دمارا على الكل ضد الكل كما الاحظت أن الغرب يعانى من أزمة روحية فبدأت أقرأ عن سيدنا إبراهيم وأضحيته لله سبحانه وتعالى فشعرت أن هناك قيما مطلقة والتزام غير مشروط يجب أن أعلمها

فاتجهت إلى المسيحية وإن كنت مازلت أفتقد المنهج وابحث عن الموسيلة لارتقاء هذه القيم المطلقة وهو ما وجدته في الماركسية وكان أمامي في ذلك الوقت اختياران أولهما « لآدم سميث» المدافع عن الرأسمالية والذي يرى أن نشأة الغني والثروة يتم عن طريق تحقيق المصلحة الشخصية والتي يتبعها بالضرورة تحقيق المصلحة المدعوة من آدم سميث لم تتحقق حتى الآن.

أما الاختيار الثانى فوجدته فى كارل ماركس الذى من خلاله عرفت أن تركيز الثروة فى أيدى الأقلية ينتج أيضا الفقر فى أيدى الأغلبية فهناك فقط ٢٥٠ فردا فى العالم مليون ٢, ٥ مليار فى ثروة العالم.

ويضيف جارودى قائلا: كنت حتى ذلك الحين لا أرى تناقضا في مسارى الروحى بل تكاملا فالدين عندى هو الغاية القصوى والنهاية أما الماركسية فتقدم لى المنهج والوسيلة حتى عرفت الإسلام فوجدت في القرآن الكريم دينا شاملا وعادلا فهو دين يؤمن بكل الأنبياء ففي النهاية الإيمان بالله هو الذي يعطى

للحياة معنى وقيمة لـذلك أنا ضد توحيد السوق البشرى وأن الإنسان ليس إلاسلعة تباع وتشترى والحياة مجرد زيادة كمية لفئة تنتج وأخرى تستهلك.

ثلاث خصائص

ويرى جارودى أنه ليس صاحب دعوة خاصة فى الإسلام وأنه غير منوط بهذه المهمة ولكنه عليه فقط أن يشرح تجربته مع الإسلام ليأخذ بها الآخرون إن أرادوا قائلا: فى فرنسا المسلمون الفرنسيون قليلون جدا وهم مثقفون فى النهاية على الرغم من أن الإسلام هو الدين الثانى فى فرنسا بعد المسيحية ولكنه إسلام المهاجرين والأخوة العرب خاصة من شمال إفريقيا ومعظمهم من العمال ومن ثم أن الذى أثر فى كثيرا هو «رينيه جينو» الذى اعتنق الإسلام أيضا وفسر الإسلام بطريقة صوفية فمن خلاله اكتشف الرومى فريد الدين العطار وابن عربي والحلاج وهذا هو الإسلام عندى فى البداية قبل أن أتحول إلى مفهومى عن الإسلام الآن والذى يتميز بثلاث خصائص هامة أولها:

أنه إسلام عام وشامل لا يحتكر أحدا فيه الحقيقة أو يدعى

النهاية الكاملة وإنما هو الإسلام والقرآنى العادل. أما الخاصية الثانية هي إيماني بأن الإسلام دين متجدد يؤمن بقانون الحركة في العالم وهو ما قاله أيضا الشاعر الكبير محمد إقبال في كتابه عن «تجديد الفكر الديني في الإسلام» مطالبا بالاجتهاد كقانون للحركة في الإسلام.

وأخيرًا الخاصية الثالثة وهى أن الإسلام دين شامل يحتاج فيه بعضنا البعض لتبادل الفهم والحوار فالله وحده هو الذي يعلم أما نحن البشر فمعرفتنا محدودة ونسبية فالتغيير ليس قانونا للعلم فقط وإنما للدين أيضا فلا أحد يستحق أن يوصف بأنه مؤمن إلا إذا اكتشف إيمانه كل يوم وأخيرا يبقى للإسلام أنه دين الاجتهاد وروح النقد فلا يوجد به هيئة دينية تقف كواسطة بين العبد وربه بل كل فرد مسئول عن أفعاله وأعماله وبالتالى فالدين دين عام فالله موجود ويمثل وحدة كل المؤمنين وليس وحدة السوق كما تريدها الولايات المتحدة الأمريكية.



- لماذا أصدرت هذا الكتاب الآن بينما كنت قد أصدرت كتابا آخر في عام ١٩٨٢ تحت عنوان فلسطين أرض الرسالات السماوية.
- عندما أصدرت هذا لكتاب عن فلسطين كان ذلك عقب غزو لبنان وجرائم الحروب التي ارتكبها ريل شارون المسئول عن موت ٢٠٠٠٠ ألف قتيل لبناني وكذلك مذابح صبرا وشاتيلا وكان الغرض منها إظهار أن هذا العدوان الدانيء ضد المقارنة الفلسطينية لاحتلال بلدهم وضد شعب لبنان والذي كان من منطق السياسة الصهيونية كما قلنا في ذلك الوقت مع الأب.

وقولنا في مقال نشر في جريدة «لوموند» هذا المقال الذي المعال الذي أدى إلى رفع ثلاث قضايا ضد مدير الجريدة Jacques Fauver

وأنا شخصيا وقد كسبناها جميعا وتم إدانة LICR قادة الصهيونية الفرنسية وحكمت المحكمة بأن النقد الواضح لسياسة دولة الأيديولوجية التي تلهمها (وهنا يقصد الصهيونية) ليس له أي علاقة بالعنصرية مناهضة السامية.

واليوم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي الذي بدأ يدخل في عهد

الرأسمالية وبعد الرغبة الأمريكية في تدمير العراق فإن الخطر الصهيوني يأخذ أبعادا أخرى على مستوى العالم والعلامات الدالة على ذلك عديدة.

ومنذ أن بدأت الحملة الضخمة للوسائل العسكرية ضد العراق عندما لم يتحرك أحد بعد أن احتلت إسرائيل حدود كافة الدول المجاورة لها وقامت بضم مدينة القدس قال أحد الوزراء السابقين لجنرال PEYREFITE في جريدة لوفيجاور ان هناك اثنان من اللوبي دفعت بالولايات المتحدة بالدخول في الحرب:

١ _ اللوبي الصهيوني للقضاء على العراق.

٢ _ لوبي رجال الأعمال لتنشيط الاقتصاد الأمريكي.

إن التواطؤ الأمريكي الصهيوني للإعداد لحرب جديدة ظهر مرة أخرى (وهذا أدى إلى بداية ظهور أفكارى ـ عن الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية عندما حدد شيمون بيريز في شرم الشيخ مشيرا إلى أن إيران هي هدف جديد وهي تلهم الإرهاب العالمي الأمر الذي كان سيبرر عدوانا جديدا على لبنان وتوج

بمذابح قانا وكانت الفكرة التى دارت حولها آرائى عن الدور الجديد للسياسة الإسرائيلية المتعلقة ليس فقط بالشرق الأدنى ولكن أيضا بسياسة السيطرة العالمية للولايات المتحدة، تستند على «الخطبة حول تاريخ العالم» والواردة في المقال المتضمن برنامج صمويل هنتجتو SAMUEL HUNTINGTON عن «صدام الحضارات» (الذي نشر في مجلة -commen العدد رقم ٦٦ الصادر في ربيع عام ١٩٩٤).

كان البنتاجون حتى ذلك الوقت قد أعرب عن الفكرة الخرافية المتفائلة لحلم السيطرة العالمية والذى ظهر فى كتاب -FU المتفائلة لحلم السيطرة التاريخ» الذى كان يفترض أن يخضع العالم بأكمله لأسوأ نظرية تحريرية للسيطرة وهو مذهب وحدانية السوق، إن أطروحة صمويل هنتجتون أكثر دهاءا فهى تظهر العقبات التى تعترض تحقق «هدذا النظام العالمى الجديد»».

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية أي على مدى نصف قرن تقريبا استندت سياسة زيادة التسليح الأمريكية على حجة وهي

التهديد السوفيتي.

كان _ باسم الأمن الأمريكى _ بسرير العدوان فى كافة أنحاء العالم من فيتنام إلى كوريا ومساندة كافة النظم الديكتاتورية العسكرة فى أمريكا اللاتينية وفى الفلبين تحت حكم ماركوس وحماية الأبارتيد فى جنوب إفريقيا السابقة .

بعد انهيار الاتحاد السوفيتى كان لابد من إيجاد بديل ليقوم بدور «الشرير» « وامبراطورية الشر» المطلوب محاربتها على مستوى القارات الثلاثة ، وكان ذلك هو الإسلام الذى كان يعتبر تهديدا عالميا في شكل «الإرهاب» وكان مبررا لاستمرار سباق التسلح وتدعيمه وأعطى فرصة للتدخل الاقتصادى والعسكرى في كافة أنحاء العالم . إن نظريات هنتجتن عن «صدام الحضارات» شكلت الأساس النظرى لهذا الاتجاه الاستراتيجى الجديد.

وكانت النتائج التي توصل إليها واضحة:

إن صدام الحضارات سيسيطر على سياسة الظلم وخطوط الانكسار بين الحضارات ستكون خطوط المواجهة مع

المستقبل..).

· كانت الحروب السابقة تقع في معظمها تدور في داخل الحضارة الغربية أنها كانت «حروب أهلية غربية» على حد قول وليام لند WILIM LIND وقد انطبق ذلك على الحرب الباردة والحربين العالميتن والحروب التي وقعت في الماضي في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر وبانتهاء الحرب الباردة خرجت السياسة الغربية من مرحلة الغرب لتصبح مركز التفاعل بين الحضارة الغربية .

وأظهر بوضوح أن استنتاجات الأثبار المترتبة على تحليل وجهة نظره للسياسة الدولية. هذه الآثار يمكن أن تنقسم إلى منزايا قصيرة المدى وأخرى على المدى البعيد فعلى المدى القصير يبدو أن الغرب من مصلحته أن يطور التعاون والوحدة داخل الحضارة التى يمثلها وبصفة خاصة بين مكوناتها الأوروبية وتلك الموجودة في شمال أمريكا وهي أن تضم إلى الغرب مجتمعات شرق أوروبا وأمريكا اللاتينية التى لها ثقافات قريبة من ثقافة الغرب ومن هذه الآثار أيضا الحد من زيادة القوة

العسكرية للدول ذات النظام الكوفيشيوسى والإسلامى وعدم القضاء على القدرات العسكرية الغربية والاحتفاظ بتفوق عسكرى في الشرق الأقصى وفي جنوب غرب آسيا واستغلال الخلافات والمنازعات بين الدول الكوفيشيوسى والإسلامية ومساندت الحضارات غير الغربية للجماعات الموالية لقيم ومصالح الغرب ودعم المؤسسات الدولية التي تعكس وتبرر المصالح والقيم الغربية وتشجيع مشاركة الدول غير الغربية في هذه المؤسسات.

وعلى المدى البعيد هناك إجراءات أخرى يمكن أن تتخذ، فعلى الغرب أن يحتفظ بالقوة الاقتصادية والعسكرية التي تعتبر ضرورية لحماية مصالحه في علاقاته مع هذه الحضارات، وكل ذلك يظهر بوضوح نوايا الغرب.

ولكن ما هو دور إسرائيل في الجغرافية السياسية المرسومة بهدا الشكل؟ إن إسرائيل تتمتع بوضع استراتيجي حاسم في هذه «المواجهة بين العالمين» إن الأب الروحي لدولة إسرائيل قد رسم لها مهمة رئيسية حتى قبل أن تنشأ فمن أجل «خلق دولة

يهودية "قام بمساعى عديدة لدى القوى الغربية التى كانت استعمارية فى ذلك الوقت وهى إنجلترا وألمانيا وإيطاليا وروسيا كانت حجته الرئيسة التى استند عليها أنه إذا قامت إحدى هذه الدول بحماية هذه «الدولة اليهودية» فستتمتع بميزة على كافة خصومها لأن هذه الدولة ستعتبر بمثابة رأس حربة مغروسة فى المنطقة من أجل تغلغل استعمارى يقول بالضرب. وكتب يقول فى عام ١٩٨٥ فى كتابه «الدولة اليهودية» إننا سنكون بالنسبة لأوروبا متراس ضد آسيا وستكون بمثابة الحصن المتقدم للحضارة ضد البرية (الدولة اليهودية) باريس ١٩٢٦ ص٩٥

"L'Etat saif" Lipschutz, paris 1926 p.95)

وكان أيازنهاور يعتبر الشرق الأوسط في ذلك السوقت «أهم مكان استراتيجي في السعالم.

(cite' par STEVEN SPIEGEL: "THe other arar"

Arab - Israele Conflct")

(Universite' de Chicogo 1985 p.51).

إن إسرائيل تتمتع بثلاث زايا رئيسية:

ا ــ مـوقعها الاستراتيجي على مفترق أوروبا وآســـيا وإفريقيا.

۲ ـ موقعها الاستراتيجي في قلب هذا الجزء من العالم الذي يحتوى على نصف بترول العلم عصب التنمية (بالمعنى الغربي للكلمة).

"— الأسطورة اللاهوتية عن «شعب الله المختار» (والتى تستخدم لتغطية أطماع الغرب عن الموقع الاستراتيجى والموقع الاقتصادى لإسرائيل وتضع تجاوزاتها بكافة أشكالها فوق أى قانون وأى عقوبة بشرية وبصفة خاصة فوق كافة قرارات الجماعة الدولية (على سبيل المثال الـ ١٩٢ إدانة التى اتخذتها الأمم المتحدة ضد سرائيل والتى أوقفها الفيتو الأمريكى لحماية إسرائيل).

١ - الموقع الاستراتيجي

إن فلسطين التي تريد إسرائيل ضمها بالكامل كمرحلة أولى "espace irta" للفتح أسماه هتلسر (المجال الحيسوى) -lary "Lebnsrau" ويعنى به الشرق الأدنى والأوسط من

النيل للفرات بتفتت كافة الدول المجاورة لها وهى لبنان وسوريا والعراق والأردن ومصر ، فلسطين هذه تقع على مفترق الطرق الجغرافية والاستراتيجية لثلاث قارات وهى أوروبا دالجبهة المتقدمة لها وآسيا وأفريقيا.

وأراد القادة الإسرائيليون أن يأخذوا زمام السبق لحسابهم على الأغراض الأمريكية وذلك بالاستيلاء على فناة السويس بالتواطؤ مع إنجلترا وفرنسا، وكانت الذريعة التي استندوا عليها هي تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس.

إن التنسيق العسكرى للعملية تم فى باريس بين موشى ديان وشيمون بيرريز مرن جانب ومن الجانب الفرنسسى الجنسرال شال (وهو أحد رؤساء مؤامرة الجنرالات فى الجزائر (Lan Laire "Moshe Dayan." P156)

وهنا تدخل الأمريكيون والسوفييت الذين أرادوا عدم ترك هذه الفرصة تفوتهم وأوقفوا في اللحظة الأخيرة الغزو الإسرائيلي لقناة السويس.

ولم يكن ذلك بالنسبة لإسرائيل إلا تأجيلا للعملية.

لقد كانت القناة هى الممر الإجبارى الذى يربط بين المحيط الهندى وجنوب غرب آسيا ومن ثم فقد كانت مرمى لأطماع إسرائيل وأولها أن تتمركز فى خليج العقبة الذى ينفتح على البحر الأحمر بشرط أن يظل مضيق تيران فى أيديها.

هنا كان يمكن بدء مرحلة جديدة لتوسع إسرائيلى بمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية وكان الترابط المالى والسياسى بين إسرائيل والولايات المتحدة قد بدأ في عام ١٩٤٨ في عهد الرئيس ترومان تحت اسم النقطة الرابعة لبرنامج المعونة فقد حصلت إسرائيل وحدها في ما بين عامى ١٩٤٨ و ١٩٥٢ على نفس ما حصلت عليه خمس دول من بلدان المشرق العربى وهي مصر ولبنان و الأردن وسوريا والعراق التي يتعدى عدد سكانها ٢٠ ضعف عدد سكان إسرائيل.

أما فيما يتعلق بالتعاون العسكرى الذى بدأ في عام ١٩٦١ فقد اتسع بشكل ضخم بعد كامب ديفيد فقد نص بروتوكول التفاهم الاستراتيجي الذي وقع في واشنطن في ٣٠ نوفمبر ١٩٨١ على أن يقوم ريجان بتوريد أسلحة لإسرائيل بكميات أكبر من المنصوص عليها في الاتفاقيات السابقة وبصفة خاصة ٧٥ طائرة جديدة إف ١٦ وذلك قبل غزو لبنان ببضعة أيام حيث إنه بعد الجلاء عن صحراء سيناء بستة أسابيع كان غزو لبنان قد بدأ وهكذا بدأ مشروع إسرائيل الكبرى يتحقق وإنشاء امبراطورية حقيقية في الشرق الأوسط التي نادى بها آريل شارون في ديسمبر ١٩٨١ إذ قال: ((خلال السنوات القادمة سوف تتسع دائرة المصالح الاستراتيجية لإسرائيل لتشمل ليس فقط البلاد العربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ولكن الشرق الأدنى بأكمله ولابد أن تمتد حتى إيران وباكستان والخليج وإفريقيا وتركيا)).

ومثلما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية عندما طردت الهنود دون أن تضع حدودا لتوسعها هكذا فعل موشى ديان فى عام ١٩٨٢ عندما قال (فالنأخذ مثلا إعلان الاستقلال الأمريكي أنه لا يشتمل على أى إشارة للحدود الإقليمية ، إننا لسنا ملزمين بوضع حدود للدولة) (صحيفة جيروزاليم بوست الصادرة فى ١٠ أغسطس ٦٧ الصادرة فى ١٠ أغسطس ٦٧.

بقى بعـــد ذلك ذبح الفلسطينين المـــوجــودين في المعسكرات.

وقد تم ذلك في مذابح صبرا وشاتيلا المحاصرة بالجيوش الإسرائيلية حتى يتمكن القتلة الفاشيون التابعون HOBEIKA من إنجاز مهمتهم وقد حاول تقرير لجنة كاهان» أن يطمس معالم السياسة الإسرائيلية بدعوى أن الفصل من الخطأ في المنطقة الواقعة وزعم التقرير أن التصفية الجسدية للفلسطينين حدثت (بالخطأ) في حين أنها كانت مبرمجة منذ سنوات من قبل القادة الإسرائيليين ومعاونيهم الفاشيين فقد استطاع بفضل هذه العملية مجرمو الحرب ومرتكبو الجرائم ضد الإنسانية مثل أربيل شارون ورفائيل إيتان من الاستمرار في مراكزهم السياسية المتألقة، إيتان بصفته حامل لـواء نتنياهو في عام ١٩٩٦ وإريا شارون في منصب كبير الوزراء في حكومته يجرى كل هذا تحت الحماية غير المشروطة للولايات المتحدة الأمريكية التي تستخدم حق الفيتو في مواجهة أي قرار عقوبة يصدر ضدها بل وتمدها باسلحة ارتكاب الجريمة فمن بين الـ٥٦٧ طائرة التي

كانت تملكها إسرائيل عشية غزو لبنان كانت ٤٥٧ منها، واردة من الولايات المتحدة الأمريكية مدعمة بالمنح والقروض الرأسمالية من واشنطن . إن سياسة التسليح الزائدة هذه متوجة بترسانة نووية تجعل إسرائيل تضع نفسها فوق كل شريعة دولية وفي ٢٩ يونية ١٩٧٥ كتبت صحيفة «هاارتز» HAARETZ الإسرائيلية مقالا بقلم SHLOMO AHARONSON جاء فيه: _

إن السلاح النووى هو أحد الوسائل التى تستطيع أن تقضى على الآمال العربية فى تحقيق نصرا نهائا على إسرائيل ... فيكفى عدد من القنابل النووية لتسبب خسائر ضخمة فى جميع العواصم العربية وتؤدى إلى انهيار سد أسوان وأن كمية إضافية منها ستمكننا من الوصول إلى المدن المتوسطة وإلى المنشات البترولية ... ويوجد فى العالم العربى مئات من الأهداف التى سيؤدى تدميرها إلى حرمان العرب من المنزيا التى اكتسبوها خلال حرب عيد الغفران ... إن شركات جنوب إفريقيا تستخدم إسرائيل لإفشال العقوبات الاقتصادية المفروضة من جانب بقية العالم ، كما أن الاتفاق بين إسرائيل والجماعة الأوروبية

المشتركة سمح لها بإدخال منتجاتها في بلدان السوق المشتركة ولكن بالإضافة إلى كافة العلاقات الأخرى فإن التفاهم الرئيسي الموجود بين البلدين قائم على المستوى العسكرى.

"SULZBERGER" New - yore ۱۹۷۷ أبــريل ۳۰) Times"

وقد أرسل رئيس الكونجرس اليهودى الأمريكى رسالة إلى السكرتير العام للأمم المتحدة في عام ١٩٧٦ قال فيها إنه الاحظ بأسف شديد إن إسرائيل مذكورة ضمن الدول التى تورد أسلحة لجنوب إفريقيا (١٩٧١/١١/١٩٧٩)

إن عملية التبادل الرئيسية بالنسبة لجنوب إفريقيا هى اليورانيوم الموجودة لديها والذى تطمع فيه إسرائيل بصفة خاصة والتى كانت تمتلك منذ ١٩٧٦ ترسانة بها ما بين ثلاثة عشر وعشرين قنبلة من طراز قنابل هيروشيما.

عدد نوفمبر -BRIAN BECKEJT" Middie East Interna "tional

وهكذا نستطيع أن نفهم كيف أمكن لدولة إسرائيل الصهيونية

أن تأخذ مثل هـذه الأهمية في الاستراتيجية العلمية بحيث إنها أصبحت تهدد اليوم السلام العالمي.

إن دولة إسرائيل ليست فقط مسئولة عن حماية الاستعمار الجماعي للغرب تحت الهيمنة الأمريكية فحسب بل وإنها أصبحت بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية جزءا رئيسا في علاقات القوى على الساحة الكونية متعدية بذلك نطاق الشرق الأوسط.

إن دور إسرائيل في تقديم الأسلحة والمتشاورين للدكتاتوريات العسكرية في أمريكا اللاتينية يعتبر دورا ذا اهمية قصوى بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وسردت صحيفة هاولام هاز الإسرائيلية في عدد ٢٢ ديسمبر١٩٨ أثناء زيارة وزير الخارجية الإسرائيلي لزعماء الارنجنتين لمدهم بالمستشارين العسكريين وتجار الأسلحة وخبراء فنيين لمساعدتهم في مكافحة حرب العصابات وحدث نفسس الشيء في جواتيمالا والسلفادور حيث تم قتل خمسة آلاف هندى في عام ١٩٨٢ (صحيفة «الإيكونومست») ١٣ نوفمبر

۱۹۸۲ فبرایر.

جندى حماية البترول في الشرق الاوسط

تلعب إسرائيل في هذه السياسة العالمية دورا مميزا كجندي لحماية حقول البترول في الشرق الأوسط.

إن إسرائيل مكلفة بهذه المهمة وذلك بعد سقوط شاه إيران الذى كان يعمل لحساب الولايات المتحدة الأمريكية ويقوم بمراقبة الخليج الفارسى وبصفة خاصة مضيق هرمز الذى يمر من خلاله نصف بترول العالم.

لذلك في إطار حلمها في التوسع لتحقيق إسرائيل الكبرى «الذي يتوافق مع أغراض الولايات المتحدة في المنطقة الأمريكية في المنطقة فإن دور إسرائيل يتركز في التمهيد للعدوان على دولة إيران الجديدة بتكليفها بالمهمة الشيطانية ووصفها بأنها المحرك السري الرئيسي «للإرهاب العالمي »ويتم ذلك بفضل سيطرتها على وسائل الإعلام العالمية .

عندما اجتمع قادة الإرهاب الدولى العالمى فى شرم الشيخ فى الآونة الأخيرة حدد شيمون بيريز الذى كان رئيسا لوزراء

إسرائيل فى ذلك الوقت الهدف الجديد وهو أن إيران هى مصدر الإرهاب بكافة أشكاله فى العالم بدون أن يقدم أى دليل على ذلك.

فى الواقع ومنذ عهد هتار فإن كل مقاومة لأى احتلال أجنبى تعتبر إرهابا فعندما يقوم أحد المقاومون اللبنانيون وسواء كان من تلاميذ الخومينى أم لا بإطلاق الرصاص على جندى إسرائيلى من جيش الاحتلال يعتبر ذلك إرهابا يتم عن قصد ضرب المدنيين اللاجئين فى أحد معسكرات الأمم المتحدة القنابل الإسرائيلية اعتبر ذلك كفاح ضد الإرهاب هذا هو منطق إرهاب الدولة مثلما فعل هتلر عندما قتل أربعين من رجال المقاومة فى شاتوبريلون فعل مترو باريس Barbes أو عندما اعتقدت الولايات المتحدة الأمريكية أن أمنها مهددا على بعد عشرة آلاف كيلو متر من حدودها وضربت بالقنابل مئات الألوف من الأرواح البشرية التى حدودها وضربت بالقنابل مئات الألوف من الأرواح البشرية التى تفحمت فى الأحراش أو بين المزارع التى احترقت.

إن إسرائيل تدافع بهذا الشكل عن «أمن» حدودها وذلك

باحتىلال حدود جيرانها جميعا من فلسطين إلى لبنان ومن الجولان إلى القدس.

ومن المؤسف أن تسمع القادة الإسرائيليين يرددون باستمرار عبارة أمن بلادهم في الوقت الذي يتعدون فيه على أمن جيرانهم ليس باحتلال حدودهم فحسب ولكن لجعل إرهاب الدولة يختم عليها.

«حسب إحصائيات وزير الداخلية الإسرائيلي يوسف بورج فقد قتل عشرة من اليهود في عام ١٩٨٠ على أيدى إرهابيين و٨ في عام ١٩٨٦ مئات السكان في عام ١٩٨١ مئات السكان في الدول «العدوه» وهكذا فأمام مقتل ١٨ يهوديا انتقمنا بقتل آلاف من غير اليهود وبذلك حققنا نتيجة باهرة تدلل على انتصارات الصهيونية وأستطيع أن أقول إنها نتيجة مذهلة (صحيفة إسرائيلية Migvam عدد نوفمبر ١٩٨٢).

إن أمن إسرائيل ومحاربة الإرهاب يقتضيان وكذلك السيطرة على البترول. إن التحكم في ملكية البترول يشغل بال الغرب بصفة مستمرة فمنذ عام ١٩٥٨ أي قبل التأميم الذي قام به

القائد عبد الكريم قاسم حصل الغرب على امتيازات بترولية تلك الامتيازات التى غطت ٩٤٪ من أراضى الدولة كتب وزير الخارجية البريطانى سلفين لويد لرئيس وزرائه قائلا إنه يرى احتمالين بالنسبة للكويت حيث ظهر البترول في عام ١٩٤٦: «أما احتلال بريطانى قوى» أو إقامة «دولة كويتية على غرار سويسرا».

وأضاف أن المصالح الرئيسية للإنجليز والغرب في الخليج الفارسي هي:

ا ـ ضمان الوصول إلى البترول الذى تنتجه الدول الواقعة على ضفاف الخليج الفارسى بواسطة إنجلترا والدول الغربية الأخرى؟ ب ـ ضمان توافر هذا البترول طبقًا لاتفاقيات مناسبة (بالجنية الاسترليني) والحفاظ على الترتيبات المقبولة لاستثمار. فائض العائد الذي يتوافر في الكويت.

هذه المتطلبات البريطانية وضرورة وجود مصدر مضمون للبترول يضمن بقاء اقتصاد أوربا الغربية يعطى برهانا إضافيا للولايات المتحدة الأمريكية لتساند الإنجليز باستعمال القوة إذا

لــزم الأمر حتى تحتفظ بسيطرتها على الكــويت والخليج الفارسي .

عندما أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية قوتها إلى السعودية في أغسطس ١٩٩٠ قالت «صحيفة Jouenal في عددها الصادر في ٣١ أغسطس ١٩٨٩».

إن الولايات المتحدة الأمريكية لا ترسل قواتها إلى منطقة الخليج لمساعدة السعودية على مواجهة العدوان فقط ولكن أيضا لتساند دول الأوبك التى تستطيع خدمة مصالح واشنطن بصورة أفضل.

لقد أردت الولايات المتحدة بذلك أن تقوم «نموذجا» ليعرف العالم الثالث بأكمله لتثبت له أنه ليس مسموحا لأى شعب أن يرتفع إلى أعلى مستوى فنى و إلا وقع فريسة للتدمير كما أنه ليس مسموحا له باستغلال ثرواته الوطنية «فى هذه الحالة البترول بدون الخضوع لمراقبة الأسعار لمعرفة القوة الكبرى كما أنها لا تستطيع أن تبتعد عن الدين الذى الغذاء والعناية الصحية السيئة ذلك ما جاء فى تقرير الصليب الأحمر.



إن المنطقة المذكورة في التوراة عن إسرائيل الكبرى بمساندة واشنطن المطلقة قد تكون مفجرا لحرب عالمية ثالثة أو على حد تعتبر Huntington أول حرب حضارية سوف نكتفى بذكر مجموعتين من الملاحظات:

النيل إلى الفرات هو أساس قائم على قراءة متطرفة للتوراة أى النيل إلى الفرات هو أساس قائم على قراءة متطرفة للتوراة أى قراءة حرفية تحول الأقوال والأمثال العظيمة التى قالها الإباء الكهنة والحرسل لتجعل منها تاريخ قومى بل وحتى قبلى إن هذا المطلب هو يدعه تدعم السياسة الصهيونية وهى تؤدى إلى المفارقة التالية: حسب تقديرات إحصائيات الحكومة الإسرائيلية 10 / فقط من الإسرائيليين متدينين وبالرغم من ذلك فإنها تحاول أن تجعل الغالبية العظمى من الشعب يؤمن بأن هذه الأرض ملكا له لأن الله قد وعده بها ... هذا الإله لا يومن به العرب إن بن جوريون الكافر هو الذى أطلق الشعار المذكور في التوراة بقيان «مملكة داود الثالثة».

أعلن موشى ديان عام ١٩٨٢ قائلا إذا كنا نملك التوراة وإذا

كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فلا بدأن نمتلك أيضا الأراضى المذكورة في التوراة ، أرض القضاة والإباء الكهنة صحيفة.

"Jerusalem - Post" الصادرة في ١٠ أغسطس ١٩٦٧.

في عام ١٩٧٤ ، أشاد مناحم باراشن في صحيفة Yediot النحالا المحاحام موشى ديان الذي استعان بالنصوص الواردة في التوراة لتبرير الموقف الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين قائلا عنه «هذا الطاعون الذي أدانته التوراة ... والذي جاء ليأخذ منا أرض الميعاد الذي وعد بها الله إبراهيم ... علينا أن نحذر حد يشوع للاستيلاء على أرض إسرائيل لنستقر فيها كما أمرتنا التوراة ... لا مكان على هذه الأرض لشعوب أخرى خلاف شعب إسرائيل وهذا يعنى أنه يتحتم علينا أن نطرد الذي يعيشون عليها التوراة « وكتب الحاخام رابين اليعازر فالدمان من جوسن أموينم

"Rabbin Elazar Valdman du "Giush Emounim" بعــد ذلك بشهـرين في صحيفــة "Nekurah"يقول عن

مستعمرات الضفة الغربية.

الواجب علينا بالطبع أن نعيد النظام في الشرق الأوسط أو في العالم إذا لم نتحمل هذه المسئولية فسنكون مخطئين ليس فقط أمام أنفسنا ولكن أمام العالم إن جميع القادة الغربيون هم شخصيات ضعيفة (عن صحيفة Davar في ٨ أكتوبر ١٩٨٢) ندد يهود ماير Yehuda Ben Meir أحد مؤسس الحركة بنتائج تلك السياسة قائلا: «حسب جوشن أمونيم

Gush Emounim علينا أن نستولى ليس فقط على سوريا وتركيا ولكن يجب أن يصبح دم أبنائنا حاميا للعالم بأكمله».

فى عام ١٩٩٥ صرح الحاخام Rabbin Aviner العناصر المؤثرة فى R.O) قائلا: ان اى جنحة ترتكب ضد اى جندى يهودى أخطر بكثير من ارتكاب نفس الجنحة ضد شخص غير يهودى هذه هى تعاليم التوراة ... وفى وقت الحرب يوصى بقتل جميع من هم غير يهود الموجودين فى معسكر الأعداء بما فى ذلك النساء والأطفال هذا هو مبدأ الحرب الشاملة ... فإذا ما شعر أحد اليهود بالرأفة تجاه عدوه فيدفع بقية اليهود ثمن ذلك بحياتهم «هاارتز ٢٤ مارس ١٩٩٥».

وذكر نفس المقال أنه أثناء مراسم دفن Hoss (مساعد الحاخام الشهر Levinger الذي كان من الخليل والذي قتل على أيدى الفلسطينيين) تم وضع التابوت بجانب قبر جولد ستين Goldstein السفاح الذي قام بقتل العرب وهم يؤدون الصلاة) قبل ترتيل المزمور 194 (الرب آلة الانتقام) وسأل أحد الصحفيين من صحيفة جيروزاليم بوست - Jerusalem عن سبب هذه الحركة أجابه وائلا: «ربما يوقظ ذلك روح الانتقام لدى اليهود».

إن الاستخدام الدموى هذا النصوص التوراة لتبرير السياسة الأثيمة على أساس دينى ولكن على قراءة متطرفة التى أصبحت احتيال عنصرى دموى.

إن التوراة الكتاب المقدّس أروع تذكر بواسطة الأمثال لتدخل الله ففى حياة البشر مصدره مثل جميع الملاحم العظام منقول عن التقاليد الشفوية الشعبية، وتحولت لتصبح ملحمة واحدة دونها كتاب مجهولون أو نسبت إلى شاعر أسطورى (هورمبروسي وفالميكي إلخ ...).

. Homer, Valmiki etc مثل الإلياذا اليونانية والرامايانيا التي كتبها الهندوسي.

عندما كان المحررون يقومون بوضع الصياغة النهائية للتوراة بعد العودة من المنفى في القرن الخامس تقريبا أرادوا أن يروا في إقامة مملكة داود تحقيقا للوعود الإلهية إذ إن كل شيء يتم تغطيته استنادا على النبوءات العظيمة التي سجلت مراحل تجسد ابن الإنسان في التضحية العظمى لها قيم رفيعة مطلقة لا تقاس بالأفكار المنطقية الصغيرة والعبر الأخلاقية التي صنعت تاريخنا هذه القيم متمثلة في الوعد «بالخلاص على الأرض الأرض الخصبة ، حسب الوعد) وخلاص الروح (هو المتمثل في التحرير من كافة أشكال العبودية التي عاني منها الشعب اليهودي أثناء «الهجرة الجماعية» عنم هروبه من بطن الفراعنة المذكورين في كتب التاريخ والوعد الإلهي بتحقيق النصر للذين يحملون الرسالة الإلهية كل ذلك وارد على لسان القبائل البدائية الذين تحدثوا بلغتهم البربرية عن الفتح الأسطوري لبلاد كنعان على يد يشوع وأخيرا الوعد بملكوت المسيح حيث يكون

الله هو الكل في الكل.

هـذا هـو المعنى الإلهى للمغامرة الإنسانية. عندما يقر بواسطة أشخاص يدركون أن الله تعالى لا يقارن بهم لا يكلمهم سوى بامشال كما أنهم لا يستطيعون أن يذكروه إلا كناية وعمله هو لغة الملاحم.

غير أن التشدد هو على عكس ذلك قراءة حرفية للرموز ليجعل من الأسطورة أداة لتبرير التاريخ الذى ليس هو خطوات عظمة الإنسان وإدراكه للمعنى السامى لله والحياة ولكنه تكرار للعديد من المعارك الدامية المتكررة ضد أناس آخرين يعبر من خلالها الشاعر الملحمى القبلى عن الانتصارات الإلهية فى قلب الإنسان.

إن الحفريات تظهر لنا الطابع الأسطورى البحث للبطولات المنسوبة ليشوع: إن أسوار أريحا لم تكن موجودة منذ بعيد عندما زعم أنها انهارت على أصوات البوق إن مدينة لم تكن موجودة عندما زعم أنه استولى عليها Voir Pere de Vaux موجودة عندما زعم أنه استولى عليها HISTOIRE ANCIENNE D'EGYPTE T.I.P.366).

وعين عبور البحر الأحمر الذى ورد فى سفر الخروج عندما قال إن مئات آلالاف من المهاجرين عبروا سيرا على الأقدام البحر الجاف فى حين دفن فيه جيش المصريين الضخم بعرباتهم وفراعنتهم، هذه القصة ليس لها أى ذكر فى أرشيف المصريين.

(VOIRE PERE DES VAUX HISTOIRE ANCIENNE D'EGYPTE T.I.P.366).

فى حين أن مؤرخيهم تركوا تقارير عن حراسة الحدود ذكرت مرور أى متسول.

من الغريب ، منطقيا أن يتقبل المسيحون هذه القراءت المتشددة التلمودية والصهيونية للتوراة كما أنه خطر من الناحية السياسية فالصهيونية ما هي إلا البدعة المتشددة العظمى التي عبرت الرسالة الإلهة بإعطائها هذا التبرر الأيديولوجي لقومية عدوانية وبدل إله إسرائيل هذه البدعة التي أطلقها هرتزل.

نددها الحاخامات اليهود المخلصين لإيمان أنبيائهم ومن بين أمثلة أخرى عديدة الحاخام موشى مانوحين Moshe Menufim والد الموسيقى الشهير Menufim والد الموسيقى الشهير The Decance of Judsm أظهر فيه أن أسماه: انهيار اليهود مقد الانهيار نفسه القومية الهيونية وكان العنوان الأصلى لكتابه هذا القومية اليهودية: جريمة ولعنة تاريخية مهولة.

"Le Nationalisme Jisme Juif: un crime et une malediction historique monstrueus"

وأكد أنه على عكس شمولية الأنبياء اليهود فإن التفسير القبلى والقومى لتحالف واسم الشعب المختار الذى وضعه أولئك الذين أسماهم بالبريد القبليين مثل بن جوريون وموشى ديان وشيمون بيريز: والعصابة العسكرية بأكملها التى أحتاجت إسرائيل والذين جعلوا من للوكالة اليهودية والمنظمات الصيهونية في العالم أجمع أجهزة تابعة لحكومة إسرائيل ص٠٥٥ و ٤٢٩ و ٤٥٧ لها نفس الأيديولوجية العنصرية الموجودة لدى المناهضين للسامية (ص٨٠٨).

وأضاف قائلا: اليوم تشعر الشعوب بالاشمئزاز من عبارات الجنس المتفوق والشعوب المختارة وعبء الرجل الأبيض والأحلاف مع الله وأرض المبوعد كل تلك الادعاءات أصبحت اليوم مستهلكة بسبب ما ترتكبه ضد الشعوب الأضعف (ص٤٤٢) لم يعد لهم سوى إله واحد وهر مجال الحيوى (Lebensraum) والوطنية المتطرفة (ص٤٩٦) إن هذه الفكرة المحددة لدى الصهيونية هي أسوأ عدو لإسرائيل فسوف تقودها إلى الهزيمة مثل كافة الامبراطوريات التي أسست على هذه الأيديولوجية من نابليون حتى هتلر.

ليس هناك مستقبل إلا لإسرائيل مجردة من الصهيونية.

نفس الشيء ينطبق على استغلال المفاهيم «التاريخة فقد كتب البروفيسور ليبوفيتس Leidowitz Leibowitz الذي كان أحد قادة (الانسيلكوبيديا اليهودية) في كتابه إسرائيل واليهودية» ونشر اللغة الفرنسية عام ١٩٩٣ قبل وفاته بقليل ص١١٨).

عندما ترفع الأمة (الجنس بلغة النازية) ونفوذ الدولة إلى القيم لن يبقى هنا أى رادع يقف أمام الأعمال التي يرتكبها البشر لقد انتشرت هذه الفعلية وصلت إلى بلادنا فإننا نسلك الآن في الأراضى المحتلة الواقعة على الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع

غزة، ولبنان مثلما كان يسلك النازيون في الأراضي المحتلة من قبل تشيكوسلوفاكيا والغرب (ص٠١٢).

وقدم الأسباب التالية أن أمريكا تضع في جيبها نظامنا الفاسد... إن الانهيار يمكن أن يحدث في ليلة واحدة: نتيجة للغباء المذنب الذي جعل بقائنا بأكمله متوقف على المعونة الاقتصادية الأمريكية ... إن كل اهتمام الأمريكيين منصب على فكرة واحدة وهي أن يحتفظوا بجيش من المرتزقة الأمريكيين في هذه البقعة يرتدون زي Tsahal بحيث يستطيعون استخدامه حسب رغبتهم عندما تحين الساعة في أي ظروف الأمر لم يتضح بعد ولكن قد يكون ذلك ضد السعودية إذا ما نشبت ثورة هناك أو ضد سوريا.

لقد وصلنا إلى درجة لا مثيل لها فى الواقع السياسى فى العالم الغربى الذى ننتمى له (ص٤٥٢) واليوم تطبق حكومة نتنياهو بقسوة أرشد نفسى السياسة التى كان يطبقها شيمون بيريز بحب أكبر قال جون جاك روسو فى كتابه عن -Profes بيريز بحب أكبر قال جون جاك روسو فى كتابه عن -sion de foi du Vicaire savoyard

إلاهكم ليس هو إلاهنا إن الإله الذي يختار لنفسه شعبا واحدا وأنكر بقية الجنس البشري ليس هو الأب المشترك لجميع الناس.

وبما أن أخطار الحرب معروفة فما هى الخطوط العريقة لسياسة الدفاع عن السلام؟ إن العدو الرئيسى هو الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها إسرائيل وعند هذه النقطة الحساسة للمواجهة لابد منة بذل جهود متضافرة من قبل شعوب العالم الثالث وأوروبا التي كانت مستعمرة في الماضى ولكنها اليوم مهددة بأنها ستصبح بدورها تابعة ومستعمرة بسبب اتفاقيات ما سترنجت وضغوط حلف الأطلنطي ومنظمه التجارة العالمية (ألجات سابقا) وهي السلطة المدنية للدين الذي ينادي بوحدانية السوق أي عبودية المال.

بالنسبة للعالم الثالث وبالنسبة لأوروبا الحل هو القطيعة مع (السوق العالمي الذي يضمن تحقيق الهيمنة الأمريكية.



● هناك بديل محتمل نود أن نقترحه للقرن الواحد والعشرين: إن هذا القرن يسجل نهاية عصر ما قبل التاريخ الحيواني للإنسان حيث كان ثراء أقلية ضئيلة في علم ضعيف يؤدى إلى بقية تبعية واستغلال وموت الغالبية العظمى للجنس البشرى.

١ ــ إن نهضة الوحدة البشرية لا يمكن أن يتحقق وقوة السلاح ولكن بتضافر القوى البشرية الحقيقية الاقتصاد والثقافة والإيمان.

٢ ـ إن ضعف الشعوب المقهورة في الوقت الحاضر على استمرارها فالمهمة الأولى إذن هي وضع حد لكافة الصراعات التي يعنيها الطغاه وذلك بالمفاوضات السليمة.

٣ ـ إننا نرفض بصورة جماعية، تسديد الديون المزعومة لصندوق النقد الدولي.

_ إننا نرفض إذن أن نكون فريسة للابتزاز وأن نسدد لصندوق النقد الدولى هذه الديون الخاطئة والفوائد الربوية المرتبطة بها.

_ ونرفض أيضا المساعدات الزهيدة التي تهدف إلى تغطية هذا الظلم الذي رجع إلى مئات السنين.

_عندما نقوم بإلغاء الدين وفوائده سنكون صندوق تضامن بحيث يعوض بنسبة كبيرة المساعدة المزعومة التي كان مستغلينا يقدمونها لنا.

٤ _ إننا نعارض كافة أشكال «الخطر» الذي يفرضه أسياد العالم «الموقتين بصورة تعسفية على الدول التي ترفض سيطرتهم.

لن نعد بعد ذلك تولى أى اعتبار لهم وسوف نبدأ العمل بحرية مع أشقائنا الذين يلاقون نفس ألوان المعاناة.

٥ _ بصفة عامة ، نقرر إنشاء «سوق مشترك لشعوبنا ونضاعف التبادل بين الجنوب وبين بلادنا التي تمتلك ٨٠٪ من الثروات الطبيعية الموجودة في العالم.

_ سوف نقوم بهذا التبادل على أساس المقايضة حتى لا نضطر إلى المرور عن طريق العملات الاجنبية لدول الشمال وبصفة خاصة الدولار ونحرص على القضاء تدريجيا على

المضاربة بحيث تختفي تماما من بلادنا لحين إيجاد عملة موحدة لنا.

٦ ـ نريد القضاء على أشكال الهيمنة الاقتصادية وكذلك
 على عدوانهم الثقافي .

_ سوف نحارب أيضا الثقافية المعادية القادمة إلينا من هوليود وسنحارب أسلحتهم وكافة المظاهر المعنوية والمادية الدالة على انحطاطهم.

٧ ـ وهذ يقتضى ـ على المستوى السياسى ـ الانسحاب الجماعى لكافة المؤسسات التى تدعى العالمية والتى أصبحت أدوات لسيطرة فرد واحد وتستخدم لتغطية عمليات العدوان العسكرية والاقتصادية والثقافية من هذه المسؤسسات: الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولى والبنك الدولى ومنظمة التجارة العالمية (ألجات سابقا) وجميع توابعها التى أصبحت مثلها شريكة في مؤامرة فرض سيطرة استعمارية على العالم وفي مفهوم يقلل من شأن الإنسان الذي يعتبر كمستهلك ومنتج فحسب تحركه مصلحته الفردية ويرفض إعطاء أي اتجاه آخر

لحياته خلاف العمل كعبد ليستهلك أكثر عندما لا يكون عاطل و مستعمر أو مطرود .

۸ ــ إن أنواع التهديد أو العدوان التي قد ترتكب ضد أي واحد منا سوف تحارب بكافة الوسائل من قبل جماعتنا العالمية بأكملها.

٩ - إن هـذه الجماعة العالمية التى تهدف إلى خلق عالم يكون له وجه إنسانى لن يشتمل على أى طرد سوءا كانت دينية أو سياسية لأن هدفها هو خلق وحدة سيمفونية وليست امبراطورية للبشرية حيث يقدم لها كل شعب وكل جماعة الثروات المأخوذة من أرضه ومن ثقافته ومن إيمانه.

وتكون هذه الجماعة مفتوحة أمام الدول الرسمية التى تشاركها مثلنا العليا وكذلك أمام الأقليات المقهورة بشرط أن تحقق هذه الأقليات داخل كل بلد وحدتها على أساس مبادئنا المشتركة.

كان هدف قمة باندونج الأولى هو رفض الانحياز وراء أى كتلة من الكتلتين في عالم ثنائي الأقطاب وذلك للحفاظ على

استقلالها ومثلنا الأعلى ما زال كما هو إلا أن الظروف التاريخية قد تغييرت فنحن نعيش في عالم له قطب واحد وعلينا أن ندافع عن هو يتنا لأولئك الذين يزعمون فرض السيطرة العالمة عن طريق لعبة وحدانية السوق التي تعنى إعطاء «حرية» للذين هم أقوى حتى يفترسوا الأضعف وذلك يجعل السوق أي مال المنظمة الوحيد للعلاقات الاجتماعية.

إننا نرفض هذه الرؤيا لعالم ليس له إنسان وحياة بدون هدف إنساني أو أي معنى بل إننا نتحد لبناء عالم «واحد ثرى بتنوعه وواثق في مستقبله بفضل تضافر الشعوب والثقافات في أمان مشترك تغذيه التجربة النابعة من ثقافة كل فرد وبدافع من دفع مشترك وهو إعطاء كل طفل وكل امرأة وكل رجل أيًّا كان أصله وتقاليده الوسائل التي تمكنه من بذل كل الإمكانيات البشرية التي يحملها في داخله .



جاء روجیه جارودی إلی القاهرة والتقی بالمثقفین والمفکرین وفتح عقله وقلبه وبصدق واضح، وحرارة تبعث الدفء فی القلوب. وبمنطق لا یخطیء وبحضور طاغ تحدث فی أمور کثیرة، لقد تقابلت وتحدثت فی حیاتی إلی أساتذة کبار فی مصر وخارج مصر وکنت محظوظا أن عرفت قمما کثیرة فی الفلسفة والاقتصاد والسیاسة والثقافة، وأشهد أن جارودی طراز فرید. من هذه القمم فهو قد عرف کل شیء وأحاط بکل صغیرة وکبیرة وفی کل أمر یتحدث فیه ورغم أنه قدیر فی مخاطبة الجماهیر إلا أن النزعة الأکادیمیة لا تفارقه فهو دائم الاستشهاد، یستند دائما إلی أفعال وقعت أو أقوال ترددت ربما منذ أشهر وربما منذ سنوات، وفی أحیان أخری منذ قرون طویلة.

وكما كان روجيه جارودى أول من تنبأ بانهيار الاتحاد السوفيتى بعد أن كان نجما لامعا فى الحزب الشيوعى الفرنسى . كان جارودى أول فيلسوف أوروبى يقف فى مواجهة الصهيونية العالمية ، يحاربها وتحاربه ويلقى فى وطنه جميع

ألوان العسف والظلم ، ولكن قناعته لا تلين وعزيمته لا تتأثر و إرادته لا يفلها شيء.

تحدث جارودى عن إسرائيل فقد مها عارية لا تسترها أساطير ولا ادعاءات ولا أكاذيب، كما تحدث عن الولايات المتحدة الأمريكية فقال إن جوهر السياسة الأمريكية هو إيجاد عدو تحاربه وترهب به الآخرين ويكون حجتها في التسلح، فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية وعلى مدى نصف قرن من الزمان كان العدو الرئيسي الذي يحرك السياسة الأمريكية هو التهديد السوفيتي.

وكان باسم الأمن الأمريكي تعتدى أمريكا على أي دولة وأي شعب في العالم، فمن فيتنام إلى كوريا ومن أمريكا اللاتينية إلى إفريقيا، كانت الولايات المتحدة دائما السند القوى للنظم الدكتاتورية في جميع أرجاء العالم كانت تحمى شاه إيران والدكتاتوريين الصغار في أمريكا اللاتينية كما تحمى ماركوس في الفلبين وتحمى التفرقة العنصرية في جنوب إفريقيا.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى كان لا بد من إيجاد بديل ليقوم بدور (امبراطورية الشر) التى تجب محاربتها على مستوى القارات الثلاث. وكان هذا العدو الجديد هو الإسلام الذى صورته أمريكا أمام العالم مرتبطا بالإرهاب وكان هذا الإرهاب أو الإسلام فى نظر أمريكا هو المبرر للاستمرار فى سباق التسلح كما كان فرصة للتدخل العسكرى والاقتصادى فى جميع أنحاء العالم.

كانت الحروب الكبرى السابقة مثل الحرب العالمية الأولى والثانية، ومثل حروب القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر جميعها تقع بين أقطار أوروبية، كانت أوروبا تحارب أوروبا حتى في الحرب الباردة كانت بين دول أوروبية وبعد انتهاء هذه الحرب خرجت السياسة الغربية من مرحلة الغرب لتصبح مركز التفاعل بين الحضارة الغربية والحضارة غير الغربية، وبدأ الغرب يطور صور التعاون والوحدة داخل العربية، وبدأ الغرب يطور صور التعاون والوحدة داخل الحضارة التي يمثلها خاصة بين مكوناتها الأوروبية وتلك التي تقع في شمال أمريكا ثم تضم إلى الغرب مجتمعات شرق

أوروبا وأمريكا اللاتينية، التى لها ثقافات قريبة من الثقافة الغربية وكان من أول أهداف هذا التكوين الحد من زيادة القوة العسكرية للدول ذات الحضارات الأخرى ابتداء من الكونفوشيسية حتى الإسلام، وعلى العرب أن يحتفظوا بالقوة الاقتصادية والعسكرية التى تعتبر ضرورية لحماية مصالحهم في مواجهة هذه الحضارات.

وكانت ركيزة هذه الحضارة الغربية في منطقة الشرق الأوسط هي إسرائيل فهذه الدولة خلقت في هذه المنطقة من العالم لتكون قلعة وحصنا متقدما للحضارة الغربية ضد البربرية. وهذا هو قول هرتزل أبو الصهيونية العالمية وأول من نادى بالدولة اليهودية ونشر هذا في كتابه بعنوان (الدولة اليهودية) الذي أصدره في عام ١٨٩٥ لم يكن هرتزل يهوديا مؤمنا بل يكن يبحث لليهود عن وطن كما يقال فإنه كان ملحدا لا دينيًّا ولكنه كان يبحث للغرب وللحضارة الغربية عن نقطة الانقضاض على كان يبحث للخرب وللحضارة الغربية عن نقطة الانقضاض على الحضارات الأخرى التي أسماها بالحضارة البريرية.

وهذا بالضبط هو الذي أغرى الدول الغربية انجلترا وفرنسا

وألمانيا وإيطاليا وروسيا بمساندة الصهيونية العالمية وحماية إسرائيل ثم انضمت إلى هذه المجموعة بل تولت قيادتها الولايات المتحدة الأمريكية. الهدف من وجود إسرائيل إذن كما يتصور جميع هؤلاء حماية الحضارة الغربية ضد الإسلام والمسلمين.

وكان اختيار فلسطين لإنشاء هذه الدولة اختيارا عبقريا فإسرائيل في هذا المكان تتمتع بموقع استراتيجي فريد على مفترق الطرق بين أوروبا وآسيا وإفريقيا وهي نفس الميزة التي تتمتع بها مصر.

كما أن إسرائيل ذات الموقع اقتصادى مهم فى قلب هذا الجزء من العالم الذى يحوى نصف بترول العالم عصب التنمية (بالمعنى الغربى) وهناك أيضا تلك الأسطورة اللاهوتية عن (شعب الله المختار) والتى تستخدم لتغطية أطماع الغرب فى الموقع الاستراتيجى والموقع الاقتصادى لإسرائيل ، وتضع تجاوزاتها بل وأخطاءها فوق أى قانون وأى عقوبة بشرية باعتبار أن كل ما تفعله هو تنفيذ لإرادة الله ، ولذلك فقد أصدرت الأمم

المتحدة ١٩٢ قرارا ضد إسرائيل لم تنفذ منها قرارا واحدا، إنها تعتبرها جميعها كما قال جميع رؤساء إسرائيل (حبرا على ورق)

وبدأ تسليح إسرائيل لتحقيق هذه القلعة التي تقف بالمرصاد للمسلمين والعرب، ثم تطور السلاح وأصبح قلعة نووية، وكتبت صحيفة هارتس الإسرائيلية في يونيو ١٩٧٥ مقالا بقلم الصهيوني شلوموا هارمسون جاء فيه:

إن السلاح النووى هو إحدى الوسائل التى تستطيع إسرائيل أن تقضى بها على الآمال العربية فى تحقيق نصر نهائى على إسرائيل، فيكفى عدد محدود من القنابل النووية لتوقع الخسائر الضخمة فى جميع العواصم العربية، وتودى إلى انهيار سد أسوان فى مصر، وكمية إضافية من هذه القنابل سوف تمكننا من الوصول إلى المنشآت البترولية، كما أن فى العالم العربى آلاف الأهداف التى سيؤدى تدميرها إلى حرمان العرب من جميع المنايا التى اكتسبوها خلال حرب عيد الغفران (حرب المنايا التى اكتسبوها خلال حرب عيد الغفران (حرب

ويصف جارودى إسرائيل بأنها جندى حماية البترول في الشرق الأوسط لحساب أمريكا والغرب

ومن هنا نستطيع أن نفهم كيف أمكن لإسرائيل الصهيونية أن تنال مثل هذه الأهمية في الاستراتيجية العالمية بحيث أصبحت تهدد السلام العالمي.

إن دولة إسرائيل ليس فقط مسئولة عن حماية الاستعمار الجماعى للغرب تحت الهيمنة الأمريكية فحسب، بل إنها أصبحت بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية جزءا رئيسيا من علاقات القوى على الساحة الكونية متعدية بذلك نطاق الشرق الأوسط.

تحدث جارودى عن أمريكا وعن سيطرتها على الاقتصاد العالمي بمؤسسات استعمارية، اقتصادية هي البنك الدولي وصندوق النقد الدولي والجات وتحث عن انهيار الفن في أمريكا وتحوله إلى سلعة. فالموسيقي صاخبة والسينما تقوم على الجنس والدم، والفنون التشكيلية سخيفة وساذجة، وكل ذلك نتيجة لاقتصاد السوق والقيمة التي تعلو على كل القيم في

أمريكا والمجتمعات الغربية، وهي أن كل شيء معروض في السوق ، كل شيء.

ومنها الـذمم والضمائر والقيم معروضة للبيع وللشراء ولكل شيء ثمنه.

تحدث عن الأساطير الصهيونية قديمها وجديدها وفندها تفنيدا واضحا، وكشف عن الزيف والكذب في كل ما قال به الصهيونيون. ووضع فارقا كبيرا بين اليهودية كدين اعترف به الإسلام ويعترف به المسلمون، والصهيونية كحركة عنصرية سياسية هدفها السيطرة وتحقيق حلم إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

ودعا جارودى إلى باندونج جديدة ، وكما كانت باندونج القديمة إعلانا لعدم الانحياز إلى أى من الكتلتين اللتين كانتا تتصارعان على المسرح العالمي، فإن باندونج الجديدة يكون هدفها عدم الانحياز للقوة الواحدة التي تحكم العالم اليوم.

ويرسم جارودي برنامج عمل للعالم الثالث كي يحقق بانذونج الجديدة.

تحدث جارودى فى أمور كثيرة . تحدث عن الإسلام وكيف أنه الأمل للعالم كله فى الخروج من محنته الحالية ، ووضع لذلك شروطا أن يكون إسلاما حقيقيا كما نزل من السماء لا إسلام الإرهاب والضلالات .

رد جارودی علی عشرات الأسئلة ، وكان لابد أن يتحدث فيما هو قائم الآن بين العرب و إسرائيل وكان لابد من حديث خاص بيننا وقد كان . وجلسنا معا أسأله واحصل منه علی إجابات واضحة عن كل ما سألته عنه .

سألته أولا عن اتفاقيات أوسلو باعتبارها الأساس لما يجرى الان تحت اسم السلام .

ورد جارودي قائلا:

أعتقد أن هذا ليس بداية عملية السلام لأن عملية السلام لا يمكن أن تبدأ إلا في إطار احترام القانون الدولي بدءا من قرار الأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين ، لكن يتضح من اتفاقيات أوسلو أن الفلسطينيين لن يحصلوا على أكثر من ٦٪ من الأراضي الفلسطينية ، أضف إلى هذا أن مساحة الحكم

الذاتى (البنتوستات) يحاصرها الجيش الإسرائيلى من ناحية والطريق السريع الذى أنشأه أريل شارون من جهة أخرى، وليس ما يحدث إذن بعملية سلام بأى شكل من الأشكال، إنما هو وضع يذكّرنا بتلك الاتفاقيات التى فرضها هتلر على المارشال بيتان عند اجتياح فرنسا فقد اقترح هتلر على بيتان أن يترك له سلطة الحكم الذاتى على نصف الأراضى الفرنسية بشرط أن يقوم هو بمنع أى هجوم ضد القوات الألمانية وهذا الاتفاق يشبه إلى حد كبير ما تفرضه إسرائيل على الفلسطينيين حيث يوافقون على وجود قوات شرطة فلسطينية بشرط أن تظل دولة إسرائيل في أمان.

الفرق الوحيد بين الحالتين أن بيتان كان لديه خيار آخر حيث كانت انجلترا مستمرة في الحرب وكانت الجزائر لا تزال فرنسية وبالتالي كان بإمكان بيتان استكمال القتال مستعينا بالقوات الموجودة في الجزائر وهذا بالضبط ما فعله ديجول.

هل يمكن أن تحقق هذه الاتفاقيات أهداف الفلسطينيين؟ من المؤكد أن ذلك لا يمكن أن يحقق أهداف الفلسطينيين كذلك ما الذي يمكن أن يقدمه اتفاق وادى عربة فهو استمرار المهزلة طبقا لنفس القواعد لذا فقد سعدت برفض الرئيس مبارك المشاركة في تلك المهزلة.

هل تضع سياسة بيريز تصورا جديدا للشرق الأوسط؟

من الواضح أن بيرين لا يطرح أى نظام جديد وأريد أن أذكر بالمناقشة التى تمت قبيل الانتخابات بين ممثل حزب الليكود ليبراب أيول البانون و «يوسى بلين » ممثل بيريز في جريدة يديعوت أحرونوت اتفق «بلين» و «بانون» في هذه المناظرة على الشروط التى تخدم (مصالح المستوطنين العامة) وهذا هو التعبير التى استخدمته الجريدة.

الفرق الوحيد أن البانون ينادى بضرورة استقدام نصف مليون مستوطن آخر أما «بلين» فقد التزم بإبقاء المستوطنات الحالية مع الالتزام بضمان الأمن والتنمية الشاملة لها، هذا يعنى إمكانية التوسع في المستوطنات، هذا ما أقره بيريز حين أعلن «طالما عقد المستوطنون مهمتنا لكننا مع ذلك سنلتزم بحمايتهم في كل مكان » كما أضاف أن التسوية النهائية تسمح بالإبقاء على كل

المستوطنات. ليس هناك إذن خلاف جوهري بين نتنياهو وبيريز في هذا الصدد.

ذلك بالإضافة وفقا لما نشرته إحدى الصحف هناك أن حكومة العمل أخهدت العهديد من القرارات لمصلحة المستوطنات تفوق بكثير تلك التي أقدمت عليها أى حكومة من حكومات الليكود حتى ١٩٩٢، فعندما خرج الليكود من السلطة في ١٩٩٢ كان حجم المعونة المخصصة للمستوطنات ٢٥ مليون دولار ، بينما منح ائتلاف بيريز ١٤٠٠ مليون دولار لإنشاء طرق سريعة ووحدات سكنية جديدة، هذا خلاف المبالغ المخصصة لتعويض الخسائر التي يمكن أن تترتب على المبالغ المخصصة لتعويض الخسائر التي يمكن أن تترتب على تنفيذ اتفاق أوسلو.

وتضيف الجريدة أن عدد المستوطنين في ١٤ مارس ١٩٩٦ في الأراضي المحتلة وباستثناء القدس الموحدة قد وصل إلى ١٤٧ ألفا (مقابل ١٢٢ ألفا) خلال السنوات الشلاث الأولى لحكم بيريز وذلك ما أكدته جريدة يديعوت أحرونوت وهكذا فإن بيريز لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يكون رجل السلام

القادر على حل هذه المشاكل، إن بيريز يقدم بأسلوب ـ النفاق _ على نفس ما «يتلذذ» نتنياهو باقترافه في العلن.

_ ألاحظ أنكم تفضلون سياسة نتنياهو؟

نعم لأن سياسته توحد العرب. بينما أسلوب بيريز يخلق الأوهام، لذلك لا يمكن القول أن بيريز يخلق نظاما جديدا.

ومن المعروف أن حزب العمل منذ عهد بن جوريون وعهوده الأولى يؤكد أن قرارات الأمم المتحدة لا تعدو أن تكون حبرا على ورق ، فهل يمكن القول بأن بيريز رجل سلام حقا؟

لا أعتقد أننا يمكن أن نقول ذلك عن الرجل الذي أدخل أكبر عدد من المستوطنين.

وما رأيكم في بنيامين نتنياهو ؟

_ أنا لا أعرف ولكن كل ما أعلمه عنه أنه أتى من حزب جابوتسكى وشامي وبيجين إذن فهو خليفة كل أولئك القتلة المسئولين عن مذبحة دير ياسين وجرائم أخرى.

هل يمكن لهـذا الشخص أن يحقق سـلامـا في الشـرق الأوسط؟

ـ لا يمكن طبعا، لقد جاء لتحقيق كل ما نادى به أباؤه الروحيون أى مشروع إسرائيل العظمى من النيل إلى الفرات التى ستستند إلى تفتيت الدول المتجاورة وهى تضم العراق، إيران، سويا، الأردن، مصر، لبنان.

ـ وما هو دور الولايات المتحدة؟

إن الولايات المتحدة ليست معنية السلام بأى حال من الأحوال ، إن كل ما يهمها هو إبقاء الوضع على ما هو عليه بل إساءة الموقف، كل ما يهمها هو البترول الذى يمثل أساس التنمية الغربية والتحكم في العالم كله وهذا ما يحقق مشاريع إسرائيل الحالية.

هل يستطيع الاتحاد الأوروبي أن يلعب دورا في أزمة الشرق الأوسط؟

ـ نعم لكن منذ اتفاقية ماستر يخت التى تنص على أن الاتحاد الأوروبي لايمكن إلا أن يكون الدعامة الأوروبية لائتلاف الأطلنطي وهم أيضا المستعمرون القدامي ولكن بعد الحرب العالمية سقطت انجلترا وفرنسا وأصبحت الولايات المتحدة هي

القوة الوحيدة وكانت تملك نصف ثروات العالم. وبالتالى فإن أوربا تستطيع بالفعل ولكنى لا أعرف إذا كانت ستجد القوة اللازمة لذلك ، فهناك ألمانيا التى تمثل قوة حقيقية بل والقوة الوحيدة في أوروبا ولكنها أيضا إحدى دعائم حلف الأطلنطي.

- إذا وصل الجمهوريون إلى السلطة في الولايات المتحدة فهل تعتقد أن السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط سوف تتأثر بذلك؟

لا أعتقد أن السياسة الأمريكية متمثلة في الحزب والتعددية الحزبية والديمقراطية ما هي إلا مجرد أكذوبة. الحقيقة أن هناك حزبا واحدا ذا فرق كثيرة.

الفرقة التى تكسب يستأثر حلفاؤها بالمناصب العليا ولكن السياسة هى فى الحقيقة واحدة، الفرق الوحيد هو تاريخ الحزبين، حيث إن الحزب الجمهوى كان يحتل فى الأصل الجنوب الزراعى، أما الحزب الديمقراطى فكان يعبر عن الشمال الصناعى ولكن هذا عهد مضى مع تحول الولايات المتحدة إلى الصناعة.

_ إذا نجح كلينتون لن يكون بحاجمة إلى أصوات اليهود

الأمريكيين وهذه هي فترة رئاسته الأخيرة فهل يمكن أن يتغير موقفه؟

مشكلة كلينتون داخل الحزب الديقراطى ليست أصوات اليهود فليس هناك سوى ٦ ملايين يهودى فى الولايات المتحدة وليسوا هم الأكثر ولكنه يحتاج إلى أموالهم و ٢٠٪ من الأموال المطلوبة لنجاح الحزب الديمقراطى مصدرها اليهود، فإذا كان الرئيس هو كلينتون أو أى شخص آخر هذه ليست المشكلة وهم يحتاجون أيضا إلى إعلامهم وهو إرسال شركات هوليود وشبكات تليفزيون، كما أن ثلاثا من قيادات جهاز المخابرات الأمريكى من اليهود بل يمكننا أن نقول إنهم صهيونيون.

_إذن لماذا قلتم إن مصير إسرائيل هو الزوال؟

انا لا أتحدث عن زوال عن طريق حرب ولكن لأن كل الامبراطوريات القائمة على القوميات انهارت مثل امبراطورية نابليون وهتلر... وبالتالى فكونها مؤسسة على القوة يجعلها معتمدة اعتمادا كليا على الولايات المتحدة ،إسرائيل لا تستطيع أن تحيا ثلاثة أشهر بدون مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية.

_ماذا تقترحون على العرب؟

_ أعتقد أنه يجب أن يكون هناك وعى واضح فإن مصير فلسطين سوف يحد وليس فى فلسطين ولكن فى واشنطن وكما أن نقطة الضعف ليست القوات المسلحة فيجب أن نعرف أننا نهزم الصواريخ بالحجارة . الانتفاضة شىء جيد جدا يثبت من خلاله الشعب الفلسطينى أنه موجود وليس كما قالت جولد مائير أرض بلا شعب لشعب بلا أرض إذا فمن الضرورى دائما أن توجد هذه المقاومة المسلحة ولكن ليس بهذا الشكل ستحل المشكلة فى حالة مقاطعة العالم الثالث للولايات المتحدة لدفعها إلى الإفلاس .

وهكذا فإن الرأى الخاص بالسوق المشتركة سيكون عاملا مهما ، فإن ٨٠٪ من الموارد الطبيعية موجودة في العالم الثالث فيجب أن تتضاعف العلاقات التجارية بين الجنوب والجنوب وأن تلتزم هذه الدول بمقاطعة جذرية لكل ما هو أمريكي سواء كانت منتجات صناعية من الكوكاكولا إلى الأفلام، وكذلك مقاطعة إسرائيل أعتقد أن هذا هو السلاح الوحيد المتاح حاليا.

المشكلة في الوقت الحاضر إذن هي في السوق العالمية لأنها مؤشر «تشغيل» وهو أسلوب الولايات المتحدة في السيطرة على العالم ، وإسرائيل إحدى مكونات هذه السياسة.

فإسرائيل كانت دائما « رأس الحربة» للحضارة الغربية في مقابل بربرية الشرق، لذلك فإن إسرائيل تلعب دورا رئيسيا تحدده دائما واشنطن حيث مبعث القوة.

قضى جارودى فى القاهرة أربعة أيام وعدة ساعات . . ألقى فيها محاضرتين وعقد ٧ ندوات ، حضر محاضرته الأولى ١٢٠٠ شخص من مختلف الأعمار والمستويات والثقافات والمهن والتقى بأساتذة جامعة عين شمس وبأعضاء اتحاد الكتّاب ونقابة الصحفيين ورؤساء تحرير ومحررى صحف ومجلات مؤسسة الأهرام ومجموعة كبيرة من المثقفين تحدث ١٥ ساعة متصلة وأجرى عشرة أحاديث صحفية منفردة و ٥ أحاديث تليفزيونية و ٣ أحاديث إذاعية . . التقى بحوالى ألفى مثقف وأستاذ وكاتب وصحفى.

عاد جارودي وهو يحس أنه إذا كانت قد خذلته باريس فقد

احتضنته القاهرة وإذا كان قد فقد أصدقاء في باريس وروما ولندن ونيويورك ومدريد وبرلين فقد كسب مئات الأصدقاء في القاهرة ودمشق وبيروت وعمان وفلسطين وباقى عواصم الأمة العربية.

أيها الصديق الكبير:

لقد حللت أهلا ونزلت سهلا، قلوبنا وعقولنا تحييك فى مجيئك وفى عودتك وفقك الله ووفقنا جميعا من أجل قضية عادلة ليتحقق لها النصر بإذن الله.



إذا أردنا أن نتفهم موقف جارودي من الإسلام لابد أن نسأل أنفسنا هذا السؤال: ما الذي ننتظره من جارودي؟

إنه من السذاجة أن ننظر إلى جارودى ــ تحت ضغط الواقع الفكرى المتردى عندنا ـ على أنه طوق النجاة الذى جاء إلينا من الغرب بعبقريته ليعلمنا حقائق ديننا ويضع الحلول الفريدة للمشاكل والتحديات التى تواجهنا فى هذا العصر. وما لابد أن نعيه هو أن القيمة الحقيقية لجارودى هى فى كونه يمثل دلالة كبرى على مدى سمو هذا الدين على كل الفلسفات والأوهام البشرية بل على كونه يمثل أقصى الإشباع الذى تنشده أكبر العقول الفلسفية فى هذا العصر، وأهم ما يستطيع أن يقدمه جارودى هو أن يكشف لنا أسرار تطور رحلته الفكرية العميقة من أجل الحقيقة حتى اهتدائه إلى هذا الدين؟

ولكن ليس لنا أن نطالب الرجل بما لا يملك ونحاكم مواقفه دون النظر إلى وضعية ظروف أو الظروف الفكرية لعالمنا الإسلامي في تلك المرحلة إن جارودي حين دخل الإسلام لم نجد فيمن قابلهم أبا حنيفة أو ابن حزم أو ابن تيمية أو ابن

خلدون وهو الرجل الذي عاش عمره يناطح صناديد وأئمة الفكر الفلسفى في الحضارة الغربية، إن تقديم المشروع الحضارى الإسلامي يستلزم استيعاب الأصول الفكرية والتشريعية للإسلام واستيعاب المتغيرات الفكرية والواقعية المعاصرة من أجل امتلاك القدرة على استخلاص الحلول من هذه الأصول لتلك المتغيرات، فهل وجد جارودي من يمتلك هذا في كل المجالات؟

إننى لا أريد أن أفجر هنا الحديث عن أزمة الفكر الإسلامى المعاصر إن كان ـ إنصافا للحق ـ قد قدم هذا الفكر في بعض المجالات كالمجال السياسي الكثير ولكننا لابد أن نعترف هنا بأن شحذ الجهود في المجال السياسي أدَّى إلى التقاعس في الكثير من المجالات الأخرى ومن ناحية ثانية فإن الفكر المؤسس سواء كان تابعا لأنظمة حاكمة أو كيانات سياسية محددة أدى إلى تطويق الفكر الإبداعي الحر ومن ثم تعويقه عن تقديم المشروع الفكرى الحضاري الذي يواكب المتغيرات الحادثة في الواقع المعاصر والذي قد يختلف في مضامينه مع

المضامين السياسية التي تحكم هذه المؤسسات.

إن الأمر كبير وخطير جدا ولا يناسبه هذا المقام لكن المستخلص من كل ذلك أن اتهام جارودى للحركات الإسلامية المعاصرة بعدم تقديم المشروع الحضارى البديل اتهام ظالم فى جانب كبير منه وحقيقى للغاية فى الجانب الآخر، ولكنه فى كلا الأمرين اتهام قائم على عدم استيعاب الضغوط الخطيرة التى يواجهها الفكر الإسلامى المعاصر وعدم الاستيعاب هذا يقابله عندنا عدم الاستيعاب لما وراء أطروحات جارودى الفكرية من غرابة وتجافى للكثير من الحقائق الإسلامية لأنه على أبسط تقدير فإن جارودى الآتى من الغرب لن ينجح فى تقديم ما لم ننجح فى تقديم ما لم ننجح فى تقديم ما لم الإسلامى.

إن سلفنا الصالح كانت تحكمهم قاعدة "إن القوم حديثو عهد بالإسلام " في تحديد مواقفهم من الناس. أما نحن فلن نطالب هؤلاء الحديثي عهد بالإسلام بأكثر ما نطالب به أنفسنا، إنني لا أنكر ما في الكثير من أراء جارودي من خروج في مسائل

مثل مسألة الحجاب أو التقارب ما بين الأديان أو هجومه القاسي على بعض علماء المسلمين دون التهوين من مدى خطورة جرأته في تناوله مثل تلك الأمور، وهو الأمر الذي تدفعه إليه ذاتيته وشعوره بدوره الرسنالي كواحد من أفذاذ الفكر العالميين لكننا إذا تجاوزنا ذلك نظرنا في رحلة تطوره الفكري حتى اهتدائه إلى الإسلام لأدركنا أن جارودي وجد في الإسلام الحل الحقيقي لتلك المعادلة التي جاهد طوال عمره من أجل الوصول إلى حلها وهي العمل الدؤوب وصولا إلى الجمع بين الإيمان ودفع الإنسان إلى العمل من أجل تحقيق كينونته الحقيقية في هذا العالم وإنها المعادلة التي حاول أن يجد حلا لها في الجمع بين ماركس وكيركجارد ولم ينتج عنها الانسجام الحقيقي داخله أو حتى على المستوى الفلسفي في فكره.

لذلك فإننا نجد في اهتدائه إلى الإسلام تمثيلا لذروة الاجتهاد البشرى من أجل الوصول إلى الصيغة الفلسفية لما يجب أن يكون عليه الإنسان وإن كانت الصورة المعاصرة

للإنسان المسلم هي صورة مشوشة لما كان عليه منذ أربعة عشر قرنا، هكذا نستطيع أن نفهم جارودن.

محمد إبراهيم مبروك

حتى كتابة سطور هذه المقابلة كانت تفاعلات قضية «جارودي» لا تزال تستأثر باهتمام الصفحات الأولى في صحافة فرنسا وخارجها بسبب ما أثارته من جدل وضع مرة أخرى «مصداقية الإعلام» الغربي أمام اختبار دقيق وكشفت لكثير من الفرنسيين عن مدى خضوع الإعلام الغربي للدعاية الصهيونية. الحملة على «جارودي» بدأت مع نشر كتابه الخطير «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» وهو الكتاب الذي يكشف فيه جارودي عن عدم صحة كل ما قيل وكتب عن معاناة اليهود أثناء الاحتلال النازي وبشكل خاص لمروايات عن غرف الغاز . بمجرد ظهور الكتاب انبرى له اللوبي الصهيوني في الإعلام الفرنسي بحملة مكثفة من الهجوم على «جارودي» تتهمه بالخرف والعداء للسامية وتأييد ما فعله «هتلر» بـاليهود إلى آخر الإسطوانة المعهودة عند بروز أدنى شك في التاريخ المروى عن اليهود. أو بالأحرى التاريخ الذي يرويه اليهود عن أنفسهم

والحقيقة أن كتاب «جارودي» كان يمكن أن يمسر دون أن يشعر به المواطن الفرنسي ، خصوصا وأن الكتاب طبع على

نفقه «جارودی» الشخصیة ، بعد أن رفضت دور النشر المعروفة طبع الكتاب وتوزیعه ولكن الحدث الفارق الذی ألهب القضیة هو انحیاز الاب ببیبر الراهب الفرنسی العجوز الذی یكن له الجمهور الفرنسی قدرا كبیرا من الحب والاحترام ، لموقف «جارودی» وحقه فی التعبیر عن آرائه . هنا استعرت الحملة علی الاثنین . . فالذی یدعم «جارودی» هذه المرة لیس رجلا عادیا بل هو راهب مسیحی یحظی منذ الخمسینیات بتقدیر واسع من كل الفرنسیین الذین یعزفون مواقفه الاجتماعیة ونضاله منذ الخمسینیات من أجل الفقراء بلا مأوی والذین تابعوه مرة أخری ینتفض رغم ثقل أعوامه التسعین ، بعد أن رأی عشرات من الفرنسیین یموتون علی أرصفة باریس الباردة دون مأوی .

وعندما انفجرت قضية «جارودى» أبى الراهب المسيحى المناضل أن يترك صديقه «المسلم» جارودى وحيدا أمام «اللوبى» الصهيوني إزاء الحملة التي تعرض لها الاثنان . . لم يملك الأب بيير إلا أن يعلق على هذ الحملة قائلا: « إنهم سيتهموننا بالعداء للسامية وكراهية اليهود إذا قلنا إن مغنيًا يهوديا

يغنى بشكل سيىء».

المهم أن الحصول على موعد مع «جارودى» لم يكن بالأمر الهين، فالرجل دائب النشاط ودائم الترحال من بلد إلى آخر يحاضر هنا وهناك رغم عمره الذى بدأ يقترب من الثمانين. وكان عوننا على تدبير هذا اللقاء مناضل عربى تونسى وصديق قديم له «جارودى» تطوع لتذليل المهمة وبشكل خاص مكان اللقاء فالمفكر الفرنسى لا يستطيع لقاءنا في مكان عام بعد التهديدات بالقتل التي تلقاها بعد نشر كتابه الأخير الذى فيه لأسس السياسة الإسرائيلية.

تم الاتفاق على عقد اللقاء في بيت «جارودي» إحدى ضواحى باريس، واستقبلتنا زوجته بود «شرقى» وروح شرقية تلمحها في كل أنحاء البيت، بدءا من الحديقة الكبيرة المرتبة على النسق الأندلسي بالأواني النحاسية الشرقية المتناثرة في كل أركان البيت وعلى كل درجة من درجات السلم الذي قادنا إلى مكتب جارودي في الدور العلوى، حيث استقبلنا «جارودي» بابتسامة كبيرة بعد أن قدم كرسي مكتبه لـ «السيد الملاح»

قائلا: «تفضل ستكون أنت عميد هذه الجلسة» ليستقر هو على كرسى فوتيه «عريض» مستأذنا في رفع قدميه ، فوق كرسى صغير شديد الانخفاض نظر إلى إصابته بجلطات في الساقين لا تمكنه من الجلوس طويلا وفيما يلى أهم ما جرى في اللقاء.



افتتح «جارودی» اللقاء بذكريات دافئة عن زيارته الأولى لمصر عام ١٩٦٧ لقائه بالمثقفين المصريين في جريدة «الأهرام» ثم لقائه الرئيس بالراحل «جمال عبد الناصر» بصحبة الكاتب الكبير «محمد حسنين هيكل» وروى لنا كيف قال له الرئيس عبد الناصر: إنه لولا وجوده هو شخصيا في السلطة لكان هيكل قد استقر في السجن لجرأة ما يكتبه.

ومن جانبنا أثرنا أن نقدم أنفسنا للمفكر الكبير بالتعريف بنشاط «حزب العمل» التيارات الفكرية المشكلة له وتطوره السياسي ولجريدة «الشعب» وما تمثله في الحياة السياسية المصرية.

ثم بدأنا حوارنا بالسؤال المتوقع: السيد روجيه جارودى قد يكون من المفيد أن نسمع منكم شخصيا كيف التقيتم مع الإسلام؟

الإسلام أنقذ حياتي

جواب: لقائى الأول مع الإسلام كان ذا طابع عجيب، وأدين له بحياتى، فقد حدث أثناء إقامتى في الجزائر أن وقع تمرد في

المعسكر الفرنسى الذى أخدم به آنذاك. أصدر على أثره قائد المعسكر أمرا بإطلاق الناس على وكان المنوط به تنفيذ هذا الأمر سرية من الجنود المسلمين الذين رفضوا تنفيذ هذا الأمر. . وعندما سألت قائد السرية الجزائرى عن سبب تصرف هؤلاء الجنود . . أجابنى بأنه لا يوجد سبب و إنما الشرف العربى يأبى أن يطلق رجل مسلح الناس على رجل أعزل . . وأعترف لكم بأنها كانت المرة الأولى التي أعرف فيها معنى «الشرف العسكرى» بهذا الشكل ... وبفضل هذا الشرف أنقذت حياتى وأنا في سن الثامنة والعشرين بعد أن أمر القائد الفرنسى بإهدارها .

لقائى الثانى مع الإسلام كان بعد إطلاق سراحى من معسكرات النازى. وقد بدأ اهتمامى أولا بالثقافة الإسلامية وليس بالدين الإسلامى وكان أول أعمالى هو المحاضرة عن «دور الثقافة الإسلامية في الثقافة العالمية» عام ١٩٤٦ في مدينة الجزائر قرر على إثرها الجنوال «ماس» طردى من الجازائر بهمة «الترويج لدعاية ناهضة لفرنسا» ... هل تعرفون لماذا؟ لأننى اقتطفت في هذه المحاضرة مقولة لـ «أناتول فررانس»

يقول فيها: إن أسود عام في التاريخ الأوروبي هو العام الذي حدثت فيه معركة بواتييه التي اندحرت فيها الحضارة العربية أمام البربرية الفرنسية . . ولقد اندهشت حين أخبرني الرئيس عبد الناصر حينما قابلته عام ١٩٦٧ فإن الضباط الأحرار المصريين ترجموا هذه المحاضرة فيما بعد وكانوا يتداولونها ... هكذا كان اهتمامي أولا بالثقافة الإسلامية وكل كتبي التي كتبتها عن الإسلام كتبتها قبل أن أعتنق الإسلام فكتبت «الإسلام يسكن مستقبلنا» وكتاب «وعود الإسلام» إلى آخره ، لم أكن مسلما ولكن كان لدى إلمام كبير بالثقافة الإسلامية وبشكل خاص الفكر الصوفي والصوفيين الأوائل وهو بالفكر الذي استهواني كثيرا ولا يازال يستهويني حتى هذه اللحظة، إن قرطبة عاصمة الخلافة في إسبانيا أكبر شاهد على هذه الثقافة التي لا تزال تجذب مئات الآلاف إليها كل عام . . مائة ألف زائر كل عام .

لاتزال الثقافة الإسلامية تجذب مئات الألوف

لقد كانت قرطبة بحق هي عاصمة الثقافة في أوربا. . خذ مثلا الجراحة، لقد عرفت أعظم الجراحين في العمليات

الجراحية والولادية وعمليات العيون ... إن كل الأدوات الجراحية التى استعملت فيما بعد فى كل جامعات أوروبا فى لندن وباريس وباليرمو ومونبليه وكتبهم فى الطب كانت هى المراجع المعتمدة فى كل معاهد الطب فى أوروبا ونفس الشىء فى الرياضيات والفلك وكل العلوم كالبصريات والضوء مع ابن الهيثم الذى كان يعيش فى مصر وكل هؤلاء الذين طوروا المناهج والتجارب العلمية .

باختصار ما يسمى بـ «الغزو العربى» لم يكن غزوا عسكريا وإنما هو فتح للحضارة والثقافة أو إذا أردت الدقة «ثورة ثقافية» ... وإنه لمن دواعى سعادتى أننى أسمع ملك إسبانيا الحالى «خوان كارلوس» يردد مقولة «إن فترة الخلافة الإسلامية هى فترة عظيمة فى التاريخ الإسبانى». وإن كانت الحقيقة تتطلب القول: إنها حقبة عظيمة فى التاريخ الأوربى كله.

هذا هو المظهر الثاني المذي جذبني إلى الإسلام، المظهر العلمي والثقافي.

المظهر الثالث الذي جذبني إلى الإسلام هو جانبه الروحي

والصوفى وأنا دارس بشكل خاص للفكر الفلسفى الصوفى وقد كتبت أكثر من مرة أن الإسلام هو الذى أدخل مفهوم «وحدة العالم» مفهوم «الواحد الكلى» ... وهكذا أصبحت مسلما تدرجت من الإعجاب بالثقافة الإسلامية إلى «روحية الإسلام» ...

الإسلام في خدمة الإنسان وليس لتدميره

إن ما يدهش الإنسان في الثقافة الإسلامية وما يدهشني أنا بشكل خاص أن الثقافة والعلم في الإسلام كانتا دوما لخدمة الإنسان وليس لتدميره. . إن المناهج التجريبية والبحث العلمي والكشف الفلسفي الذي كان موجودا في قرطبة كان لخدمة الإنسان وهدفها الأساسي البحث عن الحكمة وتطور الإنسان . على العكس من الحضارة الغربية التي تستخدم العلم لتدمير الإنسان كما في اكتشاف الذرة والقنابل النووية ، الغرب كان دوما هكذا . . بينما العرب قدّموا مفهوما آخر للعلم مفهوما يربط بين العلم والحكمة .

العلم ضالة المسلم

الشيء الثالث الذي يعطى الإسلام تفرده الخلاق هو أن الإسلام يرى أن العلم في بحثه عن السببية. لم يكن يعطى الأولوية له «السببية» المادية . كما أن الحكمة في بحثها عن الوحى «النهائي» لم تعتبر نفسها «نهائية» ومن ثم كان «الإيمان . كان هناك حدود للعقل كما أن الإيمان لم يكن حدًّا للعقل ، على العكس كان الإيمان دافعا للعقل من دون حدود . . هذا هو الذي أعطى لجامعة قرطبة تفردها الخلاق .

الشيء الرابع هو ديمقراطية الثقافة التي انتهجها الإسلام فبعد اختراع الورق وأخذه عن الصينيين ثم تصنيعه في دمشق ثم في قرطبة ، فبعد الورق ثم تعميم الثقافة ولم تكن مقصورة على فئة معينة .

الديمقراطية الاجتماعية في الإسلام

ثم هناك أيضا الديمقراطية الاجتماعية . . فأنا قرأت ماركس منذعام ١٩٣٣ ، ما جذبنى في ماركس ليس فلسفته ولكن منهجيته في فهم «المبادرة الإنسانية» وعندما كنت أقول آنذاك: إننى مسيحى وماركسى كالوا يتهموننى بالجنون .

فى تاريخ الرأسمالية هناك منظران أساسيان آدم سميث وكارل ماركس كل منهما حلل الرأسمالية على طريقته . والآن وبعد قرنين من الرأسمالية وصلنا إلى نتيجتين متناقضتين . إن مساركس الني درس جيدا آدم سميث وأعجب به قال إن الرأسمالية . . تصنع ثراء واسعا وتقدما تكنولوجيا هائلا ولكنها ستخلق ظلما اجتماعيا واغترابا للإنسان . . والآن من كان على حق آدم سميث أم كارل ماركس ؟ بالتأكيد كارل ماركس ...

خد مشلا الشمال والجنوب. إن ٨٠ ٪ من المصادر الطبيعية موجودة في الجنوب ولكن هذه الثروة مسيطر عليها ومستهلكة من قبل ٢٠ ٪ فقط في الشمال والنتيجة الطبيعية لكل هذا أن ٤٥ مليون إنسان يموتون من الجوع أو سوء التغذية . وطبقا لإحصاءات اليونيسيف هناك بينهم ١٥ مليون طفل . هذا يعني أن النمو على طريقة آدم سميث والفكر الليبرالي الذي يتبناه الليبراليون يعني أن نموذج النمو الغربي يكلف بلدان العالم الثالث «هيروشيما» كل يومين . هل تصدق كل يومين . هذا يفسر لك لماذا كنت ماركسيا .

الإسلام دين الحوار

الشيء الأخير الذي جعلني مسلما ، قلت من قبل الأسباب الثقافية والغلمية ، ولكن كان هناك شيء آخر يدهشني في الإسلام ، فعندما ترى اليهودية ترفض المسيح نبيًّا ، وترى المسيحية ترفض محمدا نبيا ، تجد الإسلام يعترف بأنبياء كل هذه الأديان . على عكس ما يروجونه هنا من أن الإسلام منغلق ، تجد أن الإسلام هو الدين السماوي الوحيد الذي يتحاور مع الأديان الآخري ويقبلها . دليل على ذلك أنني عندما انتقدت المتشددين المسيحيين في كتابي «هل نحن محتاجون إلى الله» وعندما انتقدت المتشددين المسيحين أو كتابي محدود الانتقاد دون مرضى الإسلام ، كان ذلك انتقادًا وبقي في حدود الانتقاد دون أن يحدث أي شيء ، ولكن عندما انتقدت المتشددين اليهود والسياسة الإسرائيلية ، استدعوا البوليس (ضحك) .

لم تكن مناظرة حرة يبينون لى فيها ما إذا كنت على حق أو خطأ لا، لم يكن الأمر كذلك استدعوا البوليس لهذا الكاتب ورفضوا الحوار.

أحد هـؤلاء كتب في صحيفة «اللوموند» يقول: إنه يجب عدم الحوار مع أشخاص من هذا النوع، إنك إذا أعطيتهم حق الكلام فسيكسبوننا مقدما. . أي اعتراف!! مرورا بالتأكيد بتهديدات حقيقية بالموت، ولكنني قلت ردا على هذه التهديدات: إذا كنتم تريدون قتلي لإسكاتي فهذا يثبت عدم قدرتكم على إعطاء الحجة والرد على ، إنكم توقعون بقتلي على فشلكم!! .

لماذا تراجع الإسلام؟

والسؤال الآن: لماذا لا يلعب الإسلام الدور المأمول منه ؟ ذلك يتطلب منا العودة إلى الأعوام الأولى للهجرة وكيف انتجنر المسلمون العرب على الامبراطورية الفارسية؟! لقد انتصر العرب لأنهم استطاعوا أولا تحقيق ثورة اجتماعية عندما قرر القرآن أن المال مال الله والبشر مستخلفون فيه ولا توجد ملكية لإنسان، الإنسان يدير هذا المال دون أن يملكه بل يحصل عليه بالعمل.

لماذا تراجع الإسلام إذن؟ تراجع المسلمون عندما تغاضوا

عن كل هذه الفضائل التي جاء بها الإسلام والتي تكلمت عنها . وكما يقول صديقي الفيزيائي المسلم «عبده سلام» إن القرآن يحتوى على ثلاثمائة وثلاث وخمسين مرة الدعوة إلى المبادرة الإنسانية أي أن هناك مغزى وهو تشجيع الإنسان على الاجتهاد، وهو الأمر الذي كان معمولا به . خذ مثلا : « أبا حنيفة أو الشافعي» هذان العبقريان عندما عاشا في مجتمعات متغايرة ، أظهرا كيف يمكن أن يتغير اجتهادهما .

إن الشريعة تم تحديدها بشكل كامل ، لذلك ترى فى القرآن كيف يتحدث الله للرسول قائلا لبه: إنه شرع له شرعة إبراهيم وموسى وعيسى أى كل الأديان السماوية ، أى أن الشريعة كما يحددها القرآن هى واحدة فى كل الأديان السماوية أى أن هذه الشريعة هى المحدد الوحيد لكل شروط الاجتماع الإنسانى الله وحده يعلم ، الله وحده المشرع ، الله وحده يملك » هذه المفاهيم الثلاثة لا يمكن أن يفلت منها أى مجتمع .

ويجب التفكير والاجتهاد وعملنا كمسلمين هو أن نجتهد في تطبيق الشريعة، كما كان يجتهد العباقرة الأوائل كأبي حنيفة أو الشافعي، إن دور المسلم الآن هو تأسيس "فكر إسلامي"

للقرن العشرين أو الحادى والعشرين كما فعلوا هم، إن دورنا هو تقليد «القدوة » وليس تقليد فتاواهم. . إننا لا نستطيع أن نجد لديهم حلا لمشاكل الطاقة النووية ولا إدارة البنوك ولا وضعية المرأة الحالية . إذن من المبادي المقدسة يجب أن نجد طريقنا في فهم مجتمع معين ولحظة تاريخية معينة ، هذا يا صديقي هو السبب في تراجع الإسلام. . لهذا قلت: إن التشدد الإسلامي المتطرف ليس سوى مرض إسلامي عندما نخلط بين الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامي أي عندما نخلط بين القوانين المقدسة وبين التطبيقات التاريخية .

ما هداني للإسلام

أنه يوظف العلم والثقافة لتخدمة الإنسان وليس لتدميره على عكس ما تفعله الحضارة الغربية..

* سؤال: السيد روجيه جارودى: كيف تفسر الحملة العالمية لتشويه الإسلام بوصفه مرة بالتشدد والرجعية ومرة أخرى بالإرهاب . . إلى آخر بقية الاتهامات؟

جواب: منذ الحملة الصليبية وهناك تشويه للإسلام لايزال

قائما حتى هذه اللحظة . خذ مثلا الأندلس لقد أسموه «الغزو الإسلامي» ، وبالنسبة إلى فرنسا هناك حرب الجزائر ولعلمك لا يزال بعض الفرنسيين يعتقد أن الحروب الصليبية وحرب الجزائر لم تنته بعد ... والمسلم لأنه فقط مسلم يعتبر عدوا . . من قبل كان العدو هو الاتحاد السوفيتي والشيوعية . . الآن لم يعد هناك شيوعية ، كيف ينبغي إذن تبرير كل هذا السباق على التسلح إنه الإسلام .

العداء للإسلام أصبح ضرورة أيديولوجية للغرب؟

تشويه الإسلام ضرورة اقتصادية غربية للتسلح والسيطرة العالمية.

جواب: إنه ضرورة أكثر من أيديولوجية . . إنه أيضا ضرورة اقتصادية لضمان دوران آلة الحرب والتسلح والسيطرة العالمية ، إننا ننتج سلاحا الآن أكثر مما كنا ننتج أثناء حقبة الحرب الباردة عندما كان العدو هو الاتحاد السوفيتي ، إن الولايات المتحدة الأمريكية تنتج سلاحا الآن أكثر مما كانت تنتجه أثناء حرب

الخيلج. يجب البحث عن شيطان، والشيطان الآن هو الإسلام كما كما كمانت الشيوعية من قبل، الإسلام هو العدو الآن. وكما سجنت في الماضى لمدة ثلاث سنوات لمجرد أنني شيوعي بدعوى الإضرار بمصلحة الأمة، نفس الأمر يتكرر الآن بالنسبة المسلمين.

ولكن هناك شيء أود أن أنبه إليه خاص بالأصوليين الإسلاميين. هناك نقطة ضعف في فكرهم، إنني لست مطلعا بشكل جيد على أحوال الحركة الإسلامية في مصر ولكنني مطلع جيدا على الحركة الإسلامية في الجزائر وعندما أرسل إليَّ الرئس أحمد بن بيلا برنامج جبهة الإنقاذ الإسلامية لاحظت أنه برنامج جيد على مستوى الرفض: يقولون مثلا: إننا نرفض الهيمنة الفرنسية وهم على حق، يقولون: إننا نرفض الهيمنة الأمريكية، وهم على حق، يقولون: إننا نرفض أوامر البنك الدولي، وهم على حق، ولكن للأسف لم أجد شيئا إيجابيا في البرنامج، والانتقادات جيدة ولكن لا يوجد مشروع للمستقبل. ما الذي سيفعلونه مثلا لحل مشكلة البطالة؟ ما

الذى سيفعلونه لحل مشكلة السكن؟ _ وهى مشكلة خطيرة فى الجنزائر _ نقط الضعف تلك تقلل من قوتهم. ليس كافيا أن نردد الإسلام . . الإسلام . . كما لو كانت كلمة سحرية ستحل كل المشاكل . إن الأمر يتطلب التفكير والاجتهاد، والإسلام يدعو إلى التفكير والاجتهاد . الإسلام يبين كيف نبنى مجتمعا متوائما مع شريعة الله .

* سؤال: نعود إلى موضوع كتابك عن إسرائيل ... ما الذى دعاك إلى كتابة هذا الكتاب ذى الطابع السياسي في هذا الوقت؟

** جواب: ليس هـذا أمرا جـديدا على ، فلقـد كتبت منذ كثر من خمسة عشر عاما كتاب «القضية الإسرائيلية ، ولم أكن قد اعتنقت الإسلام بعد ، ثم كتبت بعد ذلك ، وبعد أن اعتنقت الإسلام ، مـؤلفى «فلسطين أرض الـرسـالات » ثم كان كتابى الأخير عن السياسة الإسرائيلية ، لماذا كان هذا الكتاب الأخير؟ سأقول لك لقـد بدأت مشـروعا نقديا عن التشدد الـدينى . لقد انتقدت التشدد الدينى للبابا فى كتابى «هل نحن محتاجون إلى الله » والذى كتب مقدمته الأب « بيير» .

ثم انتهيت من كتابى «موقع ورحابة الإسلام» الذى سيصدر هذا الأسبوع والذى أنتقد فيه الاصوليين الإسلاميين الذين لا يحملون مشروعا للمستقبل ثم جاء الدور على المتشددين الإسرائيليين، وهو ليس نقدا دينيا، بالنسبة لنقدى للإسلام فأنا اعتبر نفسى منتقدا من داخله وبالنسبة لإسرائيل انتقدت السياسة الإسرائيلية وعلى المستوى السياسي المحض، وأنا اعتبر نقدى للسياسة الإسرائيلية يدخل في باب الانتقاد للسياسة الأمريكية فإسرائيل ليست سوى ذراع لأمريكا تولت بدلا عنها الشرق الأوسط في السياسة الأمريكية وللأسف الشديد هذه الشرق الأوسط في السياسة الأمريكية وللأسف الشديد هذه السياسة تلقى تأييد بعض الزعماء العرب.

* ســؤال: كيف تفسـر صمـت المثقفين الفـرنسيين إزاء الحملة التى تتعـرض لها خصـوصا وأن هـؤلاء المثقفين انتقضوا من أجل حرية التعبير عندما أثيرت قضية سلمان رشدى منذ عدة سنوات؟

* * جواب: إنني لا أعتقد أن سبب ذلك هو الجبن ولكن

أعتقد أن المثقفن الشرفاء لا يملكون القدرة على النفاذ إلى وسائل الإعلام بسبب النفوذ الصهيوني ...

* سؤال: الغرب يرفع شعار الديمقراطية ولكن عندما تأتى الديمقراطية بالإسلاميين فهو يتنكر لها، هل الغرب حريص فعلا على شيوع الديمقراطية في البلدان الإسلامية؟

لا توجد ديمقراطية في الغرب

** جواب: أولا لا يوجد هناك شيء اسمه ديمقراطية في الغرب. إن الديمقراطية «الأثينية » كانت ديمقراطية العشرين الفرب ميد في مواجهة مائة ألف من العبيد الذين لم يكن لهم أي حقوق.

المثال الثانى الولايات المتحدة الأمريكية التى أعلنت ميثاقا لحقوق الإنسان والمواطن عند الاستقلال وأن كل البشر متساوون أمام الله ولكنها أبقت مائة عام على نظام العبيد للزنوج، فالديمقراطية كانت إذن للبيض وليست للسود.

ميثاق حقوق الإنسان الفرنسى: كل البشر متساوون أمام القانون، بينما الدستوريقول: إن من شروط الترشيح أن تكون

مالكما ثروة معينة ، أى إنها ديمقراطية للأغنياء وليست للفقراء للذلك ليس عجيبا أن يكتب فيلسوف كبير من فلاسفة الثورة الفرنسية هو «ديدرو» إن المواطن هو فقط من يملك.

ثم خذ أيضا بلدا يعتبر نفسه بلد الديمقراطية الأول يعترف رئيسه «كلينتون» أن ١ ٪ من الأمريكان يملكون ٤٠٪ من الثروة القومية وهو تقريبا نفس الشيء في فرنسا. أين هي إذن الديمقراطية؟ أين الديمقراطية لعاطل عن العمل ؟ إن ميثاق حقوق الإنسان العالمي عام ١٩٤٨ يقول: إن البشر لهم الحق في العمل، ولكن يوجد ٣ ملايين متعطل عن العمل في فرنسا على الورق لدى الحق في العمل ولكن لا يوجد عمل.

إن القانون يعاقب على سرقة الخبز، يعاقب الملياردير ويعاقب العاطل عن العمل. كل الناس لهم الحق في شراء صحيفة أو تلفزيون ولكن هناك الملياردير وهناك العاطل عن العمل لهما حقوق على الورق ولكن ليس لها أي محتوى فعلى. هذه هي الديمقراطية ، كل الديمقراطيين هنا نادوا بديمقراطية وانتخابات حرة في الجزائر ، وقد كان حدثت انتخابات حرة

ولكنها جماءت على غير هواهم، وحصلت جبهة الإنقاذ على المقدمة ، وهنا أوقفوا العملية الانتخابية ثم قبل كل هؤلاء الديمقراطيين بالديكتاتورية العسكرية.

* سؤال: الإسلام السياسى يتخذ أشكالا متعددة فى السودان أو إيران أو تركيا. فى مصر الإسلاميون قدموا أيديهم للتيارات الأخرى كالناصريين واليساريين الآخرين فاستجاب لهذه الدعوة النصاريون وبعض فئات اليسار ولم يستجب لها العلمانيون وفضلوا التعاون مع قوم اليمين الأخرى بدعوى أن الخطر الأساسى هو خطر الإسلاميين. ما رأيكم فى هذا الموقف؟

على اليمين واليسار أن يتحدا ضد الهيمنة الأمريكية.

** جواب: الحقيقة أنه ليس لدى إلمام كاف بتضاريس الحركة السياسية المصرية، ولكن فيما يخصنى أنا أعتقد أن الأمر لم يعد أمر يمين ويسار أو علمانيين ومتدينين المسألة الأساسية: هل نحن مع الهيمنة الأمريكية أو ضدها؟ إن الشيء الذي يجب الاتفاق عليه هو الوقوف أمام الهيمنة الأمريكية.

أثناء الاحتلال النازى لفرنسا لم يكن هناك يمين ويسار وعندما عارض الكثيرون معاهدة «ماستريخت» كان بجانبى الجنرال «جالوا» وهو رجل ديجولى وطنى من اليمين وساهم فى تحرير فرنسا وتذكرت أنه أثناء الاحتلال النازى لم يكن هناك يمين ويسار، كنت أنا مسجونا فى سجون النازى وكان هو طيار من قوات ديجول.

المسألة الآن ليست العلمانية أو الإسلام وليست اليمين واليسار، هناك المصلحة العليا للأمة وهناك عدو لهذه الأمة ولكل الأديان بل وعدو للعلمانية أيضا هو أمريكا ، وكفرنسى ودون تدخل في الشؤون المصرية ، إن الشيء الذي يجب أن يلحم الجميع هو النضال أمام العدو الواحد، النضال ضد الهيمئة الأمريكية .

الإسرائيلية، . . كيف ترى مستقبل عملية السلام؟

الانتخابات الإسرائيلية كانت بين قاتلين

* جواب أولا: ليس هذا سلاما، سيكون هناك سلام

عندما يخضع كل الأطراف للقانون الدولي، ولكن دولة إسرائيل كانت دوما خارج القانون الدولي، ودافيد بن غوريون قال ذات يوم عندما كان هناك حديث عن التقسيم: إن القانون الدولي ليس سوى خرقة من الورق لـذلك فأنا لا أعتقد في هذا السلام، يمكن الحديث حقاعن السلام عندما يتم إخلاء المستوطنات الإسرائيلية بالكامل، والفلسطينيون لم يستغيدوا سوى ٦ ٪ من أراضيهم، ومهندس هذه المستوطنات هو الجنرال أريل شارون مجرم صبرا وشاتيلا هذا المجرم هو الذي نفذ أتوستراد يربط المستوطنات بعضها ببعض ويعنزل القرى الفلسطينية إلى «بانتوستان» كما في جنوب أفريقيا، لا يوجد سلام ما دامت القدس ليست للجميع، سواء باقتسامها كما كانت من قبل أو وفق وضعية دولية لكل الأديان، ليس هناك سلام إذن. إن الانتخابات الإسرائيلية كانت اختيارا بين قاتلين: السيد شيمون بيريز مجرم مذبحة قانا، والسيد بنيامين نتنياهو والذي نظرا، لصغر سنه لم يشارك بعد في أي مذابح وإن كان هو الوريث الشرعي لمذابح بيجين وشامير اللذين اعتبرهما مجرمي حرب

منذ كفر قاسم ودير ياسين ومنذ مشروع شامير بالتحالف مع هتلر.

إن الاختيــــار بين الاثنين هو اختيار بين منافق وبين كارثة.

* جواب: نعم هناك تهديدات وهناك تحريض بالقتل ويمكن أن يتعدى أمر التهديد إلى التنفيذ الفعلى .

الفرنسية هذه التهديدات الفرنسية هذه التهديدات محمل الجدوهل عرضت حمايتك؟

البوليس الفرنسي حمايتي .

الله التوفيق والنجاح في نضالك الشجاع وتتمنى الشجاع ونتمنى الله التوفيق والنجاح في نضالك الشجاع وقلوبنا معك .

[«]نقلا من جريدة الشعب عدد الجمعة ٢٨/ ٦/ ١٩٩٦م»

«شعراوی » فرنسا الذی تکرهه إسرائیل ویطارده الیهود



الأب «بيير » الذي يبلغ من العمر ٧٥ عاما والذي كرَّس وقته وعمره لمساعدة المحتاجين ومجابهة الظلم والبحث المضنى عن العدل الاجتماعي والذي بلغت شعبيته حد القداسة في فرنسا، لم يستطع أن يتحمل هجوما شرسا قادته ما تسمی به «منظمات السامية» الفرنسية ضده في الفترة الأخيرة بسبب وقوفه بجانب صديقه المفكسسر «روجیه جـارودی» مـؤلف

«الأساطيرا لمؤسسة للسياسة الإسرائيلية» الذى نفى فيها أسطورة حرق اليهود فى محارق النازى ، فقرر الأب بيير أن يترك وراءه كل مجده وشعبيته وأن يبتعد عن بلده فرنسا إلى إحدى دور العبادة المنعزلة فى إيطاليا فى محاولة لتضميد جراح غدر الزمن ونكران الجميل الذى عانى منه . شعبية الأب بيير الإعلامية التى توازى هنا شعبية الشيخ الشعراوى . بدأت منذ عام ١٩٥٤ وظل الأب بيير وجها من الوجوه الأعلامية و«النجومية» شديدة التأثير وظل هو شديد الانشغال أيضا بكل ما هو إنسانى .

لكن الوسائل الإعلامية في فرنسا لم تنظر لشيخوخته ولم تذكر كل تضحياته. وبدأت تطالب بتقاعده وتهدده بأقصى التهديدات. بعد إعلان تأييده «لروجيه جارودي» الأمر الذي اعتبرته وسائل الأعلام أحد «تخاريف» القس العجوز.

غير أن هذا القس العجوز لم يستسلم وبدأ في هجوم مضاد ففي حديث له في جريدة «لومتان» السويسرية قال الأب بيبر: يجب أن تكون لدينا القدرة لكي نرى الحقيقة ونكشف المغالطات التي تم حشو عقولنا بها بما في ذلك أن ضحايا هتلر

ليسوا فقط اليهود ولكن هناك ٥٠ مليون إنسان سقطوا ولا أحد يتكلم أو يسمح له بالكلام إلا عن اليهود فقط !! وفي هذا السياق أشار الأب بير إلى نفوذ الحركة الصهيونية العالمية في الغرب وفي وسائل الإعلام على نحو خاص وأعطى مشلا بالحملة المنسقة ضده وضد جارودي وتساءل بسخرية إن لم تكن هذه الحملة بإيحاء وتوجيه مباشر من الحركة الصهيونية فهل تكون الشياطين هي المسئولة؟!

أما القنبلة المدوية التي قذف بها الأب بيير في وجه هؤلاء الذين أجبروه على هجرة وطنه فقد تمثلت في قوله: « إن العهد القديم يخبرنا بأن اليهود أنفسهم ارتكبوا مذابح عرقية بشعة شبيهة بمحارق النازى التي يتحدثون عنها وذلك عندما دخلوا فلسطين في القرنين الثاني والحادي عشر قبل الميلاد!!

●※●※●※●

«الفهرس»

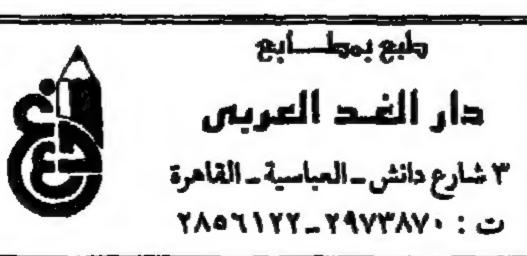
فحة	الموضوع
٥	كلمة الناشر
15	الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية محمد المؤسسة للسياسة الإسرائيلية
10	تنويه من المؤلف
17	مقدمة
71	أولا: الأساطير الدينية مستعدد المستعدد الأساطير الدينية
22	١ _ أسطورة الأرض الموعودة أو الأرض المغتصبة
٤٥	٢ _ أسطورة الشعب المختار
٥٣	٣ ـ أسطورة يشوع: التطهير العرقى
79	ثانيا: أساطير القرن العشرين
٧١	١ _ أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية١
97	٢ ــ أسطورة محاكمة ثورمبرج
177	٣_أسطورة الملايين الستة (الهولوكوست)
10"	٤ _ أسطورة « أرض بلا شعب،
179	ثالثا: الاستخدام السياسي للأسطورة
171	١ ـ اللوبي في الولايات المتحدة١
144	٢ ـ اللوبي في فرنسا مستحدده والمعادد اللوبي في فرنسا
19£	٣ ـ أسطورة «المعجزة الإسرائيلية»: التمويل الخارجي لإسرائيل
T.V	* ATI &

الموضوع

717	نعقیب
	ـ جارودي يلملم خيوط الشمس تحت سماء القاهرة
770	بقلم/ حمدان جعفر
	ـ رحلة جارودي وماذا أنتجت
771	بقلم المستشار سعيد الجمل
	ـ محاضرات جارودي ومحاوراته في القاهرة
727	أعدها/ مصطفى عبدالرازق
700	_ محاضرة جارودي مع أساتذة وطلاب جامعة عين شمس
777	_ لقاء جارودي مع المثقفين والمفكرين المصرين
19 7	_لقاء جارودي في مكتبة القاهرة مسمد
	ـ محاضرة المفكر الفرنسي الكبير روجيه جارودي حول
٣٠٧	« الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»
277	ـ جندي حماية البترول في الشرق الأوسط
	- التشدد اللذيني وأسطورة « اليهودية المسيحية » حرب
444	عالمية جديدة المستساسات
727	برنامج عملي ١ ـ بالنسبة للعالم الثالث باندونج جديدة ٠٠٠٠٠
	- المقال الذي كتبه الكاتب الكبير سعد الدين وهبة بجريدة
401	الأهرام تعمت عنوان ﴿إسرائيل عارية » مدمد عنوان ﴿إسرائيل عارية »
۳۷۳	_كيف نفهم موقف جارودى ؟ بقلم محمد إبراهيم مبروك

الصفحة	الموضوع
	_ محاورة مع المفكر الفرنسي المسلم روجيه جارودي
	عن الإسلام و إسرائيل والسلام
	جارودي : هناك عدد واحد لهذه الأمة ولكل الأديان بل
. 470	عدو للعلمانية أيضا هو أمريكا
٤٠٨	شعراوي فرنسا الذي تكرهوا إسرائيل يطارده اليهود
٤١١	الفهرس





هذا الكتاب

جارودى.. شاهد على العصر

بعد أن أصدرت «دار الغد العربي» (٧) سبع طبعات من كتاب «الأساطير المؤسسة للسياسة الأسرائيلية » الذي أحدث دويًا هائلًا على مستوى العالم كله وقد نفدت هذه الطبعات في القاهرة وعلى مستوى العالم كله . . .

وكان لابد أن يحضر جارودى إلى القاهرة التى فتحت قلبها وذراعيها لفكره وكفاحه من أجل الحق. لأن مصر بلد الحرية ترحب بهذا المفكر

و يسعد والله الفه العربي أن تقدم هذه الطبعة الشعبية التي تقع في ١٣٤ صفحه وهي تحتوى على كتاب الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ومحاورات جارودي في القاهرة التي ناقش فيها مثقفي مصر ومبدعيها.. وقال فكره بكل حرية ووضوح...

إن الأساطير والحوارات كُلل لا يتجرأ . . وهو يعرى حقيقة الصهيونية وادعاءاتها الكاذبة . . ويجعلها أمام العالم عارية بلارتو إنه كتاب كل عربى في الوطن العربي او عربيًا مغترباً العالم أجمع .

الناشر حمدان جعف



10

الثمن ٤ جنيهات